٥٥

المعبد في المجتمع العراقي

دور العبيد حتى نهاية دور الوركاء

رسالة تقدم بها

علي محمد مهدي

إلى

س كلية الآداب في جامعة بغداد

من متطلبات درجة ماجستير آداب في الآثار

تشرين الثاني ١٩٧٥

ABBREVIATIONS

المختصرات

AM Ancient Mesopotamia Socio-Economic History (Edited by Diakonof A.M.) Moscow (1969)

ANET Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament.(Edited by: Prichard.J.B)edition,1969

ATU Falkenstein.A.,: Archaiscke Text aus Uruk, Ausgrabungen der Deutschen forschungsgemeinschaft in Uruk-Warka,Bd.2.Leipzig,(1936).

CAD The Assyrian Dictionery of the University of Cicago (Cicago-Glückstad ,1956-)

CAM Perkins.A.L.,. The Comparative Archaeology of Early Mesopotamia.(Studies in Ancient Oriental Civilization Vol.25.Chicago(1949) University of Chicago press.

CI City Invincible Asymposium on Urbanization and cultural Development in the Ancient Near East, held at the Oriental Institute of the University of Chicago Desember 4-7,1958.Edited,by:Kracling. C.H., and Adams.R.M., Chicago 1960.

RAQ Iraq,London (British School of Archaeology in Iraq.) London.

NES Journal of Near Eastern studies, Chicago.

MSU Man,Settlement and Urbanism.(Edidet.by: Peter.J. Ucko,Ruth Tringham and G.W.Dimbleby.), London, Duckworth 1972.

SUMER Sumer,Baghdad(Directorate General of Antiquites) 1945-

TITM Towardthe Image of Tammuz and other Essays on Mesopotamian history and culture,(Edited by: William .L.Moran.)(U.S.A. 1970).

UE Ur Excavations,London 1927-

UET Ur Excavations Texts London 1928.

UVB Uruk Vorlaufiger Berichte(=Vorlaufiger Bericht Über die von der Notgemeinschaft der Deutschen wissenschaft in Uruk Unternommenen Ausgrabungen Berlin(1930 ff) .

ZA (N.F.) Zeitschrift für Assyriologie und vorderasiatische Archäologie, Leipzig-Berlin (NF= Neue Folge.

محتويات الرسالة

ان اهم ماتناولته هذه الدراسة محاولة الوقوف على دور المعبد ومعرفة المكانة التي كان يحتلها في مجتمع القسم الجنوبي من العراق القديم وهو مايعرف جغرافيا بـ (منطقة السهل الرسوبي) وبالاسم التاريخي المأثور "بلاد سومر واكد" في الفترة الحضارية المبتدئة من دور العبيد (بداية الالف الخامس ق م) وحتى نهاية دور الوركاء (نهاية الالف الثالث (٣١٥٠ ق م) اما الهدف الذى تسعى اليه هذه الرسالة هو الوقوف على الاسهام الحضارى الذى حققه ذلك البناء الذى اطلق عليه المنقبون اسم " المعبد " باعتباره يمثل مؤسسة اجتماعية ساهمت في تنظيم حياة المجتمع القديم الذى نشأ بين ظهرانيه .

ومما يزيد الموضوع اهمية هو ان مجتمع السهل الرسوبي في العراق كان قد شهد عبر تاريخ العراق القديم عمليات تغيير اجتماعي على جانب كبير من الاهمية ، وقد لانبالغ اذا قلنا بانها بالنسبة لمراحل تطور المجتمع البشرى تعتبر ثاني قفزة نوعية هامة ، ونقصد من ذلك ان اول قفزة تطورية عرفها المجتمع البشرى هو الانتقال مما يعرف لدى باحثي ماقبل التاريخ " دور جمع القوت " الى العيش في حياة مستقرة ضمن مجتمعات زراعية ورعوية وهو مايعرف بـ " دور انتاج القوت " وهو في الواقع تسجيل ثورى بالنسبة لمعطيات الانسان الحضارية . وهنا تأتي اهمية القفزة الثانية التي اشرنا اليها توا وهي الانتقال الحضارى العظيم الذى شهدته فترة بحثنا وذلك بالتحول الاجتماعي الكبير من القرى الزراعية الصغيرة الى ظهور حياة المدنية (Urbanization) وتوسع القرى وانتقالها الى مدن وبداية نشوء الحضارة ، وتميزت هذه الفترة بتطور قابليات المجتمع في مجالات الانتاج مما حقق زيادة نوعية في فائض الانتاج الاجتماعي وماصاحبه من ظهور التخصص الحرفي وتقسيم العمل وظهور الملامح الاولى للطبقات الاجتماعية .

ومن ابرز ما لاحظناه في دراستنا لتلك المرحلة وجود ظاهرتين هامتين واكبت احداهما الاخرى وبرزتا اجتماعيا بشكل متواز ونقصد بهم بروز عمليات تغيير اجتماعي وظهور اولى المباني العامة المتمثلة بالمعبد الذى اخذ بالتطور والتوسع في حجمه من الناحية المادية وتعقيد تقسيماته وازدياد مرافقه البنائية ٠ وقد استمرت هاتان الظاهرتان وسارتا في تطورهما خلال فترة العبيد وحتى نهاية دور الوركاء وبشكل بـ... بحيث ان بناية المعبد قد وصلت في الدور الاخير اعلى مراحل تطوره غير اننا نجد ان فن العمارة وبصورة خاصة ما يتعلق منه بالمعابد قد تغير نوعيا في الفترة اللاحقة (اى دور جمدة نصر) عما كان عليه في السابق ٠ فان دور جمدة نصر شهد ركودا واحيانا الميل نحو البساطة من ناحية الرفاه العمارى والتعقيد البنائي والفخامة التي كانت تمتاز بها عمارة المعبد في الفترة التي تتناولها هذه الرسالة ٠

واستنادا الى ذلك فقد تم تحديد البحث بالفترة المذكورة (اى م... بداية العبيد وحتى نهاية دور الوركاء) مع الاخذ بنظر الاعتبار الفترة التالية التي انخفض فيها مستوى العمارة وقد تمت الاشارة اليها في سياق البحث لاغراض المقارنة ٠

هذا ومما يجدر تثبيته ايضا ان الغرض من اجراء الدراسة على السهل الرسوبي من العراق القديم انما جاء ناشيء من اعتبار ما شهد هذه المنطقة الجغرافية من عمليات تغيير اجتماعي كان للمعبد دور بارز فيه وفي تطويره وتعميقه ومما يزيد ذلك اهمية ان السهل المذكور شهد ولاول مرة — حتى الآن — ظهور اول بناية للمعبد في تأريخ العراق القد...

وهذا يفسر لنا المسؤولية التي اضطلعت بها هذه المؤسسة وحملت اعبائها من جميع النواحي الاجتماعية خلال فترة التحول الاجتماعي والذى سنستعرضه بالتفصيل في سياق البحث .

هذا ومما ينبغي ذكره هنا ان حضارة وادى الرافدين قد تناولتها دراسات كثيرة قام بها باحثون عديدون ونشروا ابحاثا تناولت جوانب عديدة من تلك الحضارة وقد شمل قسم منها المرحلة الحضارية التي نحن بصددها الا ان الملاحظ - وهو امر مهم - ان تلك الدراسات لا سيما ما يتعلق منها بالمعبد بالرغم من كونها تتسم بالعلمية والمنهجية الا انها لم تعالج بشكل عميق القضايا الاساسية لواقع الوجود الاجتماعي في مرحلتنا تلك اذ ركزت تلك الدراسات اهتمامها بالدرجة الاولى على امور عامة تتعلق بالمعبد وبصورة خاصة على الناحية الشكلية منه اى على قضايا البناء والعمارة وبعض الجوانب الاجتماعية العامة . ان هذا يقودني الى السبب الذى حدا بي الى التركيز على الجانب الحضارى مادةلبحثي هذا حيث وجدت ان عملية التغيير الاجتماعي قد سارت جنبا الى جنب مع ظاهرة التطور البارز الذى طرأ على مؤسسة المعبد بنائيا واجتماعيا وحضاريا منذ نشوئه في هذه المرحلة مما يمكن معه القول بوجود ترابط موضوعي ناجم عن تأثير احدى الظاهرتين بالاخرى . اى بعبارة اخرى ان المعبد وظهوره على مسرح المجتمع ككيان وكمؤسسة دينية واقتصادية واجتماعية كان قد اثر بشكل او بآخر خلال الفترة التي نحن بصدد بحثها على قيادة وتسيير التحولات الاجتماعية التي شهدها مجتمع السهل الرسوبي من العراق القديم . ولهذا تقوم دراستنا هذه لتناول تلك

الظاهرتين من اجل تحديد معالم ونمط النظام الاجتماعي الذى ترعر
في بيئة السهل الرسوبي آنفة الذكر . ولغرض رسم الصورة المطلوبة فقد
استعانت هذه الدراسة بكل ما هو متيسر من مادة منشورة او استقراء
المخلفات الاثرية التي توصل للهدف المذكور ، وبعبارة ادق فان بحثي
هذا قد استخدم المادة العلمية التي يمكن استنباطها او ما تمثله
المخلفات البنائية وتدل عليه ،وخاصة الابنية الدينية والمنشآت المدنية ذات
العلاقة بها وبواقع الوجود الاجتماعي للمجتمعات التي نشأت فيها وكذلك
ما اظهرته التحريات الاثرية او ما تعلق منها بنمو وبتطور المستوطنات
وخصوصا مشاريع الري القديمة وكذلك الاستفادة من اللقى الاثرية ذات
المدلول الديني بالاضافة الى النصوص الكتابية سواء منها ما جاء من
فترة بحثنا او من الادوار التأريخية اللاحقة وبصورة خاصة ما ورد في
الاساطير نظرا لاحتوائها على مادة يمكن اعتبارها ذات مدلول يصور
بعض الجوانب الاجتماعية بالاضافة الى ما تنقله من مفاهيم دينية معينة.
وقد انحصر استخدام تلك المادة خلال البحث في معرض المقارنة . ويضاف
الى ذلك ان الاساطير حتى وان جاءت مدونة من ادوار لاحقة لفترة بحثنا الا
ولا شك تمثل تراكما لتجارب اجتماعية حصلت لفترة طويلة جدا قبل زمن
تدوينها ، وهي في اغلب الظن قد تعرضت اثناء تدوينها بان تأثر
بافكار الكاتب القديم الذى على الارجح قد اسبغ عليها شيئا من واقع
الوجود الاجتماعي لمرحلته . فهي اذا والحالة هذه يمكن اعتبارها بشكل
او بآخر مادة مفيدة يستفاد منها في معرفة بعض الجوانب لواقع الحياة
المادية والاجتماعية التي كانت سائدة وقتئذ . وبالفعل وجدنا بعض ما

اوردته لنا الاساطير مدعوما بواقع اثرى كشفت عنه التنقيبات الاثرية العلمية الحديثة وهو دليل مادى على ان مادة الاساطير تمتاز بانها غزيرة ومفيدة جدا لاستقراء الواقع الحضارى في مختلف اوجهه بالنسبة لمجتمعات العراق القديم .

ولغرض الوقوف على جوانب هذه الدراسة التي نحن بصدد بحثها استدعت الضرورة العلمية وسياق البحث تناول موضوعات ذات علاقة وثيقة بواقع الوجود الاجتماعي ودور المعبد في الفترة التي تعالجها هذه الرسالة وسوف نستعرض بايجاز الاطار العام الذى جاء بموجبه هذا البحث ويقع في اربعة فصول نوردها كما يلي :

الفصل الاول : يتناول هذا الفصل ايجاز وصف البيئة الجغرافية ودراسة اثر التفاعل بين المجتمع والبيئة ، ومعلوم ان التأثير المتبادل بين الطبيعة بكافة مكوناتها والوجود الاجتماعي كان معروفا منذ الازل مما ادى الى ظهور انماط اجتماعية خاصة متأثرة بالبيئة الطبيعية التي نشأت فيها . فالجو والحيوان والنبات وطبيعة الارض ونوعية التربة ومصادر المياه وما الى ذلك من المؤثرات الطبيعية كلها امور تلعب دورا هاما في تكييف وتكوين التركيب الاجتماعي لاى مجتمع كان وقد ادرج هذا الفصل استعراض البيئات والمناطق المختلفة للبيئة الطبيعية في العراق من اجل توضيح الصورة التي تؤثر بها كل بيئة من تلك البيئات في عملية الخلق الحضارى في كل منها ونوعية الحضارة التي تنشأ فيها لكي تتم المقارنة المطلوبة بغية التوصل الى توضيح الحقيقة التي تمتاز فيها بيئة السهل الرسوبي وهي العمل على تصعيد عمليات التفاعل الاجتماعي خلال التكوين الحضارى ، وبناء على ذلك فان ما شهده

السهل الرسوبي في العراق القديم من تغيير اجتماعي واضح المعالم في الفترة التي نحن بصددها ينسجم والمبدأ الذى تطرقنا اليه قبل قليل .

ولما كان المعبد كان عطاء حضاريا افرزه الفكر الانساني لتلبية متطلبات الحياة المادية التي اقتضتها الفترة التي ظهر وترعرع فيها . ولما كان السهل الرسوبي الذى نشأ فيه المعبد ولاول مرة يمتاز بكونه يحتفظ ببيئة طبيعية متقلبة كان التأثير بينها وبين مجتمعها كبيرا ومتبادلا وابرزها القيام بانشاء المشاريع الاروائية والتدخل في الطبيعة لايقاف قسوتها والتأثير عليها وترويضها من اجل خيره واستقراره وبناء حضارته . وقد كان للمعبد دور بارز في ذلك فقد كان المشرف على تلك العمليات التي احدثت تغييرات اقتصادية واجتماعية وبالتالي كان لها مردود سياسي ملحوظ كما سنلاحظ ذلك في الفصول التالية .

<u>الفصل الثاني</u> : نوهت سابقا بان هذه الفترة قد ظهرت فيها ولاول مرة ما يعرف بـ (مؤسسة المعبد) وكان المعبد في اول ظهوره بناية بسيطة كانت ذات مفهوم ودلالة معينة وفي هذا الفصل تم استعراض مفهوم المعبد دينيا واجتماعيا وايراد الاشكال والصيغ اللغوية التي وردت في الكتابة المسمارية منذ اول ادوارها وهو امر لا بد منه لغرض تتبع هذا المفهوم والسير معه عبر تطوره الحضارى وذلك من اجل الوقوف على مفهوم المعتقد الدينية باعتبارها تمثل انعكاسا لاحتياجات واقع الحياة المادية للمجتمع .

ان المادة التي يحتويها هذا الفصل ترسم لنا قدر الامكان ابعاد الصورة التي يمكن استخلاصها لمعرفة وفهم طبيعة تلك المعتقدات الدينية

وذلك باستخدام المخلفات البنائية والفنية التي جاءتنا من هذه الفترة والتي سبقتها وذلك بعد تنسيقها وتحليلها . وقد تم التوصل الى ان الفترة التي نحن بصددها اذ تمثل ظهور اول طلائع المعبد فهي تسجل لنا في الوقت نفسه بداية ظهور الافكار الدينية بشكلها المنظم والتي تطورت فيما بعد الى هيئة معتقدات وضعت لها اطر لا زلنا غير محيطين بهما كليا .

الفصل الثالث : لما كانت هذه الدراسة تستند اولا واخيرا الى تناول المعبد ودوره في المجتمع ، فقد تطلب سياق البحث ايراد خصائص وامور تتعلق ببناية المعبد وعلاقة ذلك بوظيفته الاجتماعية . وبالنظر لكثرة ما يرد من تلك الاشارات فقد استوجب بالضرورة ولاجل احاطة المتتبع بتفاصيل هذه الدراسة الخاصة بمسار تطور بناء المعبد والاشكال التي شهدتها هذه الفترة فقد حاولت في هذه الدراسة تسجيل وعرض عام لاهم المعابد التي ظهرت في السهل الرسوبي من العراق القديم . وايفاء بالغرض ، فقد ذكرت الاهداف التي انشأ المعبد لتحقيقها وكذلك وصف بنائه من الناحية العمارية مع طبيعة ذلك البناء وتقسيماته التخطيطية ولمحة عن نمط عمارته مع ايراد ما يمكن من تفسيرات محتملة لوظائف تلك التقسيمات والمرافق الملحقة به على ضوء ماهو متيسر من ادلة اثرية كما تطرقت الى المركز الاجتماعي الذى احتله المعبد في المرحلة الحضارية الموضوعة البحث .

الفصل الرابع : لدى استعراض مادة الفصول السابقة وبشكل مترابط تتولد لدى المتتبع فكرة وجود نظام اجتماعي معين كان سائدا في فترة

مرحلية ذات خصائص اقتصادية واجتماعية معينة تختلف كثيرا عن المرحلة التي سبقتها (اى مرحلة القرى الزراعية) ذات التنظيم الاجتماعي القائم على العلاقات العشائرية ، وكذلك عن المراحل التالية التي اتسمت بظهور مراكز قوى ونفوذ كان على راسها مؤسسة الدولة . وبناء على ذلك فأن هذا الفصل يهدف مما يهدف اليه تحديد معالم ذلك النظام الاجتماعي وبيان الخصائص العامة التي اشتملت عليها تلك المرحلة وهي ما اسميناها بـ" مرحلة سيادة المعبد " وقد جاءت هذه التسمية نتيجة لاستقراء واقع الوجود الاجتماعي الذى جاء عبر مرحلة تطورية كبيرة مرت بها مؤسسة المعبد اوصلتها الى مرحلة غدت بها مشرفة على تسيير دفة المجتمع اقتصاديا وسياسيا وفكريا ، وكان على رأس تلك المائة الدينية — الدنيوية شخص قوى كان يطلق عليه اسم " اين " " en " وقد تم استعراض ومتابعة سلطات هذه الشخصية التشريعية والتنفيذية وطبيعة اعماله وواجباته امـا الناحية الاقتصادية التي كان لها من البحث نصيب غير قليل في هذا الفصل هـو الانتاج الاقتصادى باعتبار ذلك من الاركان الهامة التي قام عليها النظام الاجتماعي وقد تم شرح صورة تقريبية لشكل النظـام الاقتصادى الذى اتسم بالملكية العامة لوسائل الانتاج الرئيسية والمتمركزة بمؤسسة المعبد معتمدين في ذلك على المصادر المتوفرة لدينا لحـد الان وخلاصة القول فقد تضمن هذا الفصل خصائص اوجه النشاط الاقتصـادى والاجتماعي في المنطقة التي سبقت الاشارة اليها يضاف الى ذلك فقـد استعرض الفصل ايضا وبايجاز " مسالة التركيب الاجتماعي الطبقي " ومدى توفرها والاوضاع الاقتصادية والاجتماعية لمجتمع الفترة التي نحن بصددها .

هذا باختصار استعراض موجز لما تضمنته فصول هذه الرسالة وهي

ان تقدم مادتها الى قارئ العربية فهي لاتدعي انها قدمت ما عجز الاخرون عن تقديمه بل تعتبر نفسها محاولة اراد بها الدارس ان يتناول امور وقضايا تمس الفكر وتاريخ الفكر الاقتصادي في العراق القديم وبالتحديد في منطقة السهل الرسوبي لاسباب اوردناها سلفا ، وكذلك يقال في النظام الاجتماعي حيث عرضت مسألة النظام الاجتماعي ولكن ضمن اطار يختلف من حيث زاوية النظر اليه وفلسفته واسلوبه عما اورد بهذا الخصوص لحد الان سواء من قبل باحثي الغرب او الشرق كما اجتهدت في هذه الرسالة على ان اقدم تفسيرات وتحليلات آمل ان تكون قد اصابت الهدف التي جاءت من اجله كما آمل ان تكون مادة هذه الرسالة وهي اول مادة تعالج الموضوع وبشكل مفصل في اللغة العربية ان تسد فراغا تحتاج اليه الابحاث العربية ٠

الفصـــــــــل الاول

اثـــــــــر التفـــــــــاعـــــل

بين المجتمع والبيئة فــــــــــــي ظهـــــــور المعبـد

ان التأثير المتبادل بين المجتمعات البشرية وبيئاتها الطبيعية والعمل على اخضاع الثانية لخدمة الاولى اصبح امرا مسلما به ، فقد سعت تلك المجتمعات ومنذ ظهورها الى التفاعل مع بيئاتها وتصعيد سيطرتها على ظواهرها الطبيعية قدر الامكان وذلك لاستغلالها في تطوير نمط حياتها ، كما ان البيئة أثرت بدورها في مستوى التطور الاجتماعي سواء بصورة مباشرة ام غير مباشرة الا انها لم تكن عاملا اساسيا يحدد التطور كما يفهم ذلك اصحاب المدرسة الجغرافية (١) ، لان ما يقرر مستوى التطور هو النمط الانتاجي للوجود الاجتماعي اي مقدار الطاقة الانتاجية للمجتمع . فكلما نمت هذه القدرة بفضل ما يبذل من طاقات وجهود تتقلص تبعيته لظروف البيئة وبذلك يتم تكييفها للحصول على المزيد من معطياتها من اجل تحقيق تطور اجتماعي .

---

(١) تنظر هذه المدرسة الى البيئة الجغرافية على انها عامل اساسي في تحديد تطور المجتمعات وارتقائها الحضاري ، كقول المؤرخ اليوناني (هيرودوتس) عن مصر بانها هبة النيل ، وقد تناول المفكرون الاوائل من الاغريق آثار البيئة الجغرافية في التطور كما ذهب الى ذلك هيبوقراط (٤٢٠ ق.م) عندما حاول ارجاع تفوق سكان آسيا وافريقيا قياسا الى سكان اوربا الى صلاحية البيئة الاسيوية او كما ذهب ارسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م) عندما جعل المناخ عاملا للتفاوت بين الاسيويين (سكان المناطق الحارة) الذين امتازوا بالمهارة والابداع الفني وكانت تعوزهم الشجاعة ، وبين الاوربيين وهم (سكان المناطق الباردة) حيث امتازوا بالشجاعة وتأخرهم في المهارات الفنية .
كما تناول عامل البيئة ايضا عدد من الباحثين العرب ولعل من ابرزهم عبد الرحمن ابن خلدون وهو من اقدم باحثي علم الاجتماع العرب (١٣٣٢ - ١٤٠٦ م) الذي وضع دراسة مسهبة عن اثر البيئة الجغرافية في مستوى التقدم والحضارة (ابن خلدون : المقدمة ق ١ ص ٤١ - ٩١ (طبعة دار الكشاف بيروت) . وقد تبلورت هذه المدرسة في القرنين الاخيرين وعرفت بالنظرية الحتمية حيث وضعت فيها دراسات منهجية . انظر :
Semple, E., The Influnees of Geographic Environment, (New York, 1911)
وانظر كذلك الصقار (الدكتور فؤاد محمد) : دراسات في الجغرافية البشرية (القاهرة ١٩٦٥) ص ٢١ - ٤٥ .

ان خصائص العوامل الطبيعية للبيئة وهي وان كانت من المتطلبات الاساسية لعمليات الانتاج ، الا انها تعتبر عوامل مساهمة في تحقيق التطور الاجتماعي فالبيئة الجغرافية ذات العطاء الوفير تسهم في تسهيل عمليات الانتاج خلال تكييف المجتمع لها • ولكن عندما يصعّد مجتمع ما من تفاعله مع بيئته حتى وان كانت اقل عطاء من بيئة اخرى عندئذ يصبح بامكانه التحكم اكثر ببعض ظواهرها الطبيعية وجعلها خاضعة لسيطرة عمل المجتمع فتصبح تلك البيئة بعدئذ مجالا خصبا لعمليات التغيير الاجتماعي قبل غيرها ، وهذا ماحدث في كل من القسم الجنوبي من العراق ووادى النيل ، وادى السند ، وادى النهر الاصفر (الصين) ، والمكسيك وبيرو •.

ولاثبات هذا الرأى يرى الدارس انه من المناسب القاء نظرة سريعة على ظروف البيئات الجغرافية للعراق ومجتمعاتها بصورة عامة ، وللتأكيد على بيئة السهل الرسوبي منه بصورة خاصة والتي تنفرد بخصائص معينة قلما نجدها في الاقسام الاخرى مما حتم على مجتمعاتها تصعيد تفاعلها مع مثل هذه البيئة • وقد نتج عن ذلك ان حققت تلك المجتمعات تغييرا اجتماعيا ملحوظا (في ظل مرحلة سيادة المعبد) وذلك عندما بلغت خلالها مرحلة التمدين حيث ظهرت فيها ، وقبل اى منطقة اخرى ، مقومات اول حضارة • وفيما يلي سنستعرض بيئات العراق بحسب الطبيعة الجغرافية للقطر :

اولا السلاسل الجبلية :

وتشمل هذه المنطقة الاطراف الشمالية والشمالية الشرقية من البلاد وتتراوح ارتفاعاتها بين ٣٠٠٠ - ٧٠٠٠ قدما وتزداد ارتفاعا كلما اقتربنا من الحدود السياسية المشتركة مع كل من تركيا وايران اذ يبلغ اعلى ذروتها ١١٠٠٠ قدما تقريبا ، ويتخلل هذه المنطقة عديد من الهضاب والسهوب وتمتاز المنطقة الجبلية هذه بكثرة ينابيع المياه فيها اما مناخها فهو بارد قارص شتاء حيث تتساقط فيه الثلوج ، كما تسقط امطار غزيرة في فصلي الشتاء والربيع فتصل الى ٤٠ بوصة لذا فقد أنعمت هذه المنطقة بغابات الاشجار التي تكثر عند سفوح الجبال وبساتين الفواكه وحقول الحبوب وخاصة الحنطة والشعير عند الهضاب والوديان كما تكثر الحشائش والنباتات الطبيعية مما تجعل المنطقة صالحة لرعي الحيوانات (١) . وتضم هذه المنطقة كهوف ومأوى طبيعية عديدة التجأ اليها الانسان منذ اقدم العصور حيث كشفت اعمال التحري والتنقيب الاثري (٢) فيها عن مخلفات اثرية استيطانية من مختلف العصور الحجرية واقدمها يرجع الى العصر

---

(١) حول خصائص البيئة الجغرافية لهذه المنطقة انظر :
هستد (كوردن) الاسس الطبيعية لجغرافية العراق (ترجمة جاسم محمد الخلف (بغداد ١٩٤٨ ص (١ - ٢٣ ، ٢٠٧) .
الخلف (الدكتور جاسم محمد) محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية (القاهرة ١٩٦١) ص ٧٤ - ٧٨ ، ٨٦ ، ١٠ ، ١٢٦ - ١٢٧

(٢) هناك العديد من الكهوف والمأوى الطبيعية في هذه المنطقة شملتها التحريات والاستطلاعات الاثرية انظر :
نشرة المواقع الاثرية في العراق (مديرية الاثار العامة بغداد ١٩٧٠)
طه باقر وفؤاد سفر : المرشد الى مواطن الاثار والحضارة (الرحلة الخامسة الرحلة السادسة بغداد ١٩٦٥ ، ١٩٦٦)
Al-Haik, Key Lists of Archaeological Excavations in Iraq 1842-1965, (Florida, 1968)

الحجري القديم (Palaeolithic)(١) وان تطور المجتمعات البدائية التي عاشت في ظل هذه البيئة ـ الغنية بمواردها الطبيعية كان منوطا بامكانياتها في صنع وتطوير ادوات العمل التي تستخدمها في تكييف البيئة . وبنتيجة التقدم المستمر لاساليب التقنية في صناعة الادوات وتنوعها فقد بلغت مجتمعات العصر الحجري الاوسط ، مرحلة اتسمت بزيادة قدرتها على تكييف البيئة وتعاظمت فعالياتها في جمع القوت وتعتبر هذه مرحلة انتقال الى انتاج القوت (٢)

---

(١) من اقدم المخلفات الاثرية المكتشفة في هذه المنطقة تلك الادوات الحجرية التي قوامها فؤوس ومقاشط وجدت في موقع برده بلكه ويرجع نسبتها الى العصر الحجري القديم الادنى (Lower Paleolithic)
وحول العصر الحجري القديم انظر /
طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج ١ (بغداد ١٩٧٣) ص ١٧٥ ـ ١٨٣ .

(٢) تمثل المخلفات الاثرية من كهف شانيدر جوانب مهمة لمراحل تطور مجتمعات العصر الحجري القديم الاوسط (Middle Palaeolithic)وحتى العصر الحجري الحديث (Neolithic) حيث كشف منقب كهف شانيدر عن اربع طبقات من عمق ٤٥ قدما ارخت اقدمها وهي الطبقة ( ) الى ما قبل ٦٠٠٠٠ عام تقريبا وتمثل العصر الحجري القديم الاوسط المعروف في اوربا بالمستيري اما الطبقة الثانية فقد ارخت بحوالي ٠٠٠ والطبقة الثالثة وهي (B) وقد ارخت بالعصر الحجري الوسيط (Mesolithic) اما الرابعة (A) فقد نسبت الى اوائل العصر الحجري الحديث (Proto Neolithic) انظر /
Soleki, R.S., Shanidar, the First Flowers People, (New York, 1971), pp.24-28,51-56

ثانيا مرتفعات التلال /

تمتد هذه المنطقة من شرق حوض دجلة حتى مقدمات السفوح الغربية لسلسلة جبال زاكروس وجبال طوروس ويتفاوت ارتفاعها بين ١٢٥٠ — ٣٠٠٠ قدما فوق مستوى سطح البحر ، وتمتاز هذه المنطقة بمناخ السهوب (Steppes)[١] وتصلها حصة كافية من الامطار تصل الى معدل ٢٠ — ٣٠ بوصة سنويا[٢] وهذه الظاهرة تساعد على انتشار مناطق صالحة للزراعة والرعي دون الحاجة الى وجود نظام للري وقد ادخل الاستاذ بريدوود هذه المنطقة ضمن الموطن الطبيعي[٣] (Natural habitat zone)

---

(١) الخلف (١٩٦١) المرجع السابق ص ١٣٦

Braidwood,R.J.et.al.,Prehistoric Investigations in Iraqi Kurdistan,(Chicago,1960),p.9

(٢) وقد لاحظ الاثاريون والجيولوجيون ان نفس الكمية من المطر كانت تسقط قبل ١٢٠٠٠ سنة مضت اي انه لم نجد اي تغير جوهري في مناخ هذه المنطقة

انظر / Reed,C.A.,in:Braidwood,R.J.,et.al.,(1960), Op.Cit.,p.169

(٣) يحدد الاستاذ بريدوود هذه المنطقة باقسام معينة من الشرق الادنى متمثلة بمرتفعات التلال (Hilly Flanks) القائمة على جانبي سلسلتي جبال زاكروس وطوروس وكذلك السهول المرتفعة في شرقي البحر الابيض المتوسط /

انظر / Braidwood,R.J.,"Near Eastern Prehistory" SCIENCE,Vol.127,No. 3312 (1958)

Braidwood,R.J.,et.al.,(1960),Op.Cit.,pp.120,157-158

التي شهدت اعظم تغيير اجتماعي في تاريخ البشرية وهو الانتقال الى مرحلة انتاج القوت وانها (بدأت حوالى الالف التاسع ق٠م) وعندها اتجهت مجتمعات هذه البيئة نحو الاستيطان [1] عند الاراضي التي استغلتها لمزاولة عمليات الانتاج الزراعي وتدجين الحيوان ، ذلك بالاستقرار في مستوطنات ثابتة فظهرت فيها القرى الزراعية البدائية

---

(١) لقد كان الاستيطان خلال الانتقال الى مرحلة انتاج القوت موسميا حيث كانت المجتمعات تقضي الشطر الاكبر من السنة عند حقولها وفي موسم الشتاء تنتقل الى الكهف الملجأ القديم كما تدلنا المخلفات الاثرية من موقع زاوي جمي والتي جاءت معاصرة مع ما وجد في كهف شانيدر (B.I) لذا يرجح ان زاوي جمي شانيدار يمثلان مستوطنا موسميا كما عثر في موقعي زاوي جمي وكريم شهر عن بقايا مخلفات بنائية تمثل حفرا دائرية وقد شيدت جوانبها بالحجارة ولعلها تمثل مضارب خيام او اكواخا ، ويقدر تاريخ الطبقة السفلى من زاوي جمي استنادا الى تحليل كاربون ١٤ الى ما قبل ٩٢١٧ ± ٣٠٠ عام وتعاصر الطبقة التالية B منها مع الطبقة B I من شانيدار وتعود الى ماقبل ٨٩٢٥ ± ٣٠٠ عام ٠
انظر /

Soleki, R., "Zawi Chemi Shanidar: Apost-Pleistocene Village Site in Northern Iraq. Report of the VI ", The International Congress on Quaternary ,(Warsaw, 1961 1964), pp.405-412

مثل قرية جرمو (١) التي تعد في الوقت الحاضر وبفضل التنقيبات الاثارية خير نموذج لقرى هذه المرحلة في العراق كما شهدت هذه المنطقة من العراق في المراحل التطورية التالية تحولات اجتماعية مهمة .

---

(١) يقع مستوطن جرمو على بعد ١١ كم الى الشرق من مدينة جمجمال كشفت التنقيبات الاثرية فيه عن اقدم قرية زراعية بدائية قدر زمنها اعتمادا على فحص كاربون ١٤ بحوالي ٦٧٥٠ ق.م (± ٢٠٠) ومن خلال استقراء المخلفات الاثرية المكتشفة في هذه القرية والقرى المعاصرة لها مثل شمشارة (١٤ ـ ١٦) وكرد جاي ، يلاحظ ان النظام الاجتماعي كان قائما على التعاون المشترك في مجالات الانتاج المتميز بالاكتفاء الذاتي ذلك لان وسائل الانتاج كانت محدودة ومسايرة مع مستوى امكانات مجتمعات هذه المرحلة في مجال تكييف بيئتها لذا لم تحقق اى فائض انتاج اجتماعي بدليل ان المخلفات الاثرية فيها لاتشير الى ما يميز بين اعضاء مجتمعاتها من حيث تملك وسائل الانتاج او ظهور التخصص الحرفي او قيام علاقات تجارية واسعة وانما كان التبادل التجاري محدودا واعتمد على استعمال قسم من الانتاج كسلعة للتبادل مع الحاجيات الضرورية لعمليات الانتاج كاستيراد الحجر البركاني (الاوسيدى) من مصادره في تركيا وارمينيا لصنع ادوات العمل منها والتي تحتاج اليها عمليات الانتاج للوقوف على تفاصيل نمط الحياة الاجتماعية لهذه القرى انظر /

Braidwood,R.J.,et.al.,(1960),Op.Cit.

Braidwood,R.J.,Prehistoric Men,(Chicago,1967)

فقامت فيها العديد من القرى الزراعية المتطورة (١) التي جاءت بمنجزات مادية وفكرية كثيرة كانت مقدمات لعمليات التفعيل الاجتماعي التي حدثت في القسم الجنوبي من العراق ، وظلت مجتمعات هذه البيئة تواكب الانجازات الحضارية الى ان اصبحت مجالا لعمليات تفاعل في الادوار التاريخية بعد ان اتخذ الاشوريون من المثلث المحصور بين دجلة والزابين موطنا لهم وشادوا فيه حواضر امبراطوريتهم الشهيرة مثل نينوى ونمرود ، وخرسباد واربخا واربيل .

---

(١) تمثل القرى الزراعية المتطورة مرحلة تطورية - وتشمل من دور حسونة حتى نهاية دور حلف - وانتشرت في هذه البيئة الجغرافية العديد منها مثل مطارة ، وشمشارة ، باسموسيان (ومستوطنات اخرى في حوض دوكان) ونينوى (طبقة I, 2a, 2b, 2c) اربجية ، تبه كوره وغيرها . واتسمت هذه المرحلة بتحولات اجتماعية جديدة نتيجة لزيادة فعاليات مجتمعاتها ، فتطورت خلالها ادوات العمل التي استعملت بكميات كثيرة ، واتسع حجم القرى الزراعية وتطور فن العمارة فيها وحققت مجتمعاتها فائض انتاج اجتماعي كان قد استغل في التبادل التجاري الذي اصبح بنطاق اوسع ليشمل اضافة الى الحاجات الضرورية التي تتطلبها عمليات الانتاج الزراعي المواد الكمالية كاستيراد النحاس والاحجار الكريمة وحجر الستيتايت والاصداف وغيرها . وظهر في اواخر هذه المرحلة التخصص الحرفي وخاصة ما يتعلق بصناعة الفخار وكذلك اواني وادوات حجرية كما ظهر ذلك في (ورشة الفخار) في موقع الاربجية ، كما تميزت بعض الابنية بسعتها وتخطيطها عن سائر ابنية القرية استغلت من اشخاص مميزين بحكم نفوذهم في مثل تلك المجتمعات التي تميزت بما يشبه النظام العشائري الذي يمثل التنظيم السياسي ومما يؤيد ذلك تطور القرى الحلفية وتنسيقها وتحصينها تلبية لمتطلبات دفاعية للمزيد من التفصيلات انظر /

تشايلد ، التطور الاجتماعي (ترجمة لطفي فطيم ، القاهرة ١٩٦٦) ص / ١٧٩ - ١٨٥ .

طه باقر ، (١٩٧٣) ، المرجع السابق ص ٢٠٥ - ٢٢١ .

ثالثا الصحراء الغربية /

تشغل هذه المنطقة (١) الجزء الغربي من العراق على امتداد الجانب الغربي لمجرى نهر الفرات ، وهي امتداد لهضبة الجزيرة العربية حيث تنحدر منها تدريجيا (شرقا) باتجاه السهل الرسوبي ، وتغطي الرمال معظم اراضي هذه المنطقة كما وتكثر فيها الصخور الكلسية والرملية ، وتتخلل هذه الصحراء العديد من الوديان والشعاب وهي خير ملجأ يرتاد اليه الرعاة طلبا للكلأ ، اما مناخها فهو صحراوي جاف وامطارها قليلة جدا لاتفي لاغراض الزراعة واقامة المستوطنات فيها ، عدا بعض الاقسام المنخفضة من هذه المنطقة التي تكثر فيها الغدران والعيون فقامت عندها مستوطنات عديدة ، ومثل هذه البيئة الجغرافية لم تكن مشجعة لعمليات التفاعل المتصاعدة وانما ظلت بطيئة فجاءت من هذه المنطقة مخلفات اثرية من العصر الحجري القديم (٢) ، بينما تعود الى

Oates, J., "Prehistoric Settlement Patterns in Mesopotamia" in Man, Settlement and Urbanism, (London, 1972), pp. 299-310

وسيرد اختصار هذا المصدر خلال البحث تحت / MSU

Perkins, A.L., The Comparative Archaeology of Early Mesopotamia, (Chicago, 1949), pp. 1-45

وسيرد اختصار هذا المصدر خلال البحث تحت / CAM

(١) هستد ، كوردن ، ١٩٤٨ ، المرجع السابق ص/ ٦٥ ـ ٧٤

وانظر الخلف ، د . جاسم محمد ، ١٩٦١ ، المرجع السابق ص/ ٥٠ ـ ٥١

(٢) انظر / طه باقر ، (١٩٧٣) المرجع السابق ص/ ١٧٦ ـ ١٧٧

القسم الادنى منه ويرجح بانها اقدم مخلفات اثرية معروفة للان في العراق . وكانت هذه المنطقة مصدرا ومعبرا لهجرات الاقوام السامية منذ اقدم العهود التي نزحت الى سهول وادى الرافدين ، وقامت عند منابع العيون والغدران مستوطنات عديدة لعلها استغلت منذ عهود قديمة مثل عين التمر والاخيضر والرحالية والوهيبية والرحبة .

رابعا القسم الشمالي لوادى مابين النهرين (١) /

وتشمل هذه المنطقة (٢) الاراضي الواقعة بين نهري دجلة والفرات وتكون اراضيها انحدارا عاما يتدرج من مقدمات المرتفعات الشمالية والشمالية الغربية وحتى الخط الوهمي المار بسامراء على دجلة وهيت على الفرات ، واراضيها متموجة ، يتراوح ارتفاعها بين ١٠٠٠ — ٥٠٠ قدم ويتخللها العديد من المرتفعات التلية الغنية باحجار الكلس ، ومناخ هذا القسم صحراوى وامطاره تسقط بمعدل يتراوح بين ١٢ — ١٦ بوصة (وخاصة في الاجزاء الشمالية) ومثل هذه الكمية من الامطار تكفي للزراعة الديمية اذا لم يحصل تذبذب (٣) في معدل سقوط الامطار لذا

---

(١) يسمى البلدانيون العرب هذه المنطقة ببلاد الجزيرة ، (ياقوت الحموى ، معجم البلدان (١٨٦٨) ص / ٧٢
القزويني ، اثار البلاد واخبار العباد (١٩٦٠) ص / ٣٥١ — ٣٥٢

(٢) هستد (كوردن) المرجع السابق ص / ٣٠ — ٣٢

(٣) تمتاز هذه المنطقة بخصوبة تربتها وهي تغدو في فصل الربيع مكسوة بحلة خضراء تقدم عطاء وفيرا من الغلال اذا لم يحصل تذبذب في معدل سقوط الامطار ، كما يحدث ذلك في بعض السنين حيث تصبح حصة هذه المنطقة اقل من الحد الادنى للزراعة الديمية (وهي ١٢ بوصة) . او حدوث تباين في فترات سقوط الامطار مثلا في فترة لاتستفيد منها المحاصيل الزراعية

النهرين (من الخط الوهمي سامراء — هيت) شمالا وحتى سواحل الخليج العربي جنوبا اذ لايزيد ارتفاع اعلى نقطة فيه عن (١٥٠) قدم عن مستوى سطح البحر باستثناء التلول الاثرية او ما يمثل بقايا مشاريع الري المندثرة والمنتشرة في ارجائه ، بينما تنتشر في بعض اجزائه اراض منخفضة عن المستوى العام للسطح وهي تمثل الاهوار والمستنقعات ، وتكوين هذا السهل ناتج عن فعل ترسبات الانهار وما تحملها

(السواد) انظر/ ياقوت الحموي ١٨٦٨ م ٣ ج١ ص/ ١٧٤ ، ١٨٠ والقزويني ، اثار البلاد واخبار العباد (١٩٦٠) ص ٣٠٤) . وبابل (انظر / الاصطخري (١٩٢٧) ص ٢٤٤ والحموي م ٣ ج ٢ ص/ ٦٣٠) . وجاء في سفر التكوين (١/ ١٠ و ١١/ ٢) ان هذا يعرف ببلاد بابل وكان يعرف قديما ببلاد شنعار (انظر جورج بوست (١٨٩٤) م ١ ص ٣٧ ، ١٩٦) . وذهب الاستاذ كريمر ان شنعار التي تحدد ب ببلاد سومر يراد بها (سومر ـ اكد) وقد حاول ان يقتفي نهج الاستاذ (ارنوبول) بايجاد مخارج لغوية للربط بين سومر (شومير Shumer) . وكلمة شم (١٠ اسم الابن الاكبر لنوح) . Kramer, S.N., The Sumerians, (1964), pp.297-299) ان نظرية الاستاذ بوبل هذه ضعيفة وانها لم تلق اى اهتمام من دارسي الاشوريات من جهة ثم المشاكل اللغوية التي تجابه عند الربط بين الكلمتين لانه قد حمل الموضوع بفرضيات اكثر مما يمكن ان يتحمله الموضوع . المهم هنا ان السهل الرسوبي كان يعرف ببلاد سومر واكد وهذه التسمية ظهرت في عصر النهضة السومرية لاول مرة وذلك في عهد الملك اوتوحيكال الذي تلقب لاول مرة بلقب ملك بلاد سومر واكد (Lugal ki-en-gi ki-uri ان القسم الجنوبي من هذا السهل ابتداء من مدينة نفر شمالا وحتى الخليج العربي كان يعرف ببلاد سومر (شومير Shumer) وتكتب بالعلامات المسمارية .KI.EN GI . اما القسم العلوى من السهل (ابتداء من نفر وحتى سامراء — هيت) فكان يعرف باسم بلاد اكد (Ki-uri) . ويفيدنا هنا المعاني اللفظية المقترحة للمقاطع السومرية التي تكون مصطلح بلاد سومر لانها تمثل واقع البيئة الجغرافية لهذا القسم . فمصطلح KI.EN.GI يعني لفظيا على مايرجح بلاد سيد القصب ويشير الى بلاد الاله انكي (انظر: Roux, J., Ancient Iraq, (1964) p.75 n. 17)

الرياح من رمال[١] وهناك العديد من الدراسات تناولت تكوين السهل الرسوبي وحده الجنوبي يمكن حصرها بمدرستين الاولى وهي النظرية الاثارية[٢] (القديمة) التي ظلت سائدة حتى مطلع الخمسينات من هذا القرن ويرى اصحابها: ان السهل الجنوبي حديث التكوين وكانت المنطقة مغمورة تحت مياه البحر (الخليج العربي) وتكّون بفعل ترسبات نهري دجلة والفرات وما يحملهما نهرا كرخا وكارون اللذان ينبعان من الاراضي الايرانية هذا اضافة الى ترسبات السيول المنحدرة من الهضبة الغربية وكميات رمال العواصف القادمة من هذه الهضبة ، ونتيجة لهذه العوامل انحسرت تدريجيا مياه الخليج العربي جنوبا ، فاعتقد عدد غير قليل من الباحثين ان الشاطيء الشمالي للخليج العربي كان في

---

(١) هستد ، كوردن (١٩٤٨) المرجع السابق ص/ ٤٥ ـ ٦٤ و الخلف د . جاسم محمد (١٩٦١) المرجع السابق ص/ ٣٩ ـ ٤٣

(٢) اعتمدت هذه المدرسة على ظاهرة الترسبات الغرينية التي تحملها انهر دجلة والفرات وكارون بكميات كبيرة سنويا فاعتقد بانها تفرغ في الخليج العربي مما تسبب الى تراجع الساحل ، وكذلك الاشارة الى ما ورد في المصادر القديمة عن وقوع بعض المدن القديمة على الساحل او بالقرب منه وقد تبنى الاثاري " موركان " منقب سوسة هذه النظرية في مطلع هذا القرن ونشر عنها عام ١٩٠٠ ومن ثم تبلورت الدراسات عنها وللمزيد من التفصيلات انظر /

De Morgan, Memoires dela delagationen perse, I(1900)p.4ff

Wilson, A.T., The Persian Gulf (1928)p.3ff.

هستد (كوردن)// (١٩٤٨) المرجع السابق ص/ ٤٥ ـ ٥٢

عصور ماقبل التاريخ اى في حدود ٤٠٠٠ ق٠م (١) على بعد مايقارب من ٩٠ كم الى الشمال الغربي من مدينة بغداد اى على مقربة من الخط الوهمي (سامراء ـ هيت) ومن ثم اخذ الساحل يتقدم تدريجيا نحو الجنوب (٢) ٠ اما المدرسة الثانية والتي رائدها الجيولوجيان (ليه وفالكون Lees&Falcon) (٣) ، عندما قدما عام ١٩٥٢ دراسة جديدة عن السهل الرسوبي وخلاصتها ـ ان تكوين السهل الرسوبي لم يتم بمثل هذه الفترة القصيرة وبالطريقة التي يراها اصحاب النظرية الاثارية (القديمة) ، ويعتقدان ـ بان ترسبات دجلة والفرات

---

(١) LLoyd,S., Twin Rivers(Oxford,1943) p.19

(٢) دعم الاثاريون فكرة الانحسار التدريجي لمياه الخليج وتكوين الدلتا في مرحلة لم تجر تنقيبات واسعة عن مستوطنات ماقبل التاريخ في هذا السهل ،كما استندوا على ماورد من اشارات في المدونات المسمارية والتي تحدد مواضع بعض المدن القديمة على ساحل البحر كما نجد ذلك مثلا في اسطورة ادبا واريد والتي ذكران موضع كل من مدينة اور واريد وعلى البحر (انظر / الامين (١٩٥٣) ص ٤٥ـ٥٢) ٠ وذهب لويد الى ان الحد الشمالي للخليج العربي في العصر السومري كان عند مدينتي (اور) الناصرية على الفرات والعمارة على دجلة (انظر /
Lloyd,S.,Foundation in the Dust,Story of Mesopotamia Exploration (London,1947)p.17

(٣) Lees,G.M.& Falcon,N.L.,"The Geographical History of the MesopotamianPlains" Geographical Journal Vol. 118,(1952)pp.24-39

وكارون لاتؤدى الى بناء دلتا تتقدم الى الامام ، وانما تستلم منخفضات القسم الجنوبي اكبر كمية من الترسبات التي تحملها هذه الانهار اما مايصل منها الى شط العرب فتكون نسبة ضئيلة (١) ، وان هذا السهل كان ومايزال مستمرا في الانخساف (Subsidence) كنتيجة حركات باطنية (تكتونية) وكذلك ثقل كميات الترسبات بحيث هناك توازن تقريبي بين عملية الانخساف والترسيب لذا تتبدد فعل الترسبات الغرينية في ارتفاع سطح هذا السهل كما انها لاتسبب في ردم المنخفضات (الاهوار والمستنقعات) وقد توصلا في دراستهما الى ان ساحل الخليج العربي كان في العصر السومري الى الجنوب الشرقي من موقعه الحالي ،

وقد تبنى وتناول هذه النظرية عدد غير قليل من الباحثين . هذا وما تزال الابحاث الجيولوجية والدراسات الاثارية المستمرة تمدنا بمعلومات جديدة عن حوض الخليج العربي (٢) وتكوين السهل الرسوبي . ولعل

---

(١) تشير الدراسات الحديثة الى ان نهرى دجلة والفرات يفرغان ترسباتهما قبل دخولهما الى الخليج العربي ، ومقدار الترسبات التي يتركانه سنويا هو ار. سنتمتر في القسم الاسفل من السهل الرسوبي و ١ سنتيمتر في الاهوار والمنخفضات الجنوبية .

هذا ماجاء في الدراسة التي قدمها عام ١٩٧٠ كل من /

Berry, R.W., and et al. "Mineralogy of the suspended Sediment... in JSP, (1970) pp. 131-139

Jawad, A.J., "The Eridu Material" SUMER Vol, XXX, (1974) pp 20-21 , n. 26

(٢) ضمن الابحاث الجيولوجية لقاع الخليج التي قامت بها بعثة من المانيا الاتحادية (التي بدأت عام ١٩٦٤) توصل احد اعضائها الى نتائج لها علاقة بالبيئة الجغرافية للسهل الرسوبي وخلاصتها (ان الخليج العربي

تلك الابحاث والدراسات تفيد في تبديد اسانيد النظرية القديمة، كان لم يعثر على مخلفات تشير الى امتداد مياه البحر (١) الى هذا السهل كما وان التنقيبات والمسوحات الاثرية تؤكد على كون الاستيطان في الجزء الجنوبي من هذا السهل يرجع الى ادوار ثقافية من فترات ماقبل التاريخ بمدى اقدم مما تصوره مؤيدو النظرية القديمة .

= كان واديا جافا بين ١٦٠٠٠ و ١٢٠٠٠ ق م وبدأ يمتلىء من ١٢٠٠٠ ـ ٤٣٠٠٠ ق م بعد العصر الجليدي الاخير، وانه في حوالي ٥٥٠٠ ق م حدث تغير فجائي للمناخ فاصبح مناخا كثير الرطوبة وانه حتى في حدود ٥٠٠ ٣ ق م يمكن ان حدث فيضان كبير كل عام، مما جعل الاستيطان في القسم الجنوبي غير ممكن وفي حوالي ٣٥٠٠ ق م حدث تغير فجائي اخر في المناخ مما جعل المنطقة صالحة للاستيطان، وتشير تلك الابحاث ان مستوى سطح البحر بلغ حوالي ٣م اعلى عن مستواه الحالي عندما بلغ المناخ درجته القصوى في الفترة حوالي ٤٠٠٠ ـ ٣٥٠٠ ق م مما غطت مياه المحيط القسم الجنوبي من العراق حتى حدود منطقة اور ثم في حدود ٣٥٠٠ ق م تناقص مستوى سطح البحر مرة اخرى الى مستواه الحالي ويستنتج من ظاهرة تبدل المناخ وتناقص مستوى سطح البحر الى ان المنطقة اصبحت صالحة للاستيطان في حوالي ٣٥٠٠ ق م أما بالنسبة لمنطقة اريدو .. والعبيد وأور فيرى اعتمادا على الخرائط الجيولوجية بانها تحتل تشكيلا جيولوجيا اقدم زمنا بكثير (سومر م ٣٠ (١٩٧٤) ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤) . وان هذه الدراسة على اهميتها الا انها تفتقر الى الادلة الاثرية .

(١) نفتقر الى دليل اثري يشير الى مخلفات المياه المالحة (البحر) رغم استمرار الحفر تحت مستوى الطبقات الاستيطانية وضمن الارض البكر، ففي موقع اريد واستمر الحفر الى عمق ٥م تحت اقدم طبقة استيطانية فظهر رمل نقي لونه مائل الى الخضرة على غرار الرمال المتراكمة خارج الموقع (انظر / لويد ، سفر (١٩٤٨) سومر م ٤ ج ٢ ص ٢٨٢) . ونفس النتيجة ظهرت في نقطة اخرى من هذا الموقع وهي (حفر الاكواخ) سفر / (١٩٤٩) ص ١٦٣ ـ ١٦٤ ... هذا وقد اشار الجيولوجي الهولندي الدكتور بيرينك (Buringh) الى ان التحريات والفحوص الجيولوجية لم تكشف عن اية مخلفات بحرية في السهل الرسوبي من العراق .

ان بيئة السهل الرسوبي تنفرد بخصائص طبيعية تحتم على مجتمعاتها تصعيد تفاعلها مع محيطها رغم تيسر معظم المتطلبات الاساسية للانتعاش المادي الزراعي والحيواني فهذا السهل يمتاز بصلاحية تربتها للانتاج الزراعي لاحتوائها على نسب متباينة من المواد العضوية خاصة الاراضي القريبة من مصادر المياه اما المناطق البعيدة عنها فتكون تربتها مفككة وقلما نجد في هذا السهل تربة صلبة (١) ، اما المناخ فهو صحراوي (٢) ومعدل سقوط الامطار يتراوح بين ٢ ـ ٦ بوصة سنويا لذا لايمكن الاعتماد عليها في مجالات الانتاج ، وخاصة الزراعة ، لذا كان تركز الاستيطان في الغالب عند ضفاف الانهار وفروعها ، ومثل هذه الظاهرة تستوجب وجود نظام محكم للأرواء لاستغلال المياه بشكل منظم طالما هناك من العوامل ما تؤثر في مدى الاستفادة من مياه الانهار وفي مقدمتها الفيضانات السنوية غير المنتظمة بخلاف فيضان نهر النيل ، ان فيضانات دجلة والفرات تكاد ان تغطي مياهها اراضي شاسعة من هذا السهل فظل الانسان عاجزا امام طغيانها منذ اقدم العصور وكثيرا ما تصبح وبالا على معظم مظاهر

Buringh, P., "Living Conditions in the lower Mesopotamian Plain in Ancient Times," SUMER Vol.XIII (1957) p. 36f.

(١) الخلف (د. جاسم محمد) ـ (١٩٦١) ص ١٣٩ ـ ١٤٣

(٢) اهم ما يميز مناخ هذا القسم فصلان طويلان . هما شتاء بارد تبلغ درجات الحرارة فيه الى مافوق درجة الانجماد بقليل ، وصيف حار جدا تصل درجات الحرارة الى ٥٠° مئوية مما تساعد في زيادة التبخر نظرا لسعة الاراضي المستنقعية والاهوار (هستد كوردان) ؛ ١٩٤٨) ص ٧٥ ـ ١٠٩

الطائي (د. محمد حامد) تحديد اقسام سطح العراق ، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية العدد (٥) لسنة (١٩٦٩) ص ٢٨ ، ٣٩

العمران (١) • ومن الآثار السيئة للفيضانات ترك كميات كبيرة من العوالق والترسبات التي تسبب في ارتفاع مستوى مجاري الانهار والقنوات المتفرعة عنها مما تتطلب الى عمليات الكري والاصلاح • هذا وتنقل مع مياه الفيضانات كميات كبيرة من الاملاح لان سرعة انحدارها لاتدع مجالا لترشيح تلك الاملاح التي تتجمع في الاقسام المنخفضة من هذا السهل (٢) ، هذا ناهيك عن مغالاة الفلاح العراقي في استخدامه المياه عند السقي وعدم وجود مبازل لتصريفها لذا بعد عملية تبخر المياه تترك كميات كبيرة من الاملاح وعندما تتحول الاراضي الى مناطق غير صالحة للزراعة • ان هذه الظاهرة كانت احد العوامل المهمة في هجرة الاراضي الزراعية منذ اقدم العهود وقد طمرت مدنا كانت زاهرة باقتصادياتها (٣) •

ان الفيضانات السنوية تمون باستمرار الاهوار والمستنقعات التي تشغل مساحات كبيرة من هذا السهل، وعندما تمتليء تمتد المياه الى اراضي شاسعة خارج تلك المنخفضات حتى تصل المناطق التي تغمرها المياه حوالي ٢٠ الف كيلومتر مربع ، وتظهر اليابسة بعد انحسار المياه الى الخليج •

---

(١) لقد انعكست اهوال ظاهرة الفيضانات في ادراك المجتمع العراقي القديم بكل وضوح اذ لم يكتف للتعبير بدقة عما تسببه فحسب وانما ذهب الى ابعد من ذلك عندما حيك عنها القصص الخيالية كما نجد ذلك في قصة الطوفان السومرية والتي تبلورت وتوسعت بافكارها في صيغتها البابلية •
(للوقوف على تفاصيل قصة الطوفان انظر :
علي (د • فاضل عبد الواحد) " ثم جاء الطوفان " سومر ٣١ (١٨٧٥) ،

(٢) حيدر (د • صالح) التطور الاقتصادي في العراق ، بغداد (١٩٥٤) ص ١٩

(٣) Jacobsen, Th. and Adams, R.MCc " Salt and Silt in Ancient Mesopotamian Agriculture. " SCIENCE, 128, (1958) pp. 1251-58

بينما ينتشر الرفـاة في المناطق التي تكثر فيها الاليفـسنة قرب حقولهم ، والتي تنمو قرب مصادر المياه • وفي ظل هذه البيئة النباتات الطبيعية والحشائش الجغرافية اعتمدت مجتمعات هذا السهل منذ مراحل الاستيطان الاولى على المواد الاولية المتيسرة في تشييد المنشات والابنية المختلفة فالمساكن البدائية كانت بهيئة اكواخ شيدت من القصب وسعيت جوانبها من الداخل والخارج بالطين كما نجد ذلك في كوخ الطبقة العاشرة من اريدو والذى اعتبره الاستاذ سفر عام ١٩٤٩(١) اقدم كوخ مكتشف في جنوبي العراق ويعتبر الطين المادة البنائية الرئيسة في هـــذا السهل فاستعمل اما بطريقة تراكم كتل منه كما في الابنية المعروفة بالطوف او بصنع اللبن المقولب بعد تجفيفه ويستخدم الطين كملاط للابنية المشيدة باللبن والذى شاع استعماله في معظم انحاء العراق وعلى مر العصور ، حتى ان تسعين بالمائة على اقل تقدير من ابنيـة العراق القديم مشيدة باللبن وقد اهتدى الى فخر قوالب اللبن بواسطة النار للحصول على الاجر المفخور الذى يعد بمثابة الحجر الاصطناعي في الاماكن التي يندر فيها الحجر كما هو الحال في هـــذا السهل • اما الملاط الذى استعمل مع الاجر فكان مادة الطين او القار الذى كان يجلب من مصادره في القسم الشمالي من العراق ، واخيـــرا استعمل الجص في المرحلة المتقدمة رغم انه كان معروفا منذ اقدم العصور نستلخص مما تقدم ان البيئة الجغرافية للسهل الرسوبي اكثر تقلبا وغيـــر مستقرة بالنسبة لسائر اقسام القطر الا ان انفراده بتلك الخصائص الطبيعية جعلت منه مجالا خصبا لقيام تغيرات اجتماعية سريعة حققت بزوغ فجـــر

---

(١) سفره فؤاد (١٩٤٩) سومر م ٥ حـ٢ ص ١٦٦ — ١٦٩

الحضـــــارة لم قبل اى جزء آخر كنتيجة لتصميد عمليات التفاعل الاجتماعي والطبيعي . فمنذ أقدم مراحل الاستيطان (١) في هذا السهل سعــــت مجتمعاته للتكيف مع هذه البيئة والتلغب الى حد ما على ظاهرة الفيضانات وتجفيف المستنقعات (٢) فعمد طلائع العبيديين الى استغلال مياه الفيضان المتجمعة في الاقسام المنخفضة لاغراض الارواء كممارسات اولية لاعتمـــــاد مستوطنات هذا السهل على نظام الري (٣) ذلك بحفر القنوات وان كانـت على نطاق ضيق ، فهناك دليل أثري من اريدو يشير الى قناة (٤) قديمة

---

(١) يدلنا سجل الحفائر الاثارية ان اقدم مراحل الاستيطان في القسم الجنوبـي من العراق يرجع الى دور العبيد الاول انظـر :
سفر (١٩٤٨) سومر ٤ ج٢ ص٢٧٦ ـ ٢٨٤ و(١٩٤٩) سومر ٥ ج٢ ص ١٦١ ـ ١٦٤
Oates,J.,"Ur and Eridu, The Prehistory"
IRAQ, Vol. XXIIp. 32 .

لكن المسوحات الاثرية الاخيرة التي قام بها الاستاذ آدمز في ربيع ١٩٧٥ هدتنا الى آثار وجدت في مستوطن يقع على بعد ١٦ كم شمال غرب الوركـاء يرجح انه من دور سامراء انظـــر :
Adams,R.MCc.,In SUMER Vol. 31(1975),pp.11-14

(٢) Oates,J.,(1960)Op.cit. IRAQ,Vol. XXII,p. 48

(٣) Oates,J., (1972) Op.Cit. in MSU,p 303f.
Adams,R.MCC., City Invincible (chicago,1960).p. 25, 279.
وسيرد اختصار هذا المصدر تحت CI

(٤) سفر (فؤاد) حفريات مديرية الاثار القديمة العامة في اريدو سومر م ٥ ج١ (١٩٤٩) ص١٦١ ـ ١٦٤

مندرســـــة يرجح انها حفرت واستعملت خلال مراحل الاستيطان الاولى لهذا الموقع(١) ، وهناك دليل اخر عن ممارسة اعمال الرى في دور العبيد جاء من موقع " جوخة مامي " بمنطقة مندلي(٢) ، حيث استظهرت معالم قنـــاة عرضها ٤ ـ ٦ م من دور العبيد(٣) الثالث . ان تنفيذ اعمال الرى في ظـل هذه البيئة الجغرافية تعتبر من المهام الكبرى التي تعتمد على الاعمـــال الجماعية المشتركة . وتتطلب وجود مؤسسة يشرف على ادارة وتنظيم تلـــك الاعمال ، والمؤسسة التي تتولى مثل هذه المهام يصبح لها نفودا وهيبـــة تمكنها من فرض سلطتها على المجتمع ، وبما ان الادلة الاثرية المتيســـرة للان . كما ستوضح ذلك خلال هذه الدراسة لاتشير الى وجود مراكـــز

---

(١) ان الفخاريات المنتشرة على التلول القائمة على جانبي هذه القناة تعود الى الالف الثاني ق.م (سفر . نفس المصدر السابق) . غير ان ياكوبسن يرجح ان القناة كانت موجودة في الالف الثالث ق.م . وكانت تمتد الى سهل اريدو ويعتقد بانها " قناة اريدو " التي ورد ذكرها في النصوص المسماريـــة القديمة (ادنن Idnun) والتي بواسطتها نقلت الالهة انانا فنون الحضارة من اريدو الى مدينة الوركاء ، وكانت هذه القناة تتفرع من الجانب الايمـــن لمجرى الفرات واعتمد ياكوبسن في ذلك على نتائج المسوحات الاثرية لمنطقة سومر وبالمقارنة مع النصوص المدونة القديمة ذات العلاقة بالموضوع انظر :

Jacobsen,Th.,"The Waters of Ur"IRAQ,Vol.22,(1960) p.180f.

(٢) Oates,J.,"Choga Mami 1967-68",IRAQ,Vol.31,(1969),p.128

(٣) : تكاد آراء الباحثين تستقر الان على تقسيم مايسمى بالعبيد الى اربعة اطوار/
العبيد الاول = طور اريدو والطبقات ١٩ ـ ١٥
العبيد الثاني = طور حاجي محمد وراس العمية (تقابله الطبقات ١٤ ـ ١٢ من اريدو)

قـــوي ونفوذ خارج نطاق المعبد وعليه فقد تولى هذا البناء كؤسسة اجتماعية منذ اوائل ادوار الاستيطان المعروفة في هذا السهل وانفـــردت بمهام الاشراف على مختلف اوجه النشاط الاجتماعي خلال الفترة من ظهورها وحتى اواخر دور الشبيه بالكتابة ، وتعتبر هذه الفترة مرحلة تطورية والمتمثلة بـ " مرحلة سيادة المعبد " .(

وشهد السهل الرسوبي خلال الدور الاول من هذه المرحلة تصاعد قدرة مجتمعاته للتحكم في بيئتها ذلك باستغلال المزيد من الاراضـــي فتزايد عدد المستوطنات الزراعية كما تدلنا على ذلك كثرة المواقع الاثريـــة المنتشرة في هذا السهل(١) ونتيجة جهود تلك المجتمعات في تطويـــر ادواتها حققت ابداعات واختراعات جديدة(٢) وسبل تقنية لتطوير نظام الري وتوسيع نطاقه وتسخير كل ذلك لعمليات الانتاج التي حققت نموا في " فائض الانتاج الاجتماعي " وقد ساهم هذا النمو في تطوير تلك المجتمعات ووصولها

- الطور الثالث = كان يسمى سابقا العبيد القديم (اريدو ، العبيد او الخ)
الطور الرابع = كان يسمى العبيد المتأخر
انظر : طه باقر : (١٩٧٣) المرجع السابق ص ٢٠٧ ، ٢٢٤
Oates,J.,(1960),Op.Cit. p.32ff

(١) دليل المواقع الاثرية في العراق ـ مديرية الاثار العامة بغداد ١٩٧١
Adams,R.M.,and Nissen,H.J., The Uruk Contrysid,
(chicago,1972)

(٢) Child,V.G., New Light on the most Ancient East.
(London 1952), p. 115f

فاتسعت (Urbanization) الى مايعرف بمرحلة التمدن (المستوطنات الزراعية تدريجيا لتأخذ شكل مدن منتظمة نشطت بمؤسساتها الاجتماعية المتمركزة في معبد المدينة . وبرزت سيادتها بشكل واضح وفعال في الدور الثاني من مرحلة سيادة المعبد (اى دور الازدهار) عندما توسعت قابليات المجتمع الانتاجية لتشمل الى جانب مجالات الانتاج الزراعي والحيواني اوجه اخرى من النشاط الاقتصادي كزيادة حجم التبادل التجاري والتوسع في التخصص الحرفي ، وظلت مؤسسة المعبد منفردة بمهام الاشراف التام على جميع اوجه النشاط الاجتماعي حتى ظهور اولى السلالات الحاكمة والمتمثلة بدويلات المدن السومرية التي تسلمت مهام السلطة السياسية والاشراف على شؤون المجتمع تحت الواجهة الدينية للمعبد. إن الانجازات المادية الكبيرة التي حققتها مجتمعات السهل الرسوبي من العراق كما كشفتها لنا التنقيبات الاثرية سواء في مرحلة سيادة المعبد او في الادوار التاريخية المتعاقبة لها فهي دلائل مادية اكيدة على عظم تفاعل هذه المجتمعات مع بيئتها خلال ممارساتها لعمليات الانتاج ، والى جانب الدليل الاثري فقد امدتنا النتاجات الفكرية التي جاء بها العراقيون القدامى بصور ادبية رائعة عن اوجه التفاعل الاجتماعي والطبيعي فهي بلا شك جاءت انعكاساً لاحداث من واقع الوجود الاجتماعي ، فاسطورة " انكي ونظام الكون "(١) رغم طابعها الميثولوجي تشير الى صور مبهمة لمجالات النشاط الاجتماعي في المجتمع السومري، فالى جانب اهتمامها بالمجالات الروحية ومكانة الالهة ومركز الاله انكي في تقرير المصائر تؤكد على المكانة السامية لمعبده ابزو

---

(١) Kramer, S.N., (1964), Op.Cit.pp.171-183.

فـي مدينة اريدوكما ان هذه الاسطورة تعالج بكل دقة ووضوح مختلف متطلبات الحياة المادية للمجتمعات القديمة وما وصلت اليه بلاد سومر من رفاه اقتصادى ورفعة بين سائر بلدان العالم ، وابرزت الاسطورة جميع المستلزمات الاساسية لعمليات الانتاج ، وخاصة ما يتعلق بالانتاج الزراعي والحيواني ، فتشير الى الفيضان واهواله والى ضرورة تنظيم الرى ومستلزمات الاشراف على القنوات فيعين الاله انكي عليها مشرفاً برتبة اله هو الاله اينبيلولو" Enbilulu " هذا الى جانب التأكيد على دور وسائل الأنتاج الاخرى الانسان العامل وادوات العمل ولم تغفل الاسطورة اهمية التجارة وعلاقات بلاد سومر بالبلدان الخارجية ، ان موارد هذه الاسطورة تعكس لنا عن احتياجات المجتمعات القديمة خلال ممارساتها لعمليات الانتاج كما انها تجعل جميع مجالات النشاط الاجتماعي تحت اشراف الالهة وبذلك تأكيد على مكانة المعبد باعتباره بيت الآله .

الفصل الثاني

مفهوم المعبد

ساحاول في هذا الفصل الوقوف على مفهوم المعبد في المجتمع العراقي القديم من خلال واقع النظام الاجتماعي لذلك المجتمع الذى وجدت فيه هذه المؤسسة الدينية الحضارية ، وبتعبير آخر البحث في طبيعة أسلوب الانتاج والمؤسسات الاجتماعية المرتبطة به في كل مرحلة تطورية . ومن دراستنا لمراحل التراث الثقافي والحضارى لقطرنا نستلخص ان المعبد كان يمثل اعلى مؤسسة اجتماعية أسهمت تاريخيا وبقدر معين سواء بصورة مباشرة وغير مباشرة في التأثير على الحياة الاقتصادية والاجتماعية بالنسبة لمجتمعنا القديم .

لقد تجلت مكانة مؤسسة المعبد من خلال مساهمتها في عمليات التطور الاجتماعي التي شهدها القسم الجنوبي من العراق (١) . وبصورة خاصة الشطر الأول من هذه المرحلة وهي الفترة التي تتناولها هذه الرسالة ، حيث تميز بتركيز معظم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية حول مؤسسة المعبد نتيجة تصاعد النشاط الاجتماعي الذى حقق وفرة في الانتاج او كما يسميه تشايلد (٢) ((فائض الانتاج الاجتماعي)) وكان المعبد مركزا لتجمعه .

---

(١) اى من بداية دور العبيد الاول وحتى نهاية عصور فجر السلالات . لمزيد من التوضيح انظر / تشايلد / ((ماذا حدث في التاريخ)) .. (ترجمة / جورج حداد ـ القاهرة ١٩٥٦) ص ٨٨ وما يليها كذلك انظر / فرانكفورت / (فجر الحضارة في الشرق الادنى)) (ترجمة / ميخائيل خورى ـ القاهرة ١٩٥٩) ، ص ٦٣ وما يليها .

(٢) تشايلد / (التطور الاجتماعي) (ترجمة / لطفي فطيم ـ القاهرة ١٩٦٦ ، ص . ١٨٦ ـ ١٨٧) ..

ومن هذا المنطلق يصبح بالامكان تفهم دور المعبد بالنسبة لكل مرحلة تطورية مر بها ، الا ان مثل هذا الاسلوب من المعالجة تعترضه مشاكل عديدة سواء ما يتعلق بالمفاهيم التي تنظر الى مؤسسة المعبد باعتبارها من ابرز مظاهر الديانة في العراق القديم اوما يتصل منها بعديد من الدراسات التحليلية التي اضطلع بها لفيف من الباحثين والعاملين في مجالات التاريخ الحضاري .والتي اسهمت بلا شك في ابراز وظائف المعبد الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع العراقي القديم عبر مختلف مراحله التطورية ، الا انها ظلت مع ذلك بعيدة عن تحديد العوامل التي ادت الى ظهور التحولات الاجتماعية الجديدة التي واكبت ظهور مؤسسة المعبد. وبناء على ذلك فأن الدارس يرى من المفيد تقديم عرض موجز لأبرز ما يتعلق بالمعبد من حيث البناء والمظهر والخصائص وكذلك جملة الآراء والمصطلحات التي يستلزمها البحث في ذلك ، بغية الوصول الى المعرفة في اعطاء الصورة الممكنة التي تستهدفها في هذه الرسالة . ومن اجل ذلك فاننا سنستعرض فيما يأتي المظاهر اللغوية والعمارية والدينية وكل ما يوصلنا الى الغرض المذكــــور .

المظهـــر اللغوي /ـ

تدل كلمة ((المَعْبَدْ)) على اسم مكان بمعنى (موضع العبادة)(1)

(1) البستاني "بطرس" محيط المحيط ج 2 ص 1362 . كما تستعمل كلمة المُتعَبَّد (البستاني "الشيخ عبد الله" البستان" (بيروت 1930) ج 2 ص 1056) وهذه الكلمة اصح لغويا ، لان اسم المكان هنا صيغ من الفعل الماضي غير الثلاثي (تعبد) . حيث يصاغ على وزن المضارع مع ابدال اوله ميما مضمومة وفتح الحرف الاول الذي قبل الاخر [حسن عباس/ النحو الوافي (القاهرة 1963) ج 3 ص 271] واللغويون يستعملون كلمة المتعبد وجمعها

وان اللفظة التي استخدمها السومريون للدلالة على ذلك هي (é) وتعني فيما تعنيه البيت او المسكن بمختلف اشكاله وصوره ، والعلامة التي تكتب بها هي [علامة] ، [علامة] . ويرى فلكنشتاين (١) ، ربما تمثل هذه العلامة واجهة معبد مع مدخل ضيق على اغرار مايشاهد في الرسوم الموجودة على بعض الاختام الاسطوانية ، وبعض الادوات الحجر والتي ترمز الى المعابد " . وتقابل العلامة (é) في اللغة الاكدية ، استنادا الى ماورد في القواميس والمعاجم اللغوية كلمة bītu (٢) اى " البيت " ومنها جاءت عبارة bīt-ili وتعني بيت الاله اى معبده (٣) .

= المتعبدات كما جاء ذلك عن الازهرى في لسان العرب (ابن منظور/ لسان العرب (١٩٥٦) م ٨ ص ٢٨) وكذلك (الثعالبي ، فقه اللغة (تحقيق/ مصطفى السقا ، القاهرة ١٩٣٨ ص ٣٠٥ وانظر / الفيومي / مصباح المنير ، ص ٢٧٠ .

(١) Falkenstein,A., ATU ,p.51

(٢) CAD. B, p.282f. s.v. bītu

(٣) في معظم الديانات سواء مايعرف منها بالسماوية او الوضعية يطلق على موضع العبادة اسم بيت الاله ، فالعبارة الاكدية bīt-ili تقابلها في السومرية (e-dingir-ra) . وفي العبرية تعني عبارة بيت إيـل (بيت الاله) . وفي العهد القديم جملة اخبار عنه منها قيام ابراهيم الخليل باقامة موضع للعبادة فيه (سفر التكوين ١٢ : ٨) وكذلك قصة رؤيا يعقوب وتسميته لهذا الموضع . بيت ايل . (د . جورج بوست / قاموس الكتاب المقدس (١٨٩٤) م ١ ص ٢٦٣ - ٢٦٤) وانظر سفر التكوين ٢٨ ، ١١ - ١٩) وجاء في السطر ١٧ (وخاف وقال ما ارهب هذا المكان ماهذا الا بيت الله وهذا باب السماء) كما سمي معبد سليمان في القدس بيت الرب (العهد القديم)

وفي القرآن الكريم وردت ايات تسمي موضع العبادة " بيت او بيوت الله " منها (وان بوانا لابراهيم مكان البيت ان لاتشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود) (سورة الحج / ٢٦) وكذلك (في بيوت اذن الله ان ترفع =

وقد خصص السومريون لآلهتهم معابد ومزارات كثيرة وكانت العلامة
تتقدم تلك الاسماء (١) ، ومن التسميات التي ترد دلالة على المعبد عبـــارة
(اى ــ كر ــرا) وتقابلها في الاكدية كلمة ekurru (٢) . وذلـــك
اعتبارا من العهد البابلي القديم وما قبل ذلك (حتى العهد السومري) وهي
مستعارة من اللغة السومرية [e-kur(-ra)] اى ((بيت الجبل)) وهي
في الاصل اسم معبد الاله انليل في نفر لانه يمثل المعبد الرئيسي لجميع
بلاد سومر (٣) . وتفيد الكلمة البابلية ašīrtu (٤) في الدلالة علـى
المعبد (اى المكان المقدس) بوجه عام ، وتستعمل بصورة خاصة اسمـــا
لهيكل المعبد (Cella) اى خلوة المعبد ، وتطلق ايضا على غرفة
صغيرة من بيت (خاص) خصصت لاداء الطقوس والشعائر الدينية فيها .
اما الكلمة الاكدية ekallu (٥) التي هي من الكلمات المستعارة من اللغة

= ترفع ويذكر فيها اسمه ...)) (النـور / ٣٦)

(١) وهو مايسمى في اللغة السومرية بالعلامات الدالة determinative sign
اى التي تشير الى طبيعة مايليها وهو امر شائع في اللغة السومرية كاحدى
خصائصها كما يتجلى ذلك في اسماء الالهة والنباتات ... الخ .

(٢) CAD.;E;p.7,72

(٣) استنادا الى الفكر الديني السومري كان جميع حكام وملوك سومر يستمدون
سلطتهم من الاله انليل (رئيس الالهة) الذى كان مركز عبادته في مدينة نفر
وبالرغم من غياب الوحدة السياسية بين دويلات المدن لكن وحدة البلاد الدينية
كانت تتجسد بمركز مدينة نفر الديني كما يشير الى ذلك ياكوبسن انظر :
Jacobsen,Th.,"Early Political Devlopment in Mesopotamia"
Toward the Image of Tammuz and other Esays on Mesopotamian History and Culture,(1970),p.139
وسوف يرد اختصار هذا المصدر تحت TITM

(٤) CAD.A;II,p.436f.s.v.ašīrtu

(٥) CAD.E;p.52 s.v.ekallu

السومرية واصلها (é.gal) اى " البيت الكبير" القصر. فانها تفيد معاني عدة يضاف الى ان بعض المعابد قد اخذت في تسمياتها نفس الصيغة (١).. ويستدل من ذلك ان كلمة ((معبد)) تدل على موضع مقدس يقصده الناس لاداء طقوسهم وشعائرهم الدينية تكريما وتقربا الى معبوداتهم السائدة . وقد حظيت اماكن العبادة منذ ظهورها بقسط متميز من العناية حيث تدل بقاياها واوصافها التي وردتنا مدونة في آداب المجتمع القديم على ان موارد مادية وطاقات بشرية كبيرة كانت قد تم حشدها من اجلها يضاف الى ذلك ، ان المصادر الكتابية تحدثنا عن مظاهر الابهة والقدسية التي كانت تجللها ومن ابرز المظاهر المتميزة هي عظمة وفخامة ماوصل الينا من هذه الابنية بالقياس الى مايجاورها من مبان اخرى في الغالب هي غير دينية ، هذا والى جانب ذلك ما تختص به ابنية المعابد من مميزات عمارية ومواد طقوسية تميزها عن سواها من المباني . وفي الموضوع التالي سنستعرض بايجاز هذه المظاهر .

---

(١) هذا ويقر جمهرة الباحثين الراى القائل بان هذه اللفظة قد تسربت الى الى بقية اللغات السامية التي استخدمتها للدلالة على موضع العبادة حيث لفظت في اللغة العبرية ((هيكال)) وفي الآرامية ـ ((هيكلو)) وفي الحبشية ((هيكلا)) اما في اللغة العربية ((هيكل))

ووضع عدد من الدارسين المحدثين مقالات في اصل كلمة الهيكل انظر مجلة لغة العرب (١٩٢٩) ج ٢ : ٤٩٣ ، (١٩٣٠) ج ١ : ٥٨ ، (١٩٣١) ج ٣ / ٢٤ وانظر كذلك مجلة المشرق ١٩٣٠م ٢٩ ج ٢ ٨١ ـ ٨٤ وانظر مجلة النجم (١٩٣٤) ٤ : ١٢٧ ـ ١٢٨

المظاهر المميزة لابنية المعابد العراقية

هناك بعض المظاهر العمارية واخرى طقوسية ظلت في الغالب مواكبة لبناية المعبد العراقي القديم في مختلف عصوره رغم ما استجد في تلك الابنية من تطورات وتعقيدات سواء من حيث التخطيط او اسلوب العمارة واهم ما يمكن اجماله من تلك المظاهر هي (١) /ـ

١ ـ تتجه عادة زوايا البناية الاربع الى الاتجاهات الرئيسة اي الشرق والغرب والشمال والجنوب .

٢ـ وجود الطلعات والدخلات (Buttresses,Recesses تزين الجدران الخارجية ولاسيما في الواجهة الرئيسة .

٣ـ يكون التخطيط الارضي للمعبد في الغالب (في عصور ماقبل التاريخ) اما على هيئة الحرف اللاتيني I وعندئذ يعرف بـ (I -Shape) او ان يكون على هيئة الحرف اللاتيني T وعندها يطلق عليه (T-Shape) .

٤ـ وجود مذبح ((Alter)) في الغالب ضمن خلوة المعبد "Cella" وهذه الغرفة هي من اهم واقدس أجزاء المعبد ، وفي كثير من الاحيان يوجد مايشبه المحراب متصدرا " خلوة المعبد " واحيانا يقوم مقام المذبح .

---

(١) حول هذه الخصائص والمظاهر انظر

Tobler,A.J.,Excavation at Tepe Gawra,Vol.2,Pensylvania (1950),pp.7-10

Oates,S.J.,"Ur and Eridu,The Prehistory",IRAQ,Vol.22,(1960),p.45ff.

Kramer,S.N.,Op.Cit.,(1964),p.135f.

لويد (سيتين) سفر (فؤاد) / " حفريات مديرية الاثار القديمة العامة في اريدو " سومر ٣/ ٢ (بغداد ١٩٤٧) وكذلك ٤/ ٢ (بغداد ١٩٤٨)

باقر (طه) / " معابد العراق القديم " سومر ٣ ج ١ (بغداد ١٩٤٧) .

٥ ـ وجود دكه " Podium " او دكاك تستخدم للقرابين (Offering Table) وغالبا نجد عندها بقايا اثار القرابين والنذور .

٦ ـ وجود بقايا ادوات ومواد مثل الباخر والاواني النذرية .

٧ ـ وجود تماثيل لمتعبدين مودعة في البناء اوما يرمز الى الاله الذى شيد له المعبد .

٨ـ يشيد المعبد عادة فوق مصطبة اصطناعية ترتفع عن مستوى الارض وعليه ان هذه الفكرة كانت النواة الاولى لبناء المعابد المدرجة .

المظهر الديني

من الملاحظ ان معظم الدراسات التي تناولت موضوع المعبد بما في ذلك معالجة وظائفه الاجتماعية قد اضفت الطابع الديني على معظم مهماته باعتباره يمثل واحدا من ابرز مظاهر ديانه بلاد وادى الرافدين . الا ان الذى يستحق البحث والتحرى حقا هو العمل على استجلاء المفاهيم التي ادت الى ظهور المعبد لاول مرة في القسم الجنوبي من العراق . ذلك ان الفكر الديني على مايبدو لم يكن العامل الاساس في ظهوره ، وانما كانت هناك متطلبات فرضتها سمة الوجود الاجتماعي للمرحلة التي ظهر فيها ليكون له دور بارز وايجابي في تنظيم العلاقات الاجتماعية تحت واجهة المظهر الديني ، كما ان الافكار والمعتقدات الدينية كانت آنذاك من اكثر مجالات الوعي الاجتماعي المهيئة بشكل فعال جدا للتاثير في الجماهير لاداء ما عليها من التزامات ازاء متطلبات عمليات الانتاج

من اجل تحقيق المنفعة المشتركة وبصورة خاصة في الادوار الاولى من ظهور المعبد ، اما في المراحل التالية وبعد ظهور السلالات الحاكمة والتي امتازت بنمو التمايز الطبقي فقد استغل المهيمنون على شؤون المجتمع مركز هذه المؤسسة ومظهرها الديني للحفاظ على مصالح الطبقات الصغيرة المستغِلة على حساب الطبقات الاجتماعية المستغَلة ، كما هو شأن معظم المؤسسات الاجتماعية الموجودة في المجتمعات الطبقية .

وفي الصفحات التالية سوف نعالج هذا الموضوع وذلك من خلال مراحل تطور الفكر الديني وحتى ظهور اولى ديانة منظمة (اى الديانة السومرية) ومدى علاقة ذلك بظهور مؤسسة المعبد . وذلك على ضوء مفهوم هذه الرسالة بالنسبة للفكر الديني .

مفهوم الفكر الديني

لقد اخذت الافكار والمعتقدات الدينية مكانة متميزة في بحوث معظم المفكرين والمشتغلين في العلوم الاجتماعية ، حيث قدموا عروضا شتى في جوهر الدين وعن مختلف مراحله ومظاهره محاولين في ذلك ابراز مدى تاثيره في المجتمع ، ورغم تباين تلك الدراسات سواء من حيث معالجتها للتفاصيل أم من حيث منهج البحث فيها تبرز هناك مدرستان رئيسيتان متباينتان عن الدين هما /-

(أ) المدرسة المثالية /- وهي على اختلاف تياراتها تنظر الى الاديان بصورة عامة على انها تمثل تلك العلاقة الروحية التي تربط بين الانسان ومعبوده الذى يتحكم بكل شيء موجود

في الطبيعة (١) ، وهي تؤكد كذلك وجود إرادة الهية او عقل مدبر أعلى يسير كل الظواهر في الطبيعة ، وبذلك فانها تحيل جميع الاشياء الى الفكر (٢) الذى يعتمد على المشاعر والعواطف وبعيداً عن اى سند حسي ملموس، وجعلت هذه المدرسة الدين المحور الاساس لكل التحولات الاجتماعية والاقتصادية باعتباره صانع الحضارات جميعا (٣) .

ب ـ المدرسة المادية :ـ

حيث ترى هذه المدرسة ان الدين متمثل بتلك المشاعر والعواطف التي تخالج الانسان لنشدان مافي الطبيعة من خيرات ولدفع المخاطر التي تهدد وجوده ومستقبله وترى ان تلك المعتقدات لم تستند الى اية حقيقة علمية او واقع ملموس، وانما هي وليدة العلاقات الاجتماعية المنعكسة عن الواقع المادى للمجتمع ، وعلى هذا الاساس لم يكن الدين هو العامل الحاسم والمؤثر في تطور المجتمع (٤) .

وعلى ضوء ماتقدم يصبح بالامكان الاستفادة من التحليل المادى لمفهوم الدين عند التعرض لدراسة المعتقدات الدينية مع

---

(١) و ديورانت / قصة الحضاره ج١ (ترجمة:زكي نجيب محمود القاهرة ١٩٥٦) ص ٩٨ ـ ١٢١ .

(٢) علي سامي النشار / نشأة الدين ـ النظريات التطورية المؤلهة (الاسكندرية ١٩٤٩) ص ١١٠ وما يليها .

(٣) الخطيب (عبدالكريم) قصة الالوهية (القاهرة ١٩٦٢) ج١ ص ٣ ـ ٣٩

(٤) كيلله كوفالسون / المادية التاريخية دراسة في نظرية المجتمع والماركسية ترجمة :الياس شاهين موسكو) ص ٣١٣ ـ ٣١٨ .
ف كوستانتينر فت/د ور الافكار التقدمية في تطور المجتمع (دار دمشق للطباعة والنشر ، دمشق ١٩٧١) ص ٨ ـ ٩، ٣١ ـ ٤٠ .

الاخذ بنظر الاعتبار ماكان للدين من دور بارز في المجتمعات القديمة وخاصة لدى السومريين ، الا ان التأكيد هنا على دور الدين لايعني الجنوح الى المدرسة المثالية التي تعتبر الحضارات هي وليدة الاديان ، كأن يقال ان حضارة العراق القديم (حضارة دينية) ، ذلك لان ما أفهمه من الدين هو انه يمثل عنصراً واحداً من مجموعة عناصر البنى الاجتماعية التي تسهم في بناء اية حضارة ، كما لا اريد من التأكيد على دور الدين هو الضياع بين المدرستين المادية والمثالية اي بمجرد السعي للتوفيق بين العنصر الفكري — بما فيه المعتقدات — والعنصر المادي من حيث تأثيرها في المجتمعات كما ذهب الى ذلك (تشايلد)(١) او يتأكد دور الافكار في تطوير المجتمع . وانما يجب القول بان طبيعة الوجود الاجتماعي لتلك المجتمعات والتي قامت عليها المعتقدات والافكار تتصف بخصائص معينة ومميزة . كما في المجتمع العراقي القديم ، مما جعلت للدين مكانة بارزة في ذلك المجتمع ويتجلى هذا الرأي عند استعراض جذور ومنشأ الافكار والمعتقدات الدينية ومراحل تطورها .

نظرة في تطور الفكر الديني

منذ ان وعى الانسان واقعه ونشأت لديه قابلية الادراك (تلك القابلية التي ميزته عن الحيوان) سعى الى التآلف مع ابناء جنسه والعيش ضمن تشكيلات أوجدت عبر مراحل التطور علاقات اجتماعية مختلفة ، قامت على العمل الجماعي لتحقيق سبل العيش وضمان استمرار البقاء ، وقد انصب جل تفكير المجتمعات في مجالات البيئة التي يمكنهما التأثير فيها وكذلك في مظاهر الطبيعة الاخرى التي يصعب تفسيرها

---

(١) تشايلـــد : ماذا حدث في التاريخ ، (١٩٥٦) ص ٩ — ١٥

والتأثير فيها ، مما كان مبعثا للدهشة والرغبة والرهبة حينا آخر فاعتبرت قوى خفية وخارقة ، وعليه فقد انبثقت جملة تصورات ومعتقدات قائمة على الخيال ربما تعكس اطارا دينيا معينا (١) ، ولعل تلك المعتقدات قد اديت بشكل مراسيم وطقوس اريد منها تحقيق مشابهات لها باعتقاد ان لتلك الاعمال قوى غيبية مؤثرة (او مايعرف بقوى سحرية) يمكن بواسطتها تسخير بعض الظواهر الطبيعية لجني منافعها اودرءا لمخاطرها .

وبفضل ما آل الينا من اثار تعود الى عصور ما قبل التاريخ فقد توصلنا الى جملة مظاهر ترمز الى المعتقدات البدائية للانسان والتي تعبر ولا شك عن مستوى الوعي الاجتماعي وبناء على ذلك فان الباحثين في الحضارات القديمة يفسرون المخلفات والاثار التي تركها انسان العصر الحجري القديم النصف الثاني منه (Upper Palaeolithic) في كهوفه بانها تعكس ضربا من الطقوس او الشعائر الدينية (٢) لتلك الحقبة ، كما يذهب البعض الى ابعد من ذلك وهو قيام الانسان القديم باتخاذ بعض الكهوف او جزء منها اماكن مقدسة لاغراض العبادة (٣) .

---

(١) حول التحليل المادي لنشوء وتطور الفكر الديني انظر/
كيلله كوفالسون / المادية التاريخية ، دراسة في نظرية المجتمع والماركسية ص ٢٧٢ وما يليها .
بود و سيتنيك / وسبيركين / عرض موجز للمادية التاريخية (موسكو/ دار التقدم) ص ١٦٢ ـ ١٦٥ وعن التحليل المثالي لنشوء وتطور الفكر الديني انظر
روجيه باستيد / مبادئ علم الاجتماعي الديني (ترجمة د . محمود قاسم القاهرة ١٩٥١) ص ٢١٣ ومايليها
علي سامي النشار/ نشأة الدين (الاسكندرية ١٩٤٩) ص ٣٠ وما يليها
(٢) تشايلد/ ماذا حدث في التاريخ (١٩٥٦) ص ٢٩ ـ ٤٣
(٣) Hastings, Encyclopaedia of Religion and Ethics, Vol, XIII (Edinbargha, 1921), p. 237ff.

فعندما تم الكشف في احد كهوف سويسرا عن مصطبة صخرية رتبت عليها جماجم دببة ذهب الاثاريون السويسريون في حينه الى تفسير ذلك على انه معبداو مزار (١)، ومهما يكن من امر هذا الكشف وصحة تفسيره الا انه يبقى ظريفا بحد ذاته . فتفسير مثل هذه المظاهر واعتبارها ضربا من طقوس العبادة البدائية انما يعكس في الغالب مدى اهتمام الانسان بالحيوان باعتبار الاخير احد مصادر القوت البشري لذا كان تقديسه وذلك املا في الحصول على المزيد منه عن طريق الصيد، وتتجلى مظاهر الوعي الاجتماعي ايضا في طقوس دفن الموتى كما نجد ذلك في كهف (Teshek-Tash) " تشيك ـ طاش (٢) بأزبكستان وفي كف شانيدار في العراق ، ان تكريم الموتى ربما يشير الى ما للفرد

---

(١) Clark,G.and Piggot,S.,Prehistoric Societies, (New York,1965),p.42f.

(٢) عثر في هذا الكهف ـ الذي يقع في الجنوب الشرقي من ازبكستان على هيكل طفل احيط بـ ٦٠٥ أزواج من قرون الماعز دفنت في الارض انظر Clark,G. and Piggot,S.,Ibid.,p.63

(٣) هذا ويبدو ان تنقيبات كهف شانيدر قد قدمت دليلا اثريا مثيرا عن الادراك الحسي لدى انسان نياندرتال ـ شانيدر ذلك استنادا الى تفسير سوليكي حيث وجد مع هيكل شايندر IV عددا من الزهور لاتقل عن ثمانية انواع من النباتات الطبيعية ذات الالوان المتعددة ، وقد فسرها بانها نوعا من الاكليل وبذلك ان صح هذا التفسير فانها تقدم لنا صورة طقوسية دفنية جديرة بالدراسة المقارنة والاهتمام انظر
Soleki,R.,Shanidar,the First Flower People,(New York, 1971),p.246f.

من مكانة في المجتمع كعضو عامل ، ولعلهم ارادوا بهذا التكريم اعادة الحياة اليه او نشدان الخلود له . ومنذ القسم الاعلى من العصر الحجرى القديم جائتنا نقوش جدارية تضمنت صورا لحيوانات واشكالا بشرية متنكرة برؤوس حيوانية عليها جلود وذيول حيوانات ، وقد فسرت تلك النقوش بانها ضرب من طقوس العبادة وتمثل حفلة رقص تنكرية ربما ترمز الى نوع من تقديس الخصوبة [١] ، ووصلت الينا مخلفات فنية من فرنسا مجسمة منها ماهو على هيئة حيوان [٢] . وجاءت دمى انثوية من العاج [٣]

---

(١) من هذه النقوش ماوجد مصورا على جدران بعض الكهوف في اسبانيا وفرنسا منها كهف (Trais Frères) بمنطقة الـ(Ariège) اوما جاء من شبه كهف يعرف بـ Combarell بوادى البيون (Beuon) او من بعض كهوف منطقة (Cantabria) باسبانيا . وصورت تلك الرسوم حيوانات مختلفة منها البيسون والماموث والحصان ، الخنزير ، والكركدن ، وهناك صور ظلية لما يشبه حفلة رقص تنكرية بينها مايمثل رجل بدين يتبع امراة وكانه يستعد للعملية الجنسية ، ويعتقد ان الغرض الرئيسى من هذه الاشكال هو التعبير عن حفلة طقسية من اجل الخصوبة :
James, E.O., The Cult of the Mother Goddess, (London, 1959), p.13ff.

(٢) عثر في غرفة ضيقة من كهف Tuc d'Adoubere بمنطقة Ariège في فرنسا على مجسم من الطين لانثى الماموث يتبعها ذكرها
James, E.O., Ibid., pp.17-18

(٣) كشف التنقيبات في موقع (Kostienki I) بجنوب الاتحاد السوفياتي عن دمى انثوية من العاج يلاحظ فيها ان الفنان سعى لتضخيم ردفي العجز وابراز الثديين
Clark, G. and Piggot, S., Op.Cit., (1965), p.83f.

اطلــق الاثاريون على هذه الدمى الانثوية اسم الالهة الام ..... (Mother Goddess)(١) او فينوس (venus) . ويعتقـد معظم الباحثين ان تلك المخلفات جاءت للتعبير عن الخصوبة لضمان تكاثر تلك الحيوانات التي يحتاج اليها الانسان وعلى ذلك يضيف تشايلد (٢) بان القوم قد عرفوا وظيفة المرأة في التوالد لذا ارادوا ان تحقق هـذه الاعمال تكاثرا في الحيوانات والنبات ومن الدقة التي امتاز بها تعبيـر الانسان القديم عن التكاثر هو ليس تمثيل العضو الانثوى فحسب بل ابراز العضو الذكرى ايضا والذى يعتبر اساسافي عملية الاخصاب والانماء . وفي مرحلة انتاج القوت وقيام القوى الزراعية اصبحت مظاهر الفكر الديني اكثـر تعبيرآ وشملت جوانب متعددة من واقع الوجود الاجتماعي ، الا انها لـم تتبلور بعد الى شكل ديانه منظمة لها مؤسساتها كما ويصعب تشخيص وجود ابنية دينية (معابد) كالتي ظهرت في القسم الجنوبي من العراق في دور العبيد الاول ، لاداء الطقوس والمراسيم الدينية فيها ، وانما كانت عبـارة عن مفاهيم وتصورات ارتبطت بمظاهر الطبيعة المؤثرة في عمليات الانتـاج وبفكرة الخصوبة والحياة حيث تجسدت تقديس الالهة الام ، اى تركيز الفكر الديني بعبادة القوى المولدة للطبيعة ، كما جسدتها الاعمال الفنيـة والمخلفات الاثرية والتي اعتقد بان لها قوى مؤثرة في الخصوبة (٣) . حيث

(١) James E.O.;:(1959) op.cit.p.13 ff.

(٢) تشايلد/ التطور الاجتماعي (١٩٦٦) ص ٦٨

(٣) انظر: تشايلد: ماذا حدث في التاريخ (١٩٥٦) ص ٦٢ ـ ٦٣
James E.O.; (1959) op. cit, p. 22 ff. ; Hawkes,J., Prehistory and the beginnings of civilization(History of man kind cultural and scientific Development Vol.I) London 1963 ,p. 334 ff.

كانت الدمى من اهم الرموز المعبرة عن تلك العبادة ، وقد جاءت باشكال وانواع مختلفة منها ماهو بشري يرمز الى الجنسين ومنها ماهو حيواني • اليف ووحشي • ومن ابرزها الدمى الانثوية (١) والتي تسمى بـ" الالهة الام " (Mother goddess) • التي ترمز الى فكرة الخصوبة

---

(١) ان سجل الحفائر الاثرية حافل بما اكتشفت من انواع مختلفة من الدمى وقد لازم هذا الضرب من الفن مختلف مراحل التطور الثقافي والحضاري ، وشهد خلالها تطورا في الاسلوب والتعبير، واقدم نماذج الدمى في العراق جاء من موقع كريم شهر ، وطفعات باشكال بدائية انظر :

Braidwood,R.J.,"The Iraq-Jarmo Project of the Oriental Institute of the University of Chicago Season 1954-1955",SUMER,Vol.10,p.129

ومن موقع جرمو كانت باشكال بشرية وحيوانية اهمها ماظهر فيه تجسيد الوركين لعلها تمثيل لامرأة حبلى انظر/

Braidwood,R.J.,et al.,Op.Cit.,(1960),p.47

اما من دور حسونه فهي قليله وقد جائتنا من تل حسونه من اواخر هذا الدور دميه انثوية (انظر / فؤاد سفر " حفريات تل حسونه " سومر ١ (١٩٤٥) ص٣٧)

وكذلك من موقع يارم تبة (انظر

Merpert,N.and Munchagev,R.,"Excavations at Yarim Tepe" SUMER,Vol.25(1969),p.125ff.and SUMER,Vol.29,(1973) p.7ff.

ومن تل الصوان فقد عثر على اشكال مختلفة من الدمى منها ماهو مصنوع من الطين واخر من الحجر وسميت الدمى الحجرية بتماثيل ؟ • ومعظمها انثوي بينها بوضعية الجلوس تمتاز بضخامة الوركين وما يميز المثلث الانثوي •(حول دمى تل الصوان انظر/ التقارير المنشورة عن تنقيبات تل الصوان في مجلة سومر المجلدات / ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤، ٢٦ ، ٢٧) والدراسة التي نشرتها جون اوتس عن الدمى الطين من تل الصوان انظر/ Oates,J."The Baked Clay Figurines from Tell Es-sawan"IRAQ,23(1966),p.146ff.

التي ترمز الى فكرة الخصوبة اقترانا بوظيفة الام في عمليات الاخصاب والتوالد، وجاءت مجموعة لقى اثرية فسرت بانها تمثل عضو الذكر التناسلي وخاصة ماجاء من موقع تل الصوان (١) . ويرجح ان لها خاصية طقوسية وهناك من ذهب الى ابعد من ذلك معتقدا بانها تشير الى تحول لعبادة الرجل كرمز للخصوبة لكن هذا الرأى مجرد حدس وضرب من ضروب الخيال ان لايعتمد على التحليل الموضوعي لمتطلبات واقع الوجود الاجتماعي لمرحلة القرى الزراعية ، بينما هناك مخلفات فنية اخرى لعلها عبرت بدقة اكثر عن تقديس الظواهر الطبيعية المؤثرة في الانتاج ، خاصة تلك الاشكال والرسوم التي نجدها على الفخاريات والاختام المنبسطة فيها مايرمز الى الشمس او الى

= وطين دمى تل الصوان دمية من الطين لرجل عار بوضعية الجلوس مصبوغ باللون الاحمر (انظر/ سومرم ٢٠ صفحة ٠ ب) وعثر لاول مرة على دمية من الحجر في الغالب يمثل هيئة رجل (انظر سومرم ٢٨ صفحة (ب))

اما دمى عصر حلف فقد امتازت باسلوب متطور وملامح فنية معبرة فجاءت معظم الدمى الانثوية لتمثل امرأة جالسة بوضعية القرفصاء وقد بولغ في تضخيم الوركين والصدر واظهار المثلث الانثوي في العديد منها وبعضها تكون جالسة على مقعد دائري كما ان البعض منها . ازدانت بخطوط ملونة او وشم لعلها تمثل الملابس ووصلتنا مجاميع مهمة من دمى هذا الدور من مواقع في القسم الشمالي وادي الرافدين مثل الاربجية وقبة كوره وغيرها انظر/
Mallowan,M.E.L.and Rose,J.,"Excavations Tell Arpachigha",IRAQ,Vol.2,(1935),p.79ff.
Tobler,A.J.,Op.Cit.,(1950),p.163ff.

(١) كشفت تنقيبات تل الصوان عن مجاميع من هذه اللقى الاثرية التي اطلق عليها عضو الذكر الا ان مثل هذه التسمية مجرد اعتقاد وحدس ربما لايستند على الواقع ففي الوقت الذي يوضح مثل هذه التسمية يمكن القول ايضا بان مثل هذا الاثر ربما يمثل مبخرة لغرض طقوسي او مايشبه اناء يستعمله الفنان في تلوين الدمى التي صنعها حيث وجد في داخل بعض هذه القطع بقايا اصباغ باللون الاحمر لكنها تبقى محيرة بالنظر لوجود الشبه الكبير بينها وبين العضو الذكري.

المياه ، الامطار ومجاري المياه والى النباتات والحيوانات والاشكال الادمية الانثوية ، ورأس الثور وغيرها من الرموز ومجاميع من الخرز والدلايات.(١) ان تلك المؤشرات ربما تعبر عن الوعي الاجتماعي لمجتمعات تلك المرحلة وقد جاءت متكافئة في مسارها مع مستوى واقع الحياة المادية لها ، فهي في الغالب تشير الى مجموعة افكار وتصورات انعكست عن الاحتياجات المادية لتلك المجتمعات والتي تراكمت لديها خلال ممارستها لعمليات الانتاج . ولعل تلك المخلفات الفنية استهدفت تكاثر ونمو ماترمز اليها ، فالدمى الانثوية عادة تقترن بفكرة تقديس الامومة والخصوبة ، ونجد استمرار تقديس هذه الفكرة وبلورتها في العهود التاريخية حيث تجسدت تلك الخصائص الفنية للدمى الانثوية المعبرة عن الخصوبة في صفات الالهة السومرية(٢) " انانا " التي كانت الخصوبة في مقدمة صفاتها الا ان الواقع البسيط لمجتمعات القرى الزراعية لما قبل مرحلة التمدن وظهور الحضارة ربما يحملنا على الاعتقاد بان الهدف من تلك الدمى هو للتعبير عن الوظيفة الطبيعية للام في مجالات الولادة والامومة ذلك لحاجة المجتمع الى الايدى العاملة خاصة بعد ان اتسعت مجالات النشاط الاقتصادى للقرى الزراعية وخاصة في دور سامراء وحلف التي زادت وتطورت نتاجاتها الفنية وكذلك في تلك المناطق التي احتاجت الى بذل المزيد من الجهود كنتيجة لتذبذب عطاءات البيئة كما هو الحال في موقع تل الصوان . مثل هذه الفكرة عن

---

(١) للوقوف على جوانب من تلك المخلفات الاثرية انظر/

Goff, B.L., Symbole of Prehistoric Mesopotamia, (London, 1963), pp.1-22

Perkins, A.L., (1949), CAM., pp.1-45

(٢) الدكتور فاضل عبد الواحد / عشتار ومأساة تموز (بغداد ١٩٧٣) ص ٢٤ — ٢٥

تخصيص الدمى الانثوية يمكن قبولها من التفسيرات الواردة عن تلك الدمى الانثوية المتمثلة بوضعية القرفصاء او تلك الجالسة على مقعد دائري بانها تمثل المرأة في وضعية المخاض (١) كذلك مايتعلق بضخامة الوركين للدلالة على الحمل ، وابراز المثلث الانثوي ، بقصد التأكيد على اهمية العملية الجنسية وما ينتج عنها . الظاهر ان اقوم كانوا دقيقي التعبير عن افكارهم وتصوراتهم ذلك لوجود رموز اخرى تعبر عن مظاهر الطبيعة ذات العلاقة بالانتاج في مجالات الزراعة والرعي ، كما نجد ذلك في الاشكال المعبرة عن اهمية الشمس وما يرمز الى المجموعة الشمسية وكذلك اهمية المياه الامطار ومجاري المياه ، والحيوانات والاسماك وغيرها املا لتكاثرها ونموها هذا الى جانب مجاميع من الخرز والدلايات والتي بلا شك كان الدافع من استعمالها للطمأنينة وحماية اصحابها ، كما هو معمول للان في بعض المجتمعات المتأخرة ثقافيا في عصرنا هذا . ومما تقدم يمكن القول بان الانسان نقل الينا بواسطة تلك الرموز تصوراته بكل بساطة ودقة في التعبير وبعيدا عن التعقيد .

ظهور طلائع المعبد

ان تلك المخلفات وخاصة الدمى الانثوية وجدت في الغالب داخل بيوت سكنى او داخل قبور ، ومن الصعب تحديد بناية دينية (معبد) خصصت لاغراض العبادة قبل دور العبيد الاول ، رغم ما اعتقد عن عن وجود ابنية دينية (معابد) في مواقع

(١) Tobler,A.J.,(1950),Op.Cit.,pp.163ff.,Pl.LXXI
Mallowan,M.L.and Rose,J.,(1935),Op.Cit.,p.81

اثرية (١) مختلفة تعود الى ماقبل هذه الفترة ، كما يذهب الى ذلـــك

(١) هناك امثلة عن احتمال وجود معابد في بعض المواقع الاثرية خارج العراق ترجع الى مرحلة القرى الزراعية • العصر الحجري الحديث • منها تلك البناية المكتشفة في الطبقة السفلى من موقع اريحا (تل السلطان) بفلسطين وهي عبارة عن جدران مشيدة بالحجر جوار منبع ماء فتعتقد كينون (Kenyon) ان هذه البناية يحتمل ان تكون معبدا او موضعا لتقديس الماء ويرجع زمنهـا استنادا الى كاربون ١٤ الى ٢١٠± ٧٨٠٠ ق م ولكن ذلك موضع شك والادلة غير كافية

Kenyon,KM.,Archaeology in the Holy Land,(1965), p.41ff.

وهناك بنايتان من عصر حلف بوادي الاردن اعتبر كل منهما بناية دينيـــة احداهما في موقع تل الغسول (يعرف بمعبد الغسول) عبارة عن بناية مستطيلة مشيدة من الحجر، المرافق البنائية تقع في القسم الشمالي وفي وسطها دكة وجد عليها بقايا عظام حيوانات واثار حرق وعند احد جدران الصالة توجد مقاعـد حجرية، واما البناية الثانية من موقع مجدو (XIX) تعرف بـ" معبد مجدو " وهي مشابهة بعض الشيء لمعبد الغسول الذي يرجع زمنه الى ٣٣٠٠ ق م •

Mellart,J.,The Chalcolithic and Early Bronze Ages in the Near East and Anatolia,(1966),p.36

وفي جطل هيوك كشفت التنقيبات الاثرية عن ابنية مشيدة من اللبن وجدرانها مطلية بالجص، وتنفرد هذه الابنية بخصائص متميزة كما ذهب المنقب ملرت الى تسميتها بمعابد كما اطلق على المنطقة المنقبة اسم منطقة القسســة ، وامتازت هذه الابنية بمظاهر دينية وطقسية متمثلة بما عثر فيها من دمى حجرية واخرى من الطين اهمها الدمى الانثوية ، هذا الى جانب تزيين جدرانها بصور جدارية بينها ماتمثل آلهة تلد ثورا كما عثر حول مصاطب" دكاك" هـذه المزارات على مجموعة من قرون الثيران ان هذه الظواهر ونمط العمارة حملت المنقب تسميتها بالمزارات، ويعود زمن الطبقات العشرة المكتشفة اعتمادا علـى تحليل كاربون ١٤ الى ٥٧٢٥ـ ٦٥٠٠ ق م •

Mellaart,J.,Catal Huyuk a Neolithic Town in Anatolia, (London,1967),pp.77-130

منقب تل الصوان (١) وكذلك مايعتقد عن بعض الابنية ذات الطراز العماري المعروف بالثولوس (Tholos) والتي تعود الى دور حلف (٢) بانها ابنية دينية ذلك لكونها تتصف ببعض المظاهر المميزة لابنية المعابد ومنها لكون مظهرها الخارجي بهيئة الحرف اللاتيني (T)، واسناد جدرانها

---

(١) يرى منقب تل الصوان ان هذا الموقع كان مركزا رئيسا لعبادة الام الآلهة مستندا في ذلك على وجود كميات كبيرة من الدمى الانثوية (تماثيل النساء) وكذلك اعتمادا على النمط العماري لابنيتها المميز بهيئة الحرف (T) لذا يعتقد انها شيدت لاغراض عقائدية وانه قد ميزاحد معابدها في الطبقة السفلى (اوائل الالف السادس ق٠م او قبل ذلك بقليل) ٠ وقد استمرت هذه العبادة في مزارات من ادوار تالية من عصر سامراء ٠
(ابو الصوف، د٠ بهنام / التنقيب في تلل الصوان الموسم الخامس سومر ٢٧ (١٩٧١) ص٤٠ ـ ٤١) كما ان منقب الموسم الثاني خالد الاعظمي هو الاخر يعتقد في احدى ابنية الطبقة الرابعة بانها تمثل معبدا،
Al-A'dami,K.A.,(1968),pp.58-59,Pl.I,Sumer,Vol.24

(٢) يتصف الطراز العماري المميز لدور حلف المعروف بالثولوس، بتخطيط ارضي دائري الشكل ومفصل احايانا بغرفة مستطيلة الشكل حيث يكون فيها مدخل البناء، والتركيب الفوقي للبناء الدائري في الغالب لايكون مستويا وانما اقرب الى شكل قبة وكانت جدرانها الداخلية احيانا مسندة بدعامات ويرى لفيف من الباحثين ان لهذه الابنية خصائص دينية فاعتقد ملوان منقب (تل الاربجية) انها مزارات خصصت لعبادة (الالهة الام) ووصف توبلر الثولوسين المكتشفين من الطبقة XX من موقع تبة كورة انه لمثل هذا النوع من البناء خاصية دينية انظر :
Mallowan,M.E.L.,and Rose,J.,(1935),Op.Cit.,p.14ff.
Tobler,J.A.,(1950),Op.Cit.,p.47f.

الخارجيـــــة بـ (طلعات ودخـلات) ، ووجود الدمى وبعض الادوات الرمزية مما لها دلالات طقوسيه ، او تميزها عن الابنية الاخرى من حيـــث الحجم اوالغنى في الادوات والمخلفات الفنيـة . لكن مثل هذه المظاهر لوحدها لاتكفي لجعل تلك الابنية في مصاف مؤسسة المعبد وفق مفهومنـا لهذه المؤسسة ، ذلك لعدم وجود ادلة اثرية عن المظاهر الرئيسيـة الاخرى كوجود غرفة للهيكل ودكة المذبح ودكة القرابين ، ووجود مخلفات طقوسيـــة ثم ان هذه الابنية تكون متشابهة واكثر من بناية في الطبقة الواحدة مثلما وجد في تل الصوان (١) اوالاربجية (٢) مثلا . هذا ومن جهة اخرى نجـــد ان سمة الوجود الاجتماعي لتلك القرى الزراعية لم تتبلور بعد الى مستوى تحتاج مجتمعاتها الى مؤسسة اجتماعية جديدة (كمؤسسة المعبـــد) تتولى تنظيم العلاقات الاجتماعية عوضا عن التنظيم الاجتماعي للعشيـــرة الراقية الذي كان سائدا في تلك المرحلة والذي كان مسايرا لمتطلبات نمط الانتاج القائم على اساس النشاط الانتاجي الجماعي كما تشير المخلفـات الاثرية (٣) . ومما تقدم يمكن القول بان تلك الابنية ماهي الا دور سكنى ، اما انفراد البعض منها عن الاخرى بخصائص مميزة من حيث المساحــــة

---

(١) تم الكشف عن بقايا ثلاث وحدات بنائية متشابهة بمظهرها الخارجي بشكل الحرف T في الطبقة الرابعة وكانت مشغولة ايضا من قبل سكان الطبقة الثالثة أ (ابو الصوف ١٩٧١ ، ص ٣٦) .

(٢) كشف عن بنائين منعزلين من نوع الثولوس في الطبقة السابعة (TT7) وكذلك بالنسبة للطبقة العاشرة (TT.10) هذا الى جانب وجود اربــع ثولوسات خارج التل ارتبطت مع الطبقات ٨ ــ ١٠ .

Mallowan,M.L. and Rose,J.,(1935),Op.Cit.,p.25ff.

(٣) ابو الصوف (١٩٧١) ص ٣٧ ــ ٣٨ .

او زيادات في التخطيط والهيئة العمارية وكذلك فني مخلفاتها ، فيرجح ان قبل هذا البناء المتميز يعود لشخص يتمتع بمكانة متميزة كرئيس العشيرة والمقربين اليه ممن يتولى رعاية او تنظيم النواحي الاجتماعية بما في ذلك شؤون المعتقدات الدينية ومستلزماتها لان هذا المستوى من الوعي الاجتماعي كان متجانسا مع واقع الحياة المادية لتلك المجتمعات بيتما في المرحلة التطورية التالية التي شهدتها مجتمعات القسم الجنوبي من العراق نتيجة للتغيير الاجتماعي ، استلزم وعيا اجتماعيا جديداً وان لم يكن بسرعة وقوة التحولات الاقتصادية الجديدة لان التحولات الفكرية دائما تكون ابطأ لاستمرار الترسبات الفكرية القديمة ، الا انها سرعان ما تتبلور لتأخذ اسلوبا جديداً ومواكبا للواقع الاجتماعي الجديد وهذا ما يمكن ملاحظته في تطور الفكر الديني ابتداء من دور العبيد الاول ثم قيام اول ديانة منتظمة (الديانة السومرية) فعلى الرغم من عدم وجود دليل كتابي يعود الى ما قبل ٣٢٠٠ ق م الا انه من الممكن التعرف على ديانة العبيديين من خلال مخلفاتهم المادية وكذلك من خلال الديانة السومرية التي امتداد للفكر الديني لتلك المرحلة مثلما نجد لهذه الديانة جذورا في تلك التصورات والمعتقدات الدينية التي وجدناها في مرحلة القرى الزراعية (من دور جرمو - حلف) فعبادة ظواهر الطبيعة ظلت مستمرة في مختلف مراحل التطور الحضاري في العراق القديم وتبلورت فكرة حيويتها وما لها من تأثير في واقع الحياة المادية لذا فقد شخصت بآلهة اعتقد انها كائنات حية لها القدرة والارادة للاشراف وادارة تلك الظواهر . فمن عصر العبيد جاءت مخلفات مادية عن المراسيم والطقوس الدينية التي كانت سائدة في العهد السومري والادوار اللاحقة ، فظهور المعبد في مطلع عصر العبيد

الضلـــــع ويرجح انها تقوم مقام دكة المذبح • وشيد هذا المعبد مباشرة فوق معبد الطبقة السادسة عشر •

ب ـ العبيـــد الثانـــي (١) :

والتي تمثلها الطبقات ١٤ ـ ١٢ فلم تصلنا تخطيطات كاملـــة لمعابدها ، نظرا لوقوع معظم اجزائها تحت الزقورة ففي الطبقة الرابعة عشر عثر على بقايا مصطبة من اللبن لم يكمل بناؤه ، اما في الطبقتين ١٣ ـ ١٢ فاستظهرت بقايا جدران مميزة تعود الى معبدى هاتين الطبقتين حيـــث يغطيهما بناء الزقورة (٢) .

ج ـ العبيـــد الثالـــث

تمثلها معابد الطبقات ١١ ـ ٨ من اريدو • وتشير البقايـــا المتبقية من الاجزاء المستظهرة لمعابد الطبقات ١١ ، ١٠ ، ٩ (مخطط ٤ و ٥) ان زواياها تتجه الى الجهات الاربع الرئيسة وانها متشابهة تقريبا (٣) . وتخطيط ارضي مستطيل الشكل في الغالب ثلاثي التقسيم يتألف من صالـــة مركزية وتقوم عند جانبيها المنقب ثلاث غرف في احداها مدخل يؤدى الـــى الصالة (٤) ويرجح ان هناك ما يناظر هذه المرافق في الجانب الواقـــع

(١) راجع ماسبق ان ذكرناه عن تقسيم عصر العبيد ، حيث قلنا ان ما اطلق عليـــه العبيد الثاني يتمثل بفخار حاج محمد ورأس العمية •

(٢) سفر (فؤاد) : (١٩٤٨) نفس المصدر ص ٢٨١

(٣) سفر (فؤاد) : (١٩٤٨) نفس المصدر ص ٢٨٠

(٤) كما في مخطط المعبد الحادى عشر ، اما المعبد التاسع فلم يستظهر مدخـــل في هذا الجانب وفي الغالب يقع في الجانب الاخر من الصالة المركزية

في نهاية الصالة المركزية عند ضلعها الجنوبي الغربي تحت الزقورة . اما دكة القرابين فقد عثر عليها في الغرفة الواقعة في الزاوية الشرقية وكانت تكسوها وتحيط بها بقايا القرابين المحروقة . توجد دكة المذبح وهناك ممر طويل على امتداد الضلع الجنوبي الغربي تكون بمثابة غرفتين مجنحتين ويلاحظ ان الجدران الخارجية قد اسندت بطلعات ودخلات ، وان كل معبد يقوم على مصطبة يرتقى اليها بواسطة (رمبة Ramp) كما في المعبد الحادي عشر . وقد توسعت مصطبة المعبد التاسع واصبح وجهها عموديا في الغالب وكان يرقى اليها بواسطة سلالم .

المعبد الثامن / :- (مخطط - ٦)

تشير المعالم المستظهرة من هذا المعبد (١) الى انه ذو تخطيط ارضي مستطيل الشكل ابعاده نحو ٢٠ × ١١م وعلى هيئة الحرف اللاتيني (I) وتتجه زواياه الى الجهات الاربع الرئيسة ، ويتألف من صالة مركزية يتعامد عليها من كل جانب صف من الغرف . ويوجد مدخل في منتصف كل من الضلعين الطويلين يؤديان الى الصالة المركزية . وفي نهايتها من الجانب الجنوبي فصلت خلوة المعبد (Cella) بواسطة طلعتين وتقوم دكة المذبح في صدرها وعلى جانبها غرفتين تؤديان الى اخرتين مجنحتين وقد ازدان الجدار الكائن في ظهر المذبح بطلعات مركبة تكون مايشبه بابين غير نافذين على غرار ماهو موجود في النهاية المقابلة للمذبح حيث يوجد مدخلان نافذان يصلان الى الصالة المركزية . واماهما تقوم دكة القرابين ، ويوجد مدخل

---

(١) سفر (فؤاد) : ١٩٤٨ نفس المصدر ص/ ٢٧٦

في منتصف كل من الضلعين الطويلين ، وهناك غرفتان على امتداد خلوة المعبد تقعان عند الزاوية الجنوبية في خازن البناء ويصل اليها بواسطة مدخل ، واحدى هاتين الغرفتين تفضي الى خلوة المعبد . وكشفت التنقيبات الاثرية على مجموعة ادوات ومواد طقوسية بينها بقايا عظام اسماك وكانت المصطبة التي يقوم عليها المعبد يرتقى اليها بواسطة سلم .

د - معابد - العبيد الرابع :

اهم ما وصلنا للان من معابد هذا الدور هي من مدينة اريدو الطبقة ٧و٦ ، الريف الشرقي ومدينة الوركاء (المعبد ١ - ٢) اسفل النصب الحجرى الواقع في الشمال الغربي من زقورة آنو ، ومن تبه كوره طبقة ١٣ .

١ - مدينة اريدو :

المعبد السابع (مخطط - ٧) : تتجه زوايا هذا المعبد (١) الى الجهات الاربع الرئيسة وهو قريب الشبه بمعبد الطبقة الثامنة من حيث التخطيط الارضي المستطيل الشكل وبهيئة الحرف اللاتيني (I) ويمتاز هذا المعبد بثخن جدرانه وقد ازدانت من الخارج بحليات عمارية من سلسلة دعائم تحصر بينها دخلات (كوات) وقد كسيت جدرانه بطلاء من الجص وارتفع مستوى هذا المعبد القائم على مصطبة مشيدة من اللبن عن السهل المجاور

---

(١) سفر (فؤاد) : حفريات اريدو سومر م٣ (١٩٤٧) ص/ ٢٢٩ - ٢٣٠

وكان يرتقى الى هذا المعبد بواسطة سلم من تسع درجات تؤدى ١٥ م الى الصالة المركزية من المدخل الرئيس الكائن في منتصف الضلع الجنوبي الشرقي، وتقع في نهاية الصالة المركزية خلوة المعبد التي فصلت بواسطة طلعة مزكية في كل جانب بمثابة عضادتين المدخل الى الخلوة، وتقع دكة المذبح في صدر الخلوة، وفي النهاية الثانية من الصالة تقع دكة القرابين وهناك عدة مداخل ثانوية للمعبد تؤدى الى الصالة وبعض القاعات من شرفات المصطبة .

المعبد السادس (١) : (مخطط ـ ٨) الاقسام المستظهرة من هذا المعبد تشير الى ان زواياه متجهة نحو الجهات الاربع الرئيسة، ويشبه من حيث التخطيط الارضي معبد الطبقة السابعة الا انه اكثر طولا لكن صالته الوسطية اقل عرضا . وقد حدد مدخل واحد لهذا المعبد من الاقسام المستظهرة ويلاحظ في نهاية هذه الصالة من الجهة المقابلة لخلوة المعبد ان البابين الذين وجدا في معبد الطبقة السابعة استعيض عنهما هنا بكوتين وعثر في هذا المعبد ايضا على بقايا عظام حيوانات معظمها الاسماك ورماد لمواد طقوسية محروقة مع مجموعة من كسر الفخار لادوات طقوسية وجزء من دمية انثوية . وكان الى جوار دكة القرابين حوض من الطين يرجح انه استعمل لتسكب فيه زيوت القرابين . هذا، وكان يرتقى الى هذا المعبد بواسطة سلم يصل الى المدخل الرئيس الذى حدد موضعه في الضلع الجنوبي الشرقي .

---

(١) سفر (فؤاد) : (١٩٤٢) نفس المصدر ص/ ٢٣٠ ـ ٢٣١ .

٢ — مدينة الوركاء (١) :

وقد عثر في هذه المدينة على بقايا معابد من دور العبيد الرابع كما ذكرنا وهي :

---

(١) مدينة الوركاء (اورك) من المراكز الحضارية المهمة في وادي الرافدين ، تقوم اطلالها على بعد ٣٠ كم الى الجنوب الشرقي من مدينة السماوة مركز محافظة المثنى ، وقد نمت من قرية زراعية منذ اوائل الاستيطان المعروفة في السهل الرسوبي الى ان غدت حاضرة عامرة ومركزا لعبادة الالهة انانا (عشتار) في مختلف العصور التاريخية وحتى العصر الاخميني ، وقد تجلت مكانة هذه المدينة في الدور الشبيه بالكتابة التي امتازت ببلورة اصول الحضارة واضفاء الكثير من الابتكارات والابداعات الخلاقة في مجالات العمارة والفنون والاداب . (حول خصائص هذه المرحلة انظر باقر (طه) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (١٩٧٣) ج ١ ص/ ٢٣٤ — ٢٤٦ . وكذلك
Moortgat.A., (1969)Op.Cit. pp.1-18.
وقد تناولت النتاجات الفكرية القديمة الكثير من مآثر هذه المدينة ومكانتها وبينها مايعزز الدلائل الاثرية المكتشفة منها حول مركزها الحضاري ولعل خير مايمكن استشهاد به هنا ماجاء في اسطورة انانا وانكي حول نقل فنون الحضارة من اريدو الى الوركاء" . انظر:
Kramer,S.N.:(1961) Op.Cit. pp.64-68.
وتولت البعثات الاثارية الالمانية مواصلة اعمال التنقيب في هذه المدينة منذ عام ١٩٢٨ وحتى الوقت الحاضر .

المعبد الثاني :

تتجه زوايا هذا المعبد (١) نحو الجهات الاربع الرئيسة ويمتاز بجدران ثخينة مسندة من الخارج بطلعات منسقة (مخطط – ٩) وبتخطيط ارضي مستطيل الشكل ابعاده (١٤ر٥ × ١٨ر٥م) ثلاثي التقسيم حيث يتألف من صالة مركزية على امتداد البناء ابعاده (١٥ر٨٠ × ٥ر٧٠م) ويتعامد على الجانب الشمالي الشرقي صف من اربع غرف ، ويرجح وجود ما يناظر هذه الغرف في الجانب الاخر من الصالة والذي لم تشمله التنقيبات لكونه واقعا تحت البناء الحجري وقرب منتصف الضلع الشمالي الغربي من الصالة حوض واطئ من قدمين (نحو الداخل) وكان مملوأ بالرماد وبقايا احتراق الزيوت ، وتقوم البناية على مصطبة مشيدة من اللبن مرتفعة عن مستوى الارض المجاورة .

المعبد الاول : (مخطط – ١٠)

شيد هذا المعبد (٢) على انقاض المعبد السابق مباشرة بعد ان سويت الارض بحيث مصطبة هذا المعبد . وقد تهدمت اقسام منه بسبب قيام البناء الحجري ، وعلى ضوء ما استظهر من هذا المعبد

---

(١) كشفت البعثة الاثارية الالمانية العاملة في الوركاء خلال تنقيباتها الاخيرة عند اسفل البناء الحجري الواقع الى الشمال الغربي من زقورة آنو عن معبدين متتاليين من دور العبيد . البناء الاسفل هو المعبد الثامن وكان قسما من مرافقه راقدا اسفل البناء الحجري ويليه مباشرة المعبد الاول حول هذين المعبدين انظر / Schmidt.J., "Zwei Tempel Der Obed-Zeit in Uruk" Baghdader Mitteilungen, 7.(1974) p. 172ff.

(٢) Schmidt.J., : Ibid

يلاحظ انه لايختلف كثيرا عن المعبد الثاني من حيث الخصائص الرئيسة عدا بعض المظاهر يمكن ملاحظتها في المعبد الاول وهي :ـ

١ ـ جاءت جدران هذا المعبد اقل ثخنا مما ساهم في توسيع الصالة المركزية والغرف المتعامدة على جانبيها .

٢ ـ استعمل اللبن المسطح في البناء بدلا من الاجر المسطح وقد كسيت الجدران بطلاء ابيض .

٣ ـ بلورة المظاهر الفنية العمارية فيما يتعلق بريازة الجدران الخارجية وكذلك الواجهات المطلة على الصالة الوسطية حيث تطورت الدخلات القائمة بين الطلعات التي تشكل كوات متدرجة .

٤ ـ وجود بابين في الضلع الشمالي الغربي تؤديان الى الصالة المركزية ويرجع مايقابلهما في الضلع المقابل ويشير المنقب وجود باب آخر في الضلع الشمالي وعلى غرار ماهو من معابد اريدو ٨ ـ ٦ .

٥ ـ وجود مصطبة لصق الضلع الشمالي الغربي من الصالة ويرجح انها بمثابة دكة المذبح ، وامامها يتكرر الحوض ايضا كما في المعبد الثاني .

٣ ـ ريض الشرقي (١) : ضمن بقايا المخلفات البنائية في هذا الموقع بناء

---

(١) مستوطن اثري يقع في ضواحي مدينة الوركاء وتنتشر على سطحه فخار العبيد الملون وغير الملون ومن ادوار تالية ووجد ضمن البقايا البنائية فخاريات ومواد من دور العبيد حيث شخصت البعثة الاثارية الالمانية في مدينة الوركاء عند استطلاعها لهذا الموقع بقايا بنائية عبارة عن بيوت واكواخ صغيرة تطوق ساحات وبينها بناية مستطيلة فسرها المنقبون بأنها تشبه بناية معبد من دور العبيد انظر UVB IX,pp. 33-37

مستطيل الشكل (مخطط - ١١) ابعاده (٦٠ر١١ × ٨٠ر٦ م تقريبــــا) ويلاحظ وجود شبه طلعة بارزة من الداخل على كل من الجدران الثلاث المتبقية . ومجموعة غرف على جوانبه وبقايا دكة قرابين في وســـــطه ، ويقترب التخطيط الارضي لهذه البناية مع : تخطيط المعابد وخاصة ماوجد في اريدو ، وتبة كورة وعلى الرغم من ان تاريخ ووظيفة هذه البناية موضع شك الا انه يرجح انها تمثل معبدا من دور العبيد ، وذلك استنادا الى ماشخص فيها لبعض الخصائص المتوفرة في ابنية المعابد وخاصة مشابهة اسلوب البناء لمعابد اريدو ، هذا وان فخاريات العبيد تركزت تقريبا في هذه البنايـة لذا يرجح انها من دور العبيد .

ثانيا - معابد دور الوركاء (١) :

أ - الوركاء القديم :-

ان جل ماعثر عليه للان من معابد هذا الدور يمثل تلك البقايا المتبقية لمعابد الطبقات ٥ - ٣ (٢) في مدينة اريدو ، فاستظهــــرت

---

(١) يقسم دور الوركاء الى ثلاثة اطوار هــــي :

أ - القديم / ويتمثل في مدينة الوركاء الطبقات ١٢ - ٨ ، وفي اريــــدو الطبقات ٥ - ٤ وتبه كوره (الطبقات ١٣أ - ١٢)

ب - الوسيط / ويتمثل في مدينة الوركاء الطبقات ٨ - ٦ وفي اريدو والطبقات ٣ - ٢

جـ - الاخير / ويتمثل في مدينة الوركاء الطبقات ٥ و ٤ C,B,A وجعل هذا الطور في اول اطوار الدور الشبيه بالكتابي Proto-Literate او الدور الشبيه بالتاريخي Proto-historic

(٢) سفر (فؤاد) : سومر م٣ جـ٢ ص/ ٢٢٩ .

اجزاء قليلة وسيطة منها تمثل بقايا جدران مشيدة باللبن اذ لم يوفق في كشف معالم اخرى تكون فكرة عن مخططات هذه المعابد ، وكان كل منها مشيدا على مصطبة الواحدة منها تلي الاخرى .

ب — الوركاء الوسيط :

تمثله المخلفات البنائية المتبقية لمعابد الطبقة الثانية والاولى من مدينة اريدو . والطبقة ٧ — ٦ من منطقة (اي — آنا) ومعبد المخاريط الحجرية (ومعبد الفسيفساء) في مدينة الوركاء .

ا — مدينة اريدو :

فبالنسبة للمعبدين الثاني والاول[١] لم تتوصل التنقيبات الاثرية الى دلائل توضح شكل التخطيط الارضي لهما لزوال معالمهما بعد تشييد الزقورة في عصر سلالة اور الثالثة وكذلك ماسببته العوامل الطبيعية ، وقد جاء من الطبقة الثانية بقايا جدارين متعامدين لواجهتي مصطبة معبد هذه الطبقة وهما مشيدان بالحجر والجص وبشكل منحدر وعليهما طلاء من الجبس ، اما من الطبقة الاولى[٢] فقد استظهر جداران متعامدان عرض كل منهما ٦ م يمثلان قسما لوجهين من واجهات المصطبة ، وقد شيد بالحجر المهندم نسبيا والجص وكسيا بطلاء من الجبس ايضا ، الا انهما جاءا بشكل متدرج يتألف من قدمات صغيرة ويرجح المنقب بأن واجهة المعبد كانت بشكل انصاف اعمدة مزدانة بحلية فسيفسائية

---

(١) سفر (فؤاد)(١٩٤٧):سومر م ٣ ج ٢ ص / ٢٢٩

(٢) سفر، فؤاد(١٩٤٧): نفس المصدر ص / ٢٢٨ — ٢٢٩

حيث عثر على بقايا قطع من احجار ملونة وكذلك قطع من الجص بشكل مخروطي تكسو وجهها صفيحة من النحاس .

٢ - مدينة الوركاء :

فقد استظهرت التنقيبات الاثرية في الطبقتين ٧ - ٦ من منطقة (اي-انا) مخلفات بنائية عن معابدهما .

ففي الطبقة السابعة (١) رغم ان جلّ ماعثر عليه عبارة عن بقايا جدارين مشيدين باللبن وقواطع متناثرة غير مرتبطة بعضها بالبعض مما يصعب تكوين فكرة عن التخطيط الارضي لهذا البناء لكن العثور على مواد مشابهة لتلك التي استعملت في تزيين واجهات معابد الطبقات التالية مثل اشكال الجرار والمخاريط التي استعملت كتزيينات فسيفسائية .

اما في الطبقة السادسة (٢) فقد استظهرت بقايا ثلاث غرف بينها غرفة مركزية اكبر حجما من تلك التي تقع على جانبيها ويرجح هناك في القسم غير المستظهر وجود مرافق مناظرة . وان المعبد كان بتقسيم ثلاثي . هذا ، وعثر ايضا على مجاميع من مخاريط ملونة يرجح انها كانت تزين واجهات الجدران .

ثالثا - معابد دور العهد الشبيه بالتاريخي او الكتابي (Proto - historic. Proto Iiterate)

أ - طور الوركاء (الاخير) : - اهم ما وصل الينا للآن من

(١) UVB IV, pp. 8-9

(٢) UVB IV, pp. 9, 20

معابد هذا الدور في السهل الرسوبي ، هي معابد مدينة الوركاء من حارة (اي — انا) ومنطقة زقورة آنو (كلاب) ومعبد المخاريط الحجرية ومن موقع تل العقير المعبد المصبوغ .

١ — مدينة الوركاء

اولا — معابد من حارة " اي — انا " :— كشفت التنقيبات الاثرية في حارة " اي — انا " (١) عن بقايا مجموعة معابد من الطبقتين الخامسة والرابعة ، وهي على درجة كبيرة من الاهمية، امتازت بابتكارات عمارية وابداعات فنية تعكس عن سمو فن العمارة الدينية في بلاد وادي الرافدين ومن هذه المعابد :

أ — معبد الحجر الكلسي :—

تعتبر البقايا المتبقية لهذا المعبد (٢) الى انها من اهم

(١) تقع حارة (اي — انا) في وسط مدينة الوركاء تقريبا — من الجهة الشرقية — وهي من اهم المناطق المقدسة في هذه المدينة وابرز معالمها الشاخصة " زقورة اي — انا " e-anna " وتعني (بيت السماء) وخصصت لعبادة الالهة السومرية انانا " In-anna " (سيدة السماء) وهي ابنة الاله آنو وزوجته وهي الالهة التي عرفت في البابلية باسم عشتار . ويرجح ان عبادتها قديمة في هذه المنطقة ترجع الى فترة من ماقبل التاريخ ، وقد ظلت هذه الحارة مزدهرة بابنيتها ومركزا لعبادة هذه الالهة في الادوار التاريخية وحتى العصر الاخميني ، وقامت فيها خلال دور جمدة نصر اول مصطبة مرتفعة تدرجت بالارتفاع والتوسع في الادوار المتعاقبة حتى اقام اور نمو (سلالة اور الثالثة) على انقاضها زقورته الشهيرة التي يقدر ارتفاعها بنحو ٦ ام .
كشفت التنقيبات الاثرية من هذه الحارة عن مجموعة معابد وقد لوحظ وجود معابد متجاورة في الطبقات ٦—٤ ويرى لنزن في هذه الظاهرة أن وجود معبدين مزدوجين متجاورين يشير الى انهما خصصا لعبادة الزوجين الالهين انانا (عشتار) ودموزي (تموز) انظر /

Lenzen.H., :Die Tempel der Schicht Archaisch IV in Uruk."
ZA 15,(1949) ,pp 9-20.

(٢) UVB III, pp. 16-17

المخلفات البنائية المستظهرة من الادوار الاولى في هذه الحارة وتشير بقايا هذا المعبد (مخطط — ١٢أ) الى ما وصل اليه من تخطيط راقي وعمارة رفيعة ، وقد كشفت التنقيبات الاثرية عن بقايا اسس هذا المعبد — من الطبقة الخامسة V — والتي كانت مشيدة بحجر الكلس ، ويرجح ان البناء برمته كان مشيدا بهذا النوع من الحجر ان لم يكن قد استعملت مادة اللبن والتي لم تكشف التنقيبات عن بقاياها في هذه الطبقة (V) بينما كان البناء من الطبقة (IV b) مشيدا باللبن . يمتاز هذا المعبد باتجاه زواياه الى الجهات الاربع الرئيسة ، وبتخطيط ارضي مستطيل الشكل ابعاده (٣٠ × ٧٦م) ، ويكون القسم المركزي منه على هيئة الحرف (T) فيتألف من صالة[1] وسطية طويلة (ابعادها ٦٢ × ٥ر١١م) . وتتعامد على كل جانب منها صف من اربع غرف

---

(١) هناك تسميات عديدة تطلق على الفسحة الوسطية للمعبد منها : ساحة ، غرفة ، فناء ، بهو ، وصالة . ولعل التسمية الاخيرة اكثر دلالة بالنسبة لمعابد هذه الفترة حيث يعتقد ان هذه الساحات كانت في الغالب مسقفة . وقد اشار الى ذلك المنقب (هاينرش) من خلال عمله في مدينة الوركاء وبالدراسة المقارنة مع ما جاء على بعض الاختام الاسطوانية من رسوم لواجهات ابنية في الغالب تمثل واجهات معابد وتشير تلك الرسوم الى ارتفاع الواجهة الوسطية والجانبين احيانا وكذلك الى تخطيطات تشير الى الرواصد التي تستعمل في السقوف انظر /

Heinrich.E., Bauwerke in der Altsumerichen Bildkunst (wissbaden 1957)pp.44-49(Abb.36-45).

وتشير التنقيبات الاثرية التي اجريت في الصالة الوسطية من معبد الحجر الكلسي الى بقايا مخلفات تعود الى سقف هذه الصالة انظر /

UVB XXI, p. 16f.

(بينها غرفة فيها سلم) ويصل الى هذه الصالة بواسطة مداخل من الغرف الجانبية (عدا الغرفتين اللتين في كل منهما سلم) وكذلك من منتصف الضلع الشمالي الشرقي . وفي نهاية الصالة وعلى ذراع ما يكون الشكل (T) تقع خلوة المعبد حيث تقع غرفة وسطية لها مدخل على كل جانب منه حلية عمارية بشكل كوة ، كما وتتعامد على كل جانب من خلوة المعبد غرفة صغيرة . وفي الغالب كانت الواجهات الخارجية للمعبد وكذلك الجدران المطلة على الصالة الوسطية مزدانة بطلعات تحصر بينها كوات منسقة تشكل تزينات بنائية لتلك الواجهات .

ب ـ المصاطب : (مخطط ١٢)

الى الجنوب الغربي من معبد الحجر الكلسي توجد مصاطب(١) مشيدة باللبن منها تتكون من قسمين يشكلان زاوية قائمة هما المصطبة الشمالية الجنوبية والتي يقع عليها المعبد (A) ، والمصطبة الشمالية الغربية وتقع عليها صالة الاعمدة ، وتوجد بين هاتين المصطبتين ساحة تقع على مصطبة مستواها اقل ارتفاعا بنحو ٢م عن المصطبتين المذكورتين وتشييدها كان بعد مصطبة صالة الاعمدة ، وتعود هذه المصاطب في الغالب الى فترة الطبقة الخامسة (V) وقد استغلت بواسطة ابنية

---

(١) حول هذه المصاطب انظر /
UVB. IV,p. 12f
ترى Perkins ان هذه المصاطب تعود الى الطبقة الخامسة (V)
Perkins. A. L., CAM(1949),p. 121

خلال الدورين B و C من الطبقة الرابعة (IVC,IVB) والذين سبقا دور الطبقة الرابعة A (IVA) . وجاءت من الدورين الاخيرين (B , A) تشكيلات بنائية مهمة تشير الى اتساع نطاق المعبد ليشمل حارة مقدسة جللت بمباهج الابهة والعظمة بفضل ما ادخل في عمارتها من ابداعات فنية وتحليات زخرفية راقية ومن اهم تلك الابنية هي :

ج — ابنية من الطبقة الرابعة B (IVB)

١ — المعبد A : (مخطط — ١٢ ب)

يقوم هذا المعبد على المنصة الشمالية الجنوبية (١) وهو بتخطيط ارضي ثلاثي التقسيم في الغالب مشابه الى معبد الحجر الكلسي ، لكنه يبدو اصغر حجما فقد اصبح عرض الصالة الوسطية ٨م ، وتتجه زواياه الى الجهات الاربع الرئيسة وهو ممتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي بالنسبة الى موضع خلوة المعبد . لقد شيد هذا المعبد بواسطة اللبن وتشير معالمه المتبقية الى ان الجدران الخارجية وكذلك الجدران المطلة على الصالة المركزية قد ازدانت بتحليات عمارية قوامها دخلات مزدوجة ومتباينة ، وكان الوصول الى الصالة المركزية بواسطة مداخل من الغرف الجانبية المتعامدة عليها . ان شكل خلوة المعبد يفترض ان يكون على غرار معبد الحجر الكلسي لزوال الجانب الشمالي الغربي من هذا المعبد لذا لايعرف شكل المرافق التي تلي خلوة المعبد والتي في الغالب كانت قد ارتبطت مع صالة الاعمدة . وعثر في الجانب

(١) UVB,VI, pp. 5-6

المقابل (الجنوبي الشرقي) عن بقايا جدران (١) لمرافق بنائية من نفس الدور ، وهي من المنشآت ذات العلاقة بالمعبد .

٢ - صالة الاعمدة :- (مخطط - ١٢ج)

تقع هذه الصالة (٢) على المصطبة الشمالية الغربية وهي فريدة من حيث تصميمها وريازتها ، في الغالب تكوّن جزءا من بناية ذات صلة بمرافق بنائية أخرى لعل الجانب الجنوبي الشرقي لهذه الصالة تمثل واجهة لها ، وصالة الاعمدة هذه مستطيلة الشكل يقوم فيها صفان متوازيان من الاعمدة في كل منهما اربع اعمدة وسطية اسطوانية الشكل قطر كل منها ٦٢ر٢م وهناك عمودان كل منهما نصف اسطواني الشكل يتعشقان مع الجدار الشمالي الشرقي وموازاة الصفين ويرجح وجود مايماثلهما في النهاية الثانية من الصالة . وهذه الاعمدة مزدانة بحلية فسيفسائية قوامها مخاريط فخارية متعددة الالوان (الاحمر والابيض والاسود) ولهذه الصالة مدخل في جدارها الشمالي الشرقي ويرجح مايناظره في الجدار المقابل ، وتشير الدلائل المعمارية المستظهرة الى ان الجانب الجنوبي الشرقي لهذه الصالة ربما تكوّن واجهة للمصطبة التي تقع عليها هذه الصالة حيث يرتقى اليها بواسطة سلمين جانبيين من مقدمة وسطية بارزة ومزدانة واجهتها بدعائم تحصر بينها كوات مزينة بحليات فسيفسائية ، وهناك سلم عند كل من الزاوية الشمالية والغربية لفناء المصطبة الوسطية يؤديان الى مصطبة صالة الاعمدة وقد ازدان جدار

---

(١) UVB, VI, p. 5

(٢) حول هذه الصالة انظر / UVB IV, pp.12-17,& V,p.6
Lenzen.H.J., (1949)Op.Cit.ZA15(1949)p. 14f

السلم الشمالية بحلية عمارية قوامها اعمدة نصف اسطوانية ممشقة مع الجدار ومزينة بمخاريط فسيفسائية وبنفس الالوان الثلاثة مكونة نقوش متعددة وفي الجانب الاخر من الصالة يوجد جداران متعامدان تقاطعهما وفي بعض النقاط بقايا جدران من اللبن يحتمل انها لمرافق بنائية في هذه الجهة ويعتقد المنقب (هانيرش Heinrich) (١) بوجود فناء آخر في هذه الجهة ايضاً وهناك مرافق بنائية عند الضلع الشمالي الشرقي •

(٣) ساحة المصطبة الوسطية :ـ (مخطط ١٢ د) القائم على المصطبة الوسطية الواقعة بين المصطبتين (الشمالية الجنوبية والشمالية الغربية) فهو عبارة عن ساحة مستطيلة الشكل لها مدخل مزور او مائل (bent) يقع عند الزاوية الجنوبية واستظهرت اقسام من جدران هذه الساحة وكانت مزدانه بحليات عمارية مؤلفة من طلعات تحصر بينها دخلات مزدانه بمخاريط فسيفسائية ملونة ويرجح ان مثل هذه الحلية كانت تزين معظم الواجهات المطلة على هذه الساحة (٢) على غرار ما وجد في واجهة مصطبة صالة الاعمدة •

(٤) المعبد (مخطط ـ ١٢ هـ)

يشبه هذا المعبد (٣) بقية المعابد الاخرى من حيث التخطيط الارضي المستطيل الشكل وتقسيم ثلاثي فيتآلف من صالة مركزية وعلى كل جانب منها تتعامد صف من ثلاث غرف في احداها يوجد سلم • وفي نهاية الضلع

(١) UVB IV p.15f

(٢) انظر UVB IV p.13f

Lenzen.H.J., (1949)Op.Cit.ZA,15 p.14f.

(٣) UVB VI,pp.6-7

UVB VII,p.6

الشمالــي الشرقي للصالة تقوم غرفة مستعرضة لا يؤدى اليها مباشرة من الصالة وانما من الغرفتين الجانبيتين من نهاية الصالة ولها مداخل اخرى من الخارج ويرجح وجود مرافق اخرى تتصل بها كما تشير نهايات بعض من جدرانه الخارجية . تتجه زوايا هذا البناء الى الجهات الاربع الرئيسة وجدرانه جاءت خلو من التحليات المعمارية عدا وجود كوة واحدة في كل من الغرفتين الواقعتين في الجانب الشمالي الغربي في الصالة المركزية

(ه) المعبد F (مخطط ١٢ و)

موقع هذا المعبد (١) الى الشمال الغربي من المعبد B ومجموعة المصطبة الشمالية الغربية ، تتجه زواياه نحو الجهات الاربعة الرئيسة وهو تخطيط ارضي مستطيل ابعاده حوالي (١٥×٢٧ م) وتقسيم ثلاثي يتألف من صالة وسطية يتعامد على كل جانب منها صف من ثلاث غرف وفي قمة الزاوية الغربية سلم يؤدى الى سطح البناء - يصل الى الصالة المركزية بواسطة اربعة مداخل جانبية ، وتقوم خلوة المعبد عند الضلع الجنوبي من الصالة حيث توجد في هذا الضلع كوتان بينهما مدخل يؤدي الى غرفة مستعرضة (خلوة المعبد) تليها غرفة صغيرة تقع في الزاوية الجنوبية من البناء وبجوارها غرفة واسعة تحتل القسم الاكبر من ظهر خلوة المعبد وتمتاز هذه الغرفة الكبيرة بتحليات عمارية تزين جدرانها الداخلية قوامها كوات متداخلة وفي ضلعها الجنوبي الشرقي مدخلان خارجيان ، في الغالب هناك مرافق بناء اخرى ملحقة بالمعبد كما تشير الى ذلك بقايا جدران تقع في الزاوية الجنوبية

(١) [illegible]VB XXIII,p. 30ff

من البناء ، الجدران الخارجية ازدانت بحليات عمارية مؤلفة من دعائم تحصر بينها دخالات متداخلة مزدوجة .

معابد الطبقة الرابعة : A

(١) المعبد C (مخطط — ١٣)

: كشفت التنقيبات الاثرية في الوركاء عن التخطيط الكامل لهذا المعبد (١) (مخطط — ١٣أ) فهو يشبه معبد الحجر الكلسي (من الطبقة الخامسه) ومعبد F (الطبقة الرابعة B) تقريباً تتجه زوايا هذا المعبد الى الجهات الرئيسة الاربع ، وتخطيطه الارضي مستطيل الشكل ابعاده (٥٤/٢٠ × ٢٠/ ٢٢ م) وثلاثي التقسيم ، يتألف من صالة مركزية بهيئة الحرف اللاتيني (T) ودلت التنقيبات الاثرية ان هذه الصالة كانت مسقفة حيث عثر على بقايا الرواصد المستعملة للتسقيف وقد تأكد من عائديتها استناداً الى تحليل كاربون ١٤ ((C14)) . هذا ويتعامد على كل جانب من هذه الصالة صف من اربع غرف وتقوم خلوة المعبد في نهاية الصالة (عندالجانب الشمالي الغربي على ذراع الشكل T) تتصدرها كوتان بينهما مدخل وهناك عدد من المرافق تقع خلف خلوة المعبد عبارة عن غرفة مستعرضة يتعامد عليها صف من ثلاث غرف ، وتتميز الغرفة المستعرضة بكبر حجمها قياساً الى بقية غرف ومرافق المعبد فيما عدا الصالة المركزية وكذلك بتحليات عمارية تزين جدرانها الداخلية قوامها كوات كبيرة في ظهر خلوة المعبد وفي الجدار المقابل مع كوات صغيرة تزين معظم جدرانها وكذلك الغرف المتعامدة عليها . ويلاحظان الجدران الخارجية للمعبد وكذلك الجدران

(١) UVB VII pp.6-8 Taf.2 &XXII,p.12ff.

المطلة على الصالة المركزية جاءت خلوا من التحليات المعمارية عدا وجـ
دخلتين في النهاية الثانية من الصالـة يكون الوصول الى الصالة المركزية
بواسطة مداخل من الغرف المتعامدة على جانبيها وهناك مداخل خارجية
للمرافق القائمة عند رأس البناء ، ويستدل من موضع هذه المرافق وهيئتهـا
وخاصة مافيها من تحليات عمارية بان لها خاصية مميزة .

٢- معبد D : يستدل من البقايا المستظهرة (مخطط ٣٣) لهذا المعبد(١)
عما وصلت اليه الابنية الدينية في هذه الفترة من فن عمارى متسامي وريادة
رفيعة ، فتشير مخلفات هذا المعبد الى عناية فائقة لاضفاء النواحي الجمالية
على مظهره الخارجي ، فقد بولغ في استخدام التحليات المعمارية وادخال
ابداعات فنية في شكل الكوات التي تزين الجدران الخارجية . يقوم هذا المعبد
على مصطبة جديدة غطت اجزاء كبيرة من مصاطب الطبقة السابقة (IV B)
وقد شيد بتخطيط ارضي مستطيل الشكل تتجه زواياه الى الجهات الاربع
الرئيسة ، واستنادا الى التخطيط المقترح الذى وضع لتكملة شكل مخطط الاصلي
بالاعتماد على المخلفات الاثرية المتبقية والدراسة المقارنة لتصاميم معابد معاصرة
زمنيآ تكون ابعاده (٥٥ × ٨٠م) . يتألف هذا المعبد من صالة مركزية
بهيئة الحرف اللاتيني (T) ويتعامد على كل جانب منها صف من اربع
غرف وتوجد ثلاث كوات ثلاثية التدرج وعميقة تقع ضمن كل من الضلعين الطويلين
للمعبد ، وتقوم خلوة المعبد في نهاية الصالة من الجانب الجنوبي الغربي

(١) UVB, VI, pp.19-23

وقـــد افترض في تصميم الخلوة والمرافق الخلفية الملحقة ، ان يكون مشابها لما هو موجود في المعبد C • وتزين النهاية الثانية من الصالة سلسلة من الكوات المتدرجة • ولايوجد فيها اى مدخل في جدار هذه النهاية بينما توجد في ظهر الجدار غرفة مستعرضة متساوية من حيث العرض مع الصالـة المركزية كما تقوم غرفة على كل جانب من هذه الغرفة المستعرضة ، وفي الغالب كانت المداخـل في هذا المعبد محدودة فيصل الى الصالة بواسطة مدخلين جانبيين يقعان على ذراع مايمثل الشكل (T)• ومما يميز هذا المعبد ثخن جدرانه وقد جاءت هذه الظاهرة على حساب حجم الصالة المركزيـة والمرافق الاخرى يضاف الى ذلك مابذل من دقة متناهية في التصميم والريازة الرفيعة للجدران الخارجية باستخدام تحليات عمارية متطورة وكوات متدرجـة ثلاثية التركيب ازدانت برقشة فسيفسائية باستخدام مخاريط فخارية •

المعبد E : تقع بموازات الضلع الجنوبي الغربي من المعبد C بقايا بنائية علمت بـ " المعبد E " (١) وتتألف من صف من الغرف تمثل احـد الجانبين الطوليين للمعبد (مخطط ـ٣ج) الذى يتعامد على الصالة المركزية وتشير تلك البقايا الى ان هذا المعبد قريب الشبه الى المعبد C من حيث

(١) UVB, XXIV,p.16 Taf. 30

التخطيط الارضي واتجاه زواياه الرئيسة الى الجهات الاربع ، ويتباين عن المعبد
بوجود تزيينات عمارية في جدران هذا المعبد (E) فالجدار الخارجي يتألف
من سلسلة طلعات تقترب الى هيئة انصاف اعمدة اما الجدار المطل على الصالة
المركزية مزدانة بطلعات بينها دخلات متتالية ،

المعبد الاحمر (مخطط ١٣ د)

بقايا مخلفات بنائية لعدد من المرافق والجدران تقع على امتداد المعبد D
من الجهة الشمالية الشرقية ، ويعتقد بانها تعود لبناية معبد (١) سماه المنقبون
بالمعبد الاحمر نسبة الى الطلاء الطيني الاحمر الذى يكسي تلك الجدران،
وتشير هذه المخلفات البنائية الى بقايا غرف متناثرة لهذه البناية (٢) .

٥ - منشئآت ومرافق بنائية اخرى من الطبقة IV A

ابانت التنقيبات الاثرية ضمن الطبقة (IV A) عن وحدات بنائية ذات صفات
وخصائص تخطيطية وعمارية عن الخصائص المميزة لابنية المعابد ، ومن بين هذه
الابنية ثلاث تشكيلات جاءت بوضعية منسقة مع بعضها لتحيط بفسحة تكون ساحة
وسطية بينها . وتعتبر هذه الابنية على درجة كبيرة من الاهمية لخصائصها
التخطيطية والعمارية من جهة ووجودها ضمن هذه الحارة من جهة اخرى . وهذه
التشكيلات البنائيـــة هي : -

١ - صالة الدعائم الفسيفسائية (مخطط ١٣ هـ) : ان هذه الصالة (٣) تمثل لنا اسلوبا جديدا
اخر لتطور فن العمارة والريازة في بلاد وادى الرافدين وتشبه هذه الصالـــة

(١) UVB, II, pp.29-31

(٢) يرى لنزن ان هذه البناية (المعبد الاحمر) تمثل مرفقا اداريا من المرافـق التابعة للمعابد انظر :
Lenzen.H.J., (1949) Op.Cit.in:ZA15 p.8

(٣) UVB, XXII, p.13ff.

بنـــاء صالة الاعمدة من الطبقة وتعتبر امتدادا لها ذلك باستخدام الدعامة هنا بدلاً من العمود لتحقيق مثل هذه الصالة التي شيدت مـــن صفين متوازيين من الدعامات على الجانبين الطويلين ودعامة بين كل دعامتين ركنيتين ، وهذه الدعائم مربعة الشكل وتتميز الدعائم التي في الاركان بانهـــا اكبر حجماً وتوجد بين هذه الدعامات فرغات تكون مداخل الى القاعة فـــي جميع الجوانب ، وقد بالغ المعمار العراقي القديم في زيارة هذه الصالة عندما تفنن بتزين جميع واجهات هذه الدعامات بتزيينات عمارية تتألف من طلعات تحصر بينها دخلات ازدانت برقشة فسيفسائية من مخاريط ملونة بالاحمر والابيض والاسود. وجاء استخدام الدعامات لغرض تسهيل عملية التسقيف ذلك باقامة عقود واقبيـــة سواء باستعمال الآجر او حزم من القصب ، وتشير التنقيبات في هذه الصالـــة الى العثور على بقايا من القصب كانت في الغالب قد استعملت في تسقيـــف هذه الصالة . اما الوحدة البنائية الثانية في هذه المجموعة فتعرف بـ (صالة الاقبية) (١) وجاءت بتخطيط ارضي مستطيل ذات تقسيم ثـلاثـــي

= Brands, A.M.,:Untersuchungen Zur Komposition der stiftmosaiken ander pfeilerhalle der Schicht IVa in Uruk-Warka (Berlin 1968).

(١) UVB, XXIV, p.14f.

يتألف من صالة وسطية طويلة وعلى كل جانب منها صف من التقسيمات البنائية في باطن الوجه الخارجي لكل منها مايشبه غرفة تشكل بمجموعها سلسلة من الغرف الخارجية على كل من الضلعين الطويلين للبناء • والى الجنوب الغربي من هذه الصالة وفي الجهة الثانية من الساحة الوسطية تقوم وحدة بنائية اخرى تعرف بالمطلمات (١) ، تتالف صالة وسطية مع مجموعة من القاعات والمرافق على جوانبها وقد ازدان الجدار الخارجي المطل على الساحة الوسطية بسلسلة من الطلعات والدخلات • والى الجنوب الغربي من هذه التشكيلات البنائية الثلاث بناية مستطيلة الشكل اطلق عليها اسم (المسرح) (٢) بيدأن المخلفات البنائية لاتشير الى ما هيئتها واعتقد المنقب ليفزن بانها كانت موضعاً للاجتماعات العامة •

معبد المخاريط الحجرية (معبد الفسيفساء) (مخطط — ١٤)

يقوم هذا المعبد الذى اطلق عليه المنقبون اسم معبد الفسيفساء (٣) او المخاريط الحجرية خارج منطقة (اى — انا) عند الزاوية الغربية من سورها الخارجي قرب منطقة زقورة ومعبد (آنو) في الشطر الثاني من مدينة الوركاء المسمى (كّلاب) وتتجه زوايا هذا المعبد الى الجهات الاربع الرئيسة • استظهرت التنقيبات الاثرية طبقتين رئيسيتين ، فالمعبد الاول كان قد شيد على الارض مباشرة ولايفصله عنها اية مصطبة اصطناعية ويرجح انه من فترة (وركاء الطبقة ٦ — ٥) وقد استدل من بقاياه انه مشابه الى معبد الثاني الذى يليه (وركاء الطبقة الرابعة) فهو بتخطيط ارضي مستطيل الشكل ابعاده (٢٩×١٩/٥ ١٠/

(١) انظر مخطط ١٣ از

(٢) UVB,XXIII,p.28

(٣) UVB,XVII,p.7f &XIX,p.11f.&UVB,XX,p.8f. UVB, IX,p.28 & XV,p.8ff.

يتألـف من صالة مركزية على جانبها صف من الغرف وفي نهاية الصالـة تقوم خلوة المعبد ، فهناك غرفة مستعرضة ترتبط مع احدى الغرف الجانبية (في نهاية الضلع الشمالي الغربي) . وهناك دكة بارزة عن اسافل جدران المعبد ، وتمتاز هذه الجدران بكونها ثخينه ومبنيه بحجر الكلسي وعليها طلاء من الجص وقد ازدانت بحلية فسيفسائية من مخاريط حجر بالالوان الاسود والابيض والاحمر . ويحف بهذا المعبد ساحة فسيحة محوطة من جهتيها الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية بسور مشيد باللبن مزين بدعائم بينها في الوجه الداخلي تزينات فسيفسائية من مخاريط فخارية ملونة .

٢ـ تل العقيـر (١) : المعبد المصبوغ : يقوم هذا المعبـد

(١) تل العقير مستوطن اثري يقع على بعد ٨٠ كم جنوب مدينة بغداد ضمن محافظة بابل نقبت فيه مديرية الاثار العامة لموسمين (١٩٤٠ـ ١٩٤١) كشفت خلال تلـك التنقيبات عن اثار تعود لقرية زراعية من دور العبيد (٣ـ٤) وابرز المعالم الشاخصة بقايا مصطبة يقوم عليها المعبد المصبوغ الذى ينسبه المنقب (الاستاذ سفر) الى ماقبـل دور جمدة نصر (اى من الوركاء طبقة ٤) . (للتفصيل عن المعبد المصبوغ من تل العقير انظر : سفر : حفريات تل العقير ،سومر ،م١ ج١ ص٢٦ ـ ٣٠ بغداد ١٩٤٥) كما يرجح ارجاع تاريخه ايضا الى دور جمدة نصر انظر

Lloyd,S., and Safar,F.,"Tell Uqair"JNES, Vol.II,pp.146-149

وذهب لفيف من الباحثين الى جعل هذا المعبد من دور جمدة نصر وبمقارنته مع معابد اخرى مثل معبد الاله انو (١) لمعبد الابيض في الوركاء ومعبد العيون Eye Temple من تل البراك . انظر

Moortgart,A., (1969),Op.Cit. p.6

Perkins,AL., CAM, p. 131f.

وقد كشفت التنقيبات الاثرية عن البقايا المتبقية على مصطبة واحدة مشيدة باللبن وتشير تلك البقايا الى انه ذو تخطيط ارضي لنصف هذه البناية (مخطط ١٥) ، مستطيل الشكل ثلاثي التقسيم يتألف من صالة مركزية وعلى الجانب الشمالي الشرقي منها تقوم صف من اربع غرف ، عثر على بقايا دكة القرابين في وسط الصالة تقريباً ، وتقع خلوة المعبد في الجانب الشمالي الغربي من الصالة حيث توجد كوة وامامها تقوم مصطبة (تقوم مقام دكة المذبح) ، يرتقى اليها بست قدمـــات ويتميز هذا المعبد بالنقوش الجدارية الملونة التي كانت تزيـــن واجهاته الداخليــة فازدانت واجهة (دكة المذبح) بنقوش تشبه تلـــك الحليات المعمارية التي تزين الواجهات الخارجية للمعابد — تمثل طلعات ودخلات ، وتوجد صور حيوانية ضمن تلك النقوش الملونة حيث استظهرت صورة حيوان يمثل الفهد على الجانب الايمن من دكة المذبح المصطبة) ، وصورة اخرى على جبهة الدكة الجانبية القائمة عن دكة المذبح ، وعثر علـــى بعض الجدران بقايا نقوش هندسية ملونة ، اما الجـدران الخارجية للمعبـد فقد ازدانت بطلعات منسقة تحصر بينها دخالات مندرجة ، وطليت الواجهـــات بكساء ابيض من الجص يقوم هذا المعبد كما قلنا على مصطبة بهيئة الحرف D مشيدة باللبن ارتفاعهـا حـوالي ٥م واجهاتها كانـت مزدانـة بـدعائم تحصر بينها دخلات حتى ارتفاع ٤/٦٠م ثم يليها افريز بحلية فسيفسائيـة من مخاريط فخارية ملونة ويعلو الافريز بـعد تبليط من القـار ستارة تحـوم حول سطح المصطبة .

ب — دور جمدة نصر :

١ — معبد من موقع جمدة نصر :_ (مخطط — ١٦)

من المرجح ان البناية الكبيرة التي كشف عنها في موقع جمدة نصر (١) يمثل معبدا من الدور الذى عرف باسم هذا الموقع (اى جمدة نصر) وذهب المنقب (لنكدون Langdon) (٢) الى انها بقايا قصر في حين أن (مكاى Mackay) (٣) يرى انها تعود لمعبد صغير تحيط به ابنية استخدمها الكهنة • وان المخلفات البنائية تشير الى عدد من المرافق تتخللها ساحات وبينها بناية في الوسط اكثر المرافق ترتيبا وهي التي يعتقد فيها (مكاى) بانها معبد صغير فهي تشمل صالة وسطية صغيرة وعدد من الغرف على جانبيها • الا ان ايا من تلك المرافق لاتتصف بالخصائص المميزة للابنية الدينية • ويحيط تلك الابنية سور من اللبن بني بالطريقة المعروفة بالسور المزدوج (Zingel (٤)

(١) جمدة نصر — مستوطن اثرى يقع على بعد ٤٢ كم شمال شرق مدينة كيش بمحافظة بابل نقب في هذا الموقع لنكدون عام ١٩٢٥ (عن البعثة الاثارية البريطانية الامريكية العاملة في مدينة كيش) • وكشفت التنقيبات عن مقومات حضارية جديدة ، تلت حضارة الوركاء (طبقة ٤) وعرفت باسم دور جمدة نصر •

(٢) نشر (هرود Hrouda) مخطط البناء باسم قصر جمدة نصر عن لنكدون انظر :
Hrouda,B.,Vorderasien I Mesopotamien Babylonien, Iran und Anatolien (München 1971),p. 92.

(٣) Mackay,E.,Report on The Excavations of Jamdat Naser (1931)p.226.

(٤) تطلق تسمية على سور مؤلف من جدارين مزدوجين داخلي وخارجي وبينهما فراغات متقطعة بفواصل على امتداد احاطة السور ويكون الوجه الخارجي مدعم بابراج ومثل هذا الجدار يحيط عادة بالابنية المقدسة وقد شاع استعماله في عصر فجر السلالات والادوار التاريخية اللاحقة مثل سور بابل الداخلي •

وهو يتألف من جدارين ومثل هذا السور عادة يحيط بالابنية المقدسة ، ولها مداخل من يحصر بينهما وعلى امتدادهما غرف متصلة فيما بينها ولها مداخل من الساحة الداخلية الكبيرة ، ومثل هذه الطريقة البنائية اختصت في الغالب بالعمائر الدينية ، كما نجد ذلك في الطبقة IIIC من حارة (اى ـ انا) وعلى هذا تعتقد (بيركنس Perkins) (١) ان البناء يعود الى معبد . واضافة الى ذلك فان العثور على مجموعة من رقم الطين في بعض مرافقها له مدلول خاص ، طالما ان مثل تلك الرقم الطينية غالبا ما توجد في المعابد في تسجيل وارداتها . ومما تقدم فان تلك الخصائص البنائية وما عثر فيها من آثار تحملنا على اعتبارها بناية مميزة تجمع بين الخاصية الدينية والدنيوية .

٢ ـ مدينة الوركاء :

معبد آنو (المعبد الابيض) :ـ

يقع في منطقة كلاب (٢) Kullabu ويقوم هذا المعبد على مصطبة عالية مشيدة من اللبن يطلق عليها اسم " زقورة آنو " (٣) وهي تمثل

(١) Perkins,A.L., CAM, p. 130,155

(٢) تقع هذه المنطقة في القسم الغربي من مدينة الوركاء واسمها القديم كلاب "Kullabu"

(٣) اطلق المنقبون على هذه المصطبة تسمية "زقورة آنو" مجازا ، لانها تختلف عن النمط المعمارى المعروف في الابراج المدرجة (الزقورات) التي شمخت لها الحواضر العراقية القديمة ، ولكن ضخامة هذه المصطبة وتطور عمارتها الا انها من نوع الزقورات المصطبية وتمثل الانتقال الى قيام الابراج المدرجة .
وتنسب هذه المصطبة ومعبدها الى الاله آنو سيد السماء انظر/ UVB,III,p.20f .

بناء فخما ومتطورا أخذ بالتوسع والارتفاع على انقاض مصاطب من ادوار متعاقبة ترجع الى ماقبل التاريخ (١) وكشفت التنقيبات الاثرية عن ادوار بنائية مهمة منها ، وقامت عليها معابد خلال الادوار المتعاقبة استظهرت عن المعالم المتبقية للبعض منها (٢) ومن اهمها معبد الطبقة (B) الذى يعرف بالمعبد الابيض (٣) ، نسبة الى اكساء جدرانه بطلاء ابيض من الجص . ويمثل هذا المعبد ومصطبته انموذجا لتطور فن عمارة المصاطب في هذا الدور . وتتجه زواياه الى الجهات الاربع الرئيسة وهو بتخطيط ارضي مستطيل الشكل ابعاده (١٧٫٥٠ × ٢٢٫٣٠م) ويتألف من صالة وسطية على امتداد طول المعبد يتعامد على كل جانب منها صف من الغرف وفي كل من غرفتي الزاوية الجنوبية والغربية يوجد سلم والجدران الخارجية للمعبد مزدانة بتزيينات عمارية تتألف من طلعات متدرجة تحصر بينها (دخلات) . ويصل الى الصالة المركزية بواسطة اربعة مداخل . (مخطط ١٨)

---

(١) انظر / UVB, IX p. 19

(٢) كشفت التنقيبات الاثرية عن بقايا لمعبد من الطبقة وكان تخطيطه مطابق لتخطيط معبد الطبقة اللاحقة الذى اقيم على انقاض المعبد السابق (D) وهناك شبه كبير بين هذين المعبدين والمعبد الابيض واشتراكهما في معظم الخصائص المميزة لابنية المعابد حول هذين المعبدين (D, E) انظر / UVB, VIII, pp. 37-39

اما في الطبقة C فقد استبان عن دورين بنائيين من كل منهما جاءت بقايا بسيطة لما يمثل بنايتين يمثلان الجزء الشمالي الشرقي من الزقورة وقد ازيلت معظم معالمها مما يصعب اعطاء فكرة كاملة عن تخطيط كل منها انظر / UVB, X, pp. 32-33

(٣) للتفصيل عن هذا المعبد انظر / UVB, VIII, pp. 29-35

وفي وسط الصالة تقريبا تقوم دكة القرابين التي تتألف من قاعدة مستطيلة صغيرة مع دكة دائرية عثر عليها اثار حرق ورماد . ويقوم خلوة المعبد (Cella) في نهاية الصالة حيث تقع دكة مستطيلة الشكل لصق الضلع الشمالي الغربي وخلف الدكة مدخل غير نافذ والى جواره مدخل آخر مقابل المدخلين الواقعين في الضلع المناظر . وترتفع المصطبة التي يقوم عليها هذا المعبد عن مستوى السهل بنحو ١٣م وتشغل مساحة تقدر بـ ٧٠×٦٦م ، وواجهاتها مزدانة بدعائم بينها كوات ويعلوها افريز قوامه صفوف من الجرار لعلها حلت محل التزيينات الفسيفسائية التي نجدها في معابد (اي – انا) ويجوز تفسيرها انها كانت لغرض تصريف المياه من لب المصطبة . ويرتقى الى سطح المصطبة بواسطة سلم عرضه ٢,٥م يقع بموازاة الضلع الشمالي الشرقي ويستمر بالصعود اما بنفس السلم او بواسطة سلم يحيط بسطح الزقورة وبجواره (رحبة) لعلها كانت تستخدم لارتقاء الحيوانات والهدايا المخصصة للمعبـــد .

٣– موقع خفاجي (١) – معابد سن (١ – ٥) : (مخطط – ١٩)

(١) خفاجي – من المواقع الاثرية التي شملتها تنقيبات البعثة الاثارية الامريكية الموفدة من المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو (١٩٣٠ – ١٩٣٧) ضمن حملتها التنقيبية في منطقة حوض ديالـــى . ويقـــع هذا المستوطن الاثري على بعد ١٥كم الى الشرق من مدينة بغداد ، وكشفت البعثة المذكورة خلال تنقيباتها في التل المعلم بـ(A) بهذا الموقع عن سلسلة متتالية لمجموعة معابد مهمة منها : المعبد البيضوي ومعبد سن ومعبد نينتو وعدد من المزارات ومعظمها تعود الى عصور فجر السلالات ، عدا المعابد الخمس الاولى من معبد سن فترجع الى الشطر الثاني في العصر الشبيه بالكتابي اي (دور جمدة نصر) انظر :

ومن المعابد المهمة التي تعود في تأريخها الى دور جمد نصر والمستظهرة ضمن الطبقات الخمس الاولى لمعبد سن (اى المعابد المرقمة من ١ الى ٥) تتشابه بصورة عامة فيما بينها من حيث التخطيط الارضي وهيئة المرافق الملحقة بها (مخطط — ١٩). وخاصة بالنسبة لبناية المزار الرئيسي ومرافقها(١) . فتتجه زواياها نحو الجهات الاربع الرئيسة ويتألف كل معبد من بناية للمزار الرئيسي وساحة تقع في الجهة الشمالية الشرقية منهما وضمت عدداً من المرافق شملتها توسعات واضافات جديدة في الادوار المتعاقبة لهذه المعابد ، بينما احتفظت بناية المزار بهيئتها وتخطيطها والتي شملت بصورة عامة صالة مركزية بها " خلوة المعبد " التي تتعامد على جانبها الشمالي الشرقي صف من اربع غرف هناك مدخلان يؤديان من الساحة الملحقة بواسطة اثنتين من هذه الغرف وتقع على الجانب الاخر من الصالة غرفة(٢) على طول امتدادها . وفي صدر الصالة تقع

Delougaz ,P. & LLoyd,S. , Pre Sargonid Temples in the Diyala Region(chicago 1942) =

(١) للوقوف على تفاصيل كل معبد من معابد سن ١ — ٥ انظر :
Delougaz,P.& LLoyd,S.(1942) Op.Cit. p.8ff

(٢) قسمت هذه الغرفة في كل من المعبدين الاول والثاني الى ثلاثة اقسام في الغالب بواسطة سلم . حيث عثر في وسطها كميات من فتات اللبن يرجح المنقب انها استخدمت لقاعدة لسلم يؤدى سطح المعبد انظر/ Ibid.,pp.14-19. اما في المعابد (٣—٥) فكان موضع السلم في الضلع الشمالي الغربي للساحة الملحقة ببناية المزار .

دكة المذبح لصق الجدار الشمالي الغربي من الغالب كان مميزاً (١) عن الجدران الاخرى . وفي وسط هذه الصالة تقوم دكة دائرية (٢) (موقد) امام احد المدخلين المؤديين الى هذه الصالة . وقد استظهرت لاول مرة في معبد الطبقة الخامسة دكة للقرابين (٣) كانت تقوم امام دكة المذبح . وقد أقيم كل من هذه المعابد على انقاض المعبد الذى يسبقه مما ادى الى ارتفاع مستوى البناء تدريجيا فالمعبد الاول شيد على الارض (البكر) مباشرة اذ لاتوجد هنا مصطبة اصطناعية (٤) . وبتعاقب الطبقات اصبح المعبد الرابع قائما على مصطبة (٥) برزت عن مستوى الجدار الشمالي الشرقي

---

(١) لوحظ ان الجدار الشمالي الغربي من الصالة والذى تقوم عنده دكة المذبح كان مميزاً عن الجدران الاخرى ففي المعبد الاول عليه طلاء ابيض من الجص (انظر Ibid.,p.12) بينما في المعبد الثاني قامت دخلة عريضة (كوة) في الوسط وعلى كل جانب منها دخلة عمودية (انظر Ibid.,p.16) وامتدت مثل هذه التحليات البنائية الى الجدار الشمالي الشرقي ايضا كما في المعبد الخامس (انظر Ibid.,p.33)

(٢) عثر على مثل هذه الدكة في صالة المعبد الثالث (Ibid.,p.18) وقد تكررت هذه الدكة في المعبدين المتعاقبين (٤ ـ ٥) ايضا انظر (Ibid.,p.23,33)

(٣) Ibid.,p.33

(٤) Ibid.,p.9f

(٥) Ibid.,p.21

بمسافة ٨٠ سم وبارتفاع حوالي ١م عن مستوى ارضية الساحة فاقيم سلمان عند المدخلين الذين يصلان الى الصالة المركزية اما عن الساحة الملحقة بالبناء فبدأ من فسحة بسيطة مكشوفة في الطبقة الاولى ، توسعت تدريجيا في الطبقات المتعاقبة والحقت بها مرافق ووحدات بنائية وعدد اخر من الساحات الامامية كما في كل من المعبدين الرابع (بدورية A,B) والمعبد الخامس ، وفي الساحة الاولى شيدت دكة للقرابين امام احد المدخلين المؤديين لبناية المزار وقد تكرر وجود هذه الدكة في الطبقات المتعاقبة : وكشفت التنقيبات في هذه المعابد على مجاميع مهمة من اللقى الاثرية بينها هدايا وادوات استخدمت لاغراض طقوسية ومواد ذات علاقة بوظيفة مؤسسة المعبد (١) .

٤ — في دور جمدة نصر (الوركاء الطبقة III) حارة " اى — انا " الطبقة الثالثة (مخطط ٢٠)

شهدت حارة " اى — انا " خلال فترة الطبقة الثالثة من الوركاء اى (دور جمدة نصر) تغييرات جديدة في مقدمتها اقامة مصطبة مرتفعة انتشرت حولها مجموعة من المنشآت والمرافق البنائية ، واحدثت في هذه المصطبة تجديدات وادوار بنائية متتالية توسع حجمها وزاد ارتفاعها حتى غطتها ابنية الزقورة التي شيدها اورنمو مؤسس سلالة اور الثالثة وكشفت التنقيبات الاثرية في هذه الحارة عن معالم وادوار هذه المصطبة

(١) للتفاصيل عن المرافق البنائية الملحقة بهذه المعابد والاثار المستظهرة انظر نتائج تنقيبات هذه المعابد في نفس المصدر السابق .
Delougaz, P., &LLoyd, S. (1942) Op. Cit. p.33

وابنيتها من فترة الطبقة الثالثة (١) وقد قسمت الى ثلاثة ادوار بنائية فيها وهي (A, B, C واقدمها دور C) لكن تلك التنقيبات لم تتوصل الى اية معالم بنائية لمعبد يقوم فوق هذه المنصة ، وذهب لينزن الى ان المصطبة والابنية المحيطة بها كانت حارة مقدسة للآلهة (٢) " اننا " (عشتار) وتعتبر المصطبة والساحة الواقعة الى الجنوب الغربي منها من الابنية المهمة في هذه الحارة ، وقد شهدت تجديدات وتغييرات متعاقبة خلال الادوار الانفة الذكر شملت مساحتها وهيئتها . واما مصطبة الطبقة (٣) IIIC فهي على هيئة مستطيل ابعادها ٢٣،٥ × ١٨،٥ م وقد ازدانت بزخارف عمارية في بعض من واجهاتها اهمها صف من اعمدة نصف اسطوانية ظهرت في الواجهة الشمالية الشرقية ، وفي الدورين المتعاقبين A,B طرأت تحويرات بنائية على هذه المصطبة فاهم ما جاء من دور B (٤) هو بروز مقدمة الواجهة الشمالية الشرقية بامتداد ٣م الى الامام ، كما ظهرت تزيينات عمارية قوامها دخلات ضحلة بين سلسلة من الدعامات . بينما في دور A (٥)

---

(١) انظر : UVB,VII,p.9ff. &,VIII,p.11ff,&,XX,p.11ff,and II,pp.20-26

(٢) Lenzen,H.J.,Die Entwicklung der Zikurrat Von ihren Anfängen bis Zeit der III,Dynastie Von Ur, (Leipzig 1941) , p. 14

(٣) UVB,VII,p.9f.

(٤) Ibid.,p.11

(٥) Ibid.,p.12 ,& UVB,VIII,p.13

ظهرت المصطبة بهيئة جديدة اصبحت مجنحة على هيئة (L) وصارت واجهتها مزدانة بتزيينات عمارية وزخرفية قوامها سلسلة من الطلعات بينهما دخلات بسيطة تزين باطنها نقوش مختلفة بواسطة اوتاد او مسامير من الطين المفخور نهاياتها باشكال بنائية وكذلك بواسطة الواح من الطين المفخور مزينة باشكال هندسية مختلفة وتعد هذه الطريقة في تزيين الواجهات امتدادا وتحويرا لاسلوب استخدام المخاريط الفسيفسائية التي استعملت في الطبقات السابقة . ومن المرافق لبنائية المهمة التي صاحبت هذه المصطبة ساحة[1] (ساحة النذور) تقع الى الجنوب الغربي من المصطبة خاصة بالنذور (ساحة النذور) حيث فيها عدد من الاحواض الخاصة بالقرابين وهي بهيئة حفر وقد استمرت هذه الاحواض في الظهور خلال التجديدات المتعاقبة ، كشفت التنقيبات عن بقايا لجدران هذه الساحة وذلك عن ضلعيها الموازيين للضلع الجنوبي الغربي للمصطبة ، وقد ازدانت الواجهات الداخلية لهذين الجدارين بسلسلة من دعامات بينها طلعات في باطنها تزيينات فسيفسائية قوامها مخاريط ملونة . وقد اسفرت التنقيبات الاثرية في هذه الحارة الكشف عن بقايا بنائية تقع حول المصطبة من ادوار الطبقة الثالثة اي دور جمدة نصر واهم ما يعنينا هنا بقايا ثلاث تشكيلات بنائية تقع الى الجنوب الغربي من المصطبة وتعود الى دور IIIA واعتقد المنقبون بانها تمثل معبد[2] الطبقة الثالثة III وهذه البقايا البنائية هي :

أ — مدخل لبوابة واسعة يواجه الضلع الغربي، تقوم عليها حافة الزقورة

---

(١) UVB, II, pp. 20-26, & VII, p. 12, & VIII, p. 13

(٢) UVB, IV, pp. 19-21, & UVB, VI, pp. 12-13

ب– بقايا جدارين مزدوجين ، ترى الباحثة " بركنز "(١) Perkins بانهما على غرار الجدار الذى يعرف ب (Zignel)الذى شاع في الادوار التأريخية المتلاحقة ومثل هذا الجدار كان يحيط بالابنة الدينية .

جـ– بناية اطلق عليها المنقبون تسمية بناية الممرات المعقدة Labyrinth وهي غريبة في تخطيطها تتألف من سبع غرف ترتبط فيما بينها بواسطة ممرات ومدخلها باتجاه المصطبة وقد ازدانت جدران الغرفة الواقعة في الزاوية الشرقية بتزيينات بنائية قوامها طلعات ودخلات وهي من اكبر غرفها . وتفصل هذه البناية عن مدخل البوابة ساحة .

٥– مزار من تل " العقير"

كشفت البعثة الآثارية العراقية المنقبة في موقع تل العقير عن مزار(٢) من دور جمدة نصر يقع قرب الجانب الجنوبي الشرقي لمصطبة المعبد المصبوغ في تل العقير . ويتألف هذا المزار من صالة مستطيلة توجد في نهايتها دكة تقوم مقام المذبح وكشفت البعثة المذكورة في هذا المزار عن مجموعة من المواد الاثرية بينها فخاريات لجرار من دور جمدة نصر واربعة رقم طين وجدت بالقرب من هذا المزار عليها كتابات من الدور نفسه تتضمن اسماء اعلام ومواقع مدن وصناع وحرفيين والمرجح ان مثل هذه المواد كانت تعود الى المعابد ، ويعتقد منقب تل العقير ان هذه الصالة كانت بمثابة

(١) Perkins, A.L., CAM. (1949), p. 127.

(٢) سفر (فؤاد) : حفريات تل العقير ، سومر م١ جـ١ ص٣٠ – ٣١ و

مصلى ثانوى ارضي يعود الى معبد رئيس من دور جمدة نصر شيد على انقاض المعبد المصبوغ الذى وصفناه وقد استدل على وجوده من البقايا القليلة التي عثر عليها فوق المعبد المصبوغ .

مزار في منطقة معبد آبو ـ في تل اسمر (١) :

جاء هذا المزار (٢) بتخطيط ارضي غريب الشكل بالمقارنة مع مخططات الابنية الدينية المعروفة في العراق القديم ، فمثلا ان زوايا هذا المزار متباينة في درجاتها ، ويتألف البناء من حجرة يدخل اليها من باب جانبي يقع في الجدار الشمالي وتؤدى الحجرة الى صالة مستطيلة ، الا انها سرعان ما تتعرج من جهاتها الغربية وكأن هذه الظاهرة اريد منها تشكيل غرفتين ليكّون الجزء المنحرف موضعا لخلوة المعبد ، وتقوم هنا دكة المذبح في الجدار الشمالي الغربي . وبموازاة الجدار الجنوبي يوجد جدار آخر يكونان ممرا يؤدى الى فسحه تقع لصق الجدار الجنوبي (المنحرف) لخلوة المعبد

(١) تل اسمر ـ يقع على بعد ٥٠ ميلا الى الشمال الشرقي من مدينة بغداد ويمثل هذا الموقع الاثرى بقايا مدينة اشنونا التي اصبحت في العهد البابلي القديم عاصمة لمملكة اشنونا ، وقد كشفت البعثة الامريكية (من المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو) خلال تنقيباتها في هذا الموقع والمواقع الاخرى المجاوره في منطقة ديالى (١٩٣٠ ـ ١٩٣٧) عن معالم مهمة ، تعود لادوار مختلفه خلال عصور فجر السلالات والادوار اللاحقة ومنها العصر البابلي القديم (الالف الثاني ق.م) واقدم ما وصلنا من هذا الموقع مزار يعود الى دور جمدة نصر .

(٢) Delougaz,p.,and,LLoyd,S.,(1941),Op.Cit.,p.159f.

تفسير وظائف تقسيمات المعبد والمرافق الملحقة

يستدل مما اوردته من وصف موجز للمعابد المذكورة اعلاه ، ان بناء المعبد كان في تطور مستمر فقد اتسع حجم البناء وتعددت تشكيلاته والحقت به مرافق ومنشئات بنائية اخرى بحيث صار يكون حارة مستقلة ومتميزة عن سائر المنشئات الاخرى للمدينة ، وجاء هذا التطور تحقيقا للاغراض التي اضطلع بها المعبد بصفته مؤسسة تولت تنظيم النشاط الاجتماعي والاقتصادي في المرحلة الحضارية التطورية التي تمثلها "مرحلة سيادة المعبد" وبعبارة اخرى ان مادخل في بناء المعبد من تشكيلات وتقسيمات اضافية اوما الحق به من مرافق ومنشئات لم يعد استخدامها في الغالب مقتصرا على ممارسة الشعائر الدينية بل اتسع فشمل وظائف وشؤون دنيوية ، احتكرتها الهيئة المشرفة على شؤون المعبد، من كهنة واداريين باعتبارهم يمثلون البناء الفوقي " اومايمثل السلطة السياسية " لمجتمعات مرحلة سيادة المعبد وهذا ماسيتناوله الفصل القادم من هذا البحث .

ويوضح هذا الرأي عن تطور اختصاصات المعابد واتساعها ماسبق ان اوجزته من تطور بنائها ، كان المعبد في اول ظهوره عبارة عن حجرة او صالة بسيطة لاقامة الشعائر الدينية كما في معابد الطبقات ١٧ ، ١٦ ، ١٥ من اريدو وهي اولى معابد معابد واضحة في حضارة وادي الرافدين وكانت على بساطتها مميزة عن المنشئات السكنية الاولى لهذا المستوطن والتي كانت في الغالب عبارة عن اكواخ بسيطة ، وهوعلى ماهومعروف اول مستوطن في السهل الرسوبي في جنوبي العراق في حدود الالف الخامس وبداية الالف الرابع ق.م ، على ان [1]

---

(١) يستدل من الحفريات التي جرت في حفرة الاكواخ في اريدو انه في بدايات الاستيطان في هذا المستوطن كانت المنازل بهيئة اكواخ تدرجت فيما بعد الى بيوت بسيطة مشيدة من اللبن ، انظر

سفر : حفريات اريدو ، سومر م ٥ ج ١ (١٩٤٩) ص ١٦١ - ١٦٤ .

بساطة تلك المعابد تتفق وتنسجم مع مستوى نمو المجتمع في تلك الفتـرة ومقدار متطلبات تفاعله مع البيئة الطبيعية (انظر الفصل الاول) ولكـن استتبع نمو المجتمع وتنوع متطلبات الحياة المادية نموآ متناظرا فـي بناء المعبد كما يتجلى ذلك في معابد الطبقات التالية في اريدو التي اعقبت الادوار الاستيطانية الاولى منذ الطبقة الحادية عشر في اريدو ، اذ تطور بناء المعبد من صالة بسيطة الى بناء ذي تقسيم ثلاثي يتألف من صالـة وسطية مخصصة لممارسة الشعائر الدينية ، وصف من الغرف على كل جانـب منها وكانت وظائفها على ما يرجح خارجة عن نطاق الممارسات الدينية بل انها في الغالب كانت لاستعمال العاملين في المعبد لمزاولة النشاطـات الاجتماعية الدنيوية الى جانب الممارسات الدينية ، يدل على ذلك ان بعض الغرف فقدت الخصائص المباشرة الخاصة بالاعمال الطقوسية . فيلاحظ مثلا ان قدمة القرابين انتقلت الى الصالة الوسطية ابتداء من معبد الطبقـة الثامنة في اريدو بعدان كانت تحتل احدى الغرف الجانبية . كما في معابد الطبقات ١١ ـ ٩ من اريدو ، كما واتخذت بعض الغرف لخزن اثـاث المعبد الطقوسية وكذلك لبعض ماله علاقة بالنشاطات الدنيوية ، ولعـل مما يؤيد ذلك العثور على ثلاث مباخر في غرفة الزاوية الشمالية (١) مـن معبد الطبقة السادسة في اريدو ويلاحظ وجود دكة (٢) صغيرة قرب مدخل هذه الغرفة لعلها استخدمت لوضع المباخر عليها . بينما عثر في مرافق اخرى على اوان فخارية وادوات اخرى مثل تلك الادوات الفخاريـة

---

(١) سفر : حفريات اريدو سومر م ٣ج ١ ص ٢٣١

(٢) سفر : نفس المصدر السابق ص ٢٣٠

الشبيهة بـ(الشمس) (١) من معبد الطبقة الثامنة في اريدو وكذلك العثور على منجل (٢) كامل من الفخار في احدى غرف معبد الطبقة السادسة ايضا ان مثل هذه الالة لا علاقة لها بالشعائر المعبدية ، وانما هي من بقايا مجاميع اخرى من ادوات العمل التي كانت تخزن في بعض مرافق المعبد . (وفي الدور الشبيه بالكتابي Proto literate الذي سبق ان ذكرناها يظهر المعبد اكثر تعقيداً بتقسيماته الداخلية كما نجد في معابد هذا الدور من مدينة الوركاء ولنا في المعبد C من الطبقة الرابعة A (IVA) (الطور الاخير من دور الوركاء) نموذج متكامل لتخطيط معابد هذا الدور فنجد هنا بالاضافة الى الغرف المتعامدة على الصالة المركزية عددا من المرافق في نهاية الصالة المركزية خلف ذراع الشكل T وتكاد هذه المرافق تمثل تشكيلة بنائية اخرى ، ونظرا لعدم تحديد موضع " خلوة المعبد " (٣) فقد كانت هذه المرافق موضع العديد من التفسيرات فاعتقد المنقب (هاينرش) (Heinrich)(٤) في البدء بانها تمثل معبدا ثانيا وذهب الى هذا الرأي ايضاً الباحث اندريه بارو (A. Parrot) (٥) ومن تلك التفسيرات التي ارتؤيت ان هذه المرافق او المعبد الثاني خصص للاله عند نزوله الى الارض وذلك

---

(١) سفر : حفريات اريدو سومر ٤ ج ٢ ص ٢٨٠

(٢) سفر : حفريات اريدو سومر ٣ ج ٢ ص ٢٣١

(٣) Perkins, A.L., (1949), CAM.

(٤) UVB, VI, p. 8, & UVB, X, p. 25f.

(٥) Parrot, A., Ziggurats et Tour de Babel (Paris 1949), p. 117

بمحاولة الربط مع الفكرة التي سادت عن المعابد التي اقيمت فوق مصطبات عالية وعلى الزقورات فيما بعد باعتبار المعابد العالية خصصت الى الالـه عند نزوله من السماء (١) . على ان مثل هذه التفسيرات لا تخلو مـن الخيال لانها تنظر للموضوع من الناحية الفكرية البحتة وان كانت انطلاقاتها من المعتقدات القديمة. وقد عدل " هاينرش " (٢) Heinrich عن رأيـه السابق واعتقد بان هذه المرافق جاءت تلبية لمتطلبات النشاطات الدينية ، ان هيئة هذه الوحدة البنائية وخاصة ما يتعلق بوجود مداخل خارجية في جوانبها وكذلك احتجابها عن المرآى من الصالة المركزية للمعبد توحـي باضفاء خاصية مميزة على هذه الوحدة البنائية لاتخاذها مقرا لكبير كهنـة المعبد وعدد من الاداريين لمزاولة متطلبات مهام اعمالهم باعتبار طبقـة رجال المعبد هي الطبقة الاجتماعية التي انفردت دون غيرها باعبـاء مسؤوليات تنظيم النشاط الاجتماعي وخاصة انها كانت في نمو مستمر وحاولت اضفاء مظاهر الابهة على مهامها خلف الواجهة الدينية ، لانه حتى عنـد الاخذ بمنطلقات المعتقدات القديمة باعتبار هذه الوحدة البنائية خصصت للاله واريد حجب الموضع عن اعين العباد ، رغم عدم تأييدنا لهذه الفكرة الا انها مع ذلك تشير الى نمو مركز الكهنة الذين يمثلون الالهة في هـذه

---

(١) انظر ما اوردته الباحثة "كوف" Goff من تفسيرات حول هذه الوحـدة البنائيـة مـن المعبـد C :

Goff,B.L.,Symbols of Prehistoric Mesopotamia (1963), pp. 73f

(٢) Heinrich,E., "Die Stelung der Uruktempel" in der Baugeschichts" in ZA 15(1944.1950),pp.35-37

الفترة . واخيرا يمكن القول ان هذه الوحدة البنائية اتخذت مركزا لنشاط طبقة خاصة من رجال المعبد عندما نمت مهامهم في تنظيم النشـــاط الاجتماعي الى جانب مهامهم الدينية مما تطلب لتميز مركزهم بمثل هذه الوحدة البنائية والتي تمثل بوادر اولية لانفصال الابنية المكرسة لممارسة النشاطات الدينية عن تلك التي تخصصت للشؤون الاجتماعية الاخرى رغم ان تلك النشاطات كانت تحت الاطار الديني العام ، ولعل مايؤيد هذا الرأى وجود المرافق والمنشآت البنائية الاخرى التي دخلت ضمن نطاق المعبد وكانت لها اختصاصات تتعلق بوظائف المعبد . ويرجح ان مثل هذه الاختصاصات ظهرت منذ عهود قديمة ، فمن موقع العقير كشفت التنقيبات عن بناية تعود الى دور العبيد (١) ويرجح انها كانت ذات علاقة بمعبد هذا المستوطن من دور العبيد والذي لم يستظهر بعد ويرجح

---

(١) ضمن تنقيبات مديرية الاثار العامة في موقع العقير تم الكشف عن مستوطـن عبيدي يقع على بعد ٨٠٠م الى الشمال الشرقي من معبد العقير واستظهرت سبع مستويات بنائية من هذا الدور ، وتشير نتائج التنقيبات ان المستوطن العبيدي كان يمتد تحت مصطبة (زقورة) معبد العقير ، وكان اهم المخلفات البنائية في هذا المستوطن بناية واسعة شيدة بلبن غير منتظم جدرانها ثخينة وعليها اثار طلاء باللون الابيض ، كما عثر في جوارها عن دار بسيطة احتوت على عدد من الافران . انظر :

سفر : حفريات تل العقير سومر ١ ج١ (١٩٤٥) ص ٢٤ وما يليها .

في انه يقع ضمن الطبقات السفلى من مصطبة ا معبد المصبوغ اى ان هذا المعبد شيد فوق انقاض المعبد العبيدى ولعل ما يؤيد علاقة هذه البناية بالمعبد هو قربها من المصطبة التي تكونت في الغالب من تراكم ابنية معابد من ادوار متعاقبة . ثم ان التنقيبات كانت محدودة الا انها تتبعت الى امتداد المستوطن العبيدى تحت المصطبة ، كما ان هذه البناية قريبة الشبه من الناحية البنائية بمعابد هذا الدور وان خلت من الخصائص المميزة لابنية المعابد العبيدية واستظهرت التنقيبات هنا مخلفات اثرية كان من بينها أواني وجرار فخارية تكون عادة من اثاث المعابد ولوازمه حيث عثر على ما يضاهيها ضمن مجموعة المعابد العبيدية في اريدو (١) والى جانب هذه الادوات عثر في هذه البناية والطبقات البنائية الاخرى من هذا المستوطن على مجموعة من الادوات المنزلية من بينها مناجل وفؤوس فخارية وادوات منزلية اخرى وهي من الادوات ذات العلاقة بالانتاج الزراعي . ان هذه البناية العبيدية كانت على ما يرجح تابعة للمعبد وتحت اشراف قيّم المعبد . وفي مدينة اريدو استظهرت بناية من دور الوركاء (٢) تقع الى الجنوب الشرقي من المعابد وقريبة اليها ، وهذه البناية ذات تخطيط ثلاثي التقسيم قريب من تخطيط المعابد رغم انها بعيدة عن الخصائص الاخرى المميزة لابنية المعابد ، وكان من بين الاثار المكتشفة في هذه البناية مجاميع من الاواني والجرار والاقداح من صناعة دور الوركاء وهي تشبه عادة اثاث المعابد وخاصة تلك الصحون النذرية السمجة الصنع المميزة

---

(١) سفر ، حفريات اريدو ، سومر م ٤ ج ٢ (١٩٤٨) ، ص ٢٨٢

(٢) سفر ، حفريات اريدو ، سومر م ٣ ج ٢ (١٩٤٧) ، ص ٢٣٢ ـ ٢٣٤

لدور الوركاء والتي تنتشر بكميات كثيرة من المواقع الوركائية • ووجدت في اريدو ايضا بناية (١) اخرى تقع قرب الزقورة الى الشمال الشرقي منها وهي تمتاز بواجهتها المدعمة لذلك اطلق المنقب عليها تسمية " البناية ذات الرواق المعمد Portico building " اما زمن هذه البناية فيرجح انها احدث عهد من البناية الاولى وانها تعود الى دور جمدة نصر الذي اعقب دور الوركاء كما ذهب الى ذلك الاستاذ محمد علي مصطفى (٢) . وتمتاز هذه البناية بتخطيط ارضي مستطيل الشكل وتقسيم ثلاثي وتتألف من ثلاث قاعات طولية جزأت بجدران قاطعة الى عدة اقسام • وكانت اهم الاثار المستظهرة مجاميع من الاواني والجرار الفخارية من الاشكال المألوفة عادة في المعابد ، هذا الى جانب العثور على بقايا عظام حيوانات والتي تمثل بقايا القرابين التي قدمت الى المعبد • ويستدل من الاثار المستظهرة في هذه البناية ومن قربها الى منطقة المعابد ان وظيفتها كانت مرتبطة بالمعبد ، واستغلت من قبل احد المشرفين على المعبد ، ولعل تنقيبات دقيقة وشاملة في هذه المدينة (اريدو) ستكشف عن معالم ابنية اخرى ربما كانت ذا علاقة بمعابدها ، طالما ان مؤسسة المعبد كانت تسير في تطور تصاعدي مستمر وخاصة في الدور الشبيه بالكتابي حيث شهد تحولات جديدة لم تقتصر على تطور فن العمارة فحسب وانما شملت حجم البناء

---

(١) سفر : نفس المصدر السابق ص / ٢٢٧

Safar, F., "Eridu", SUMER, Vol.3/1(1947), p.102f

(٢) مداولة خاصة مع الاستاذ محمد علي مصطفى احد منقبي هذا الموقع فيعتقد ان هذه البناية ترجع عائديتها الى دور جمدة نصر .

وتعدد المرافق والمنشأات الملحقة به ، وخير مايدلنا على ذلك تلك الابنية التي وجدت في حارة " اى - انا " بمدينة الوركاء ولعل التحول الجديد قد بدأ منذ فترة الطبقة الخامسة V من هذه الحارة مع ظهور المصاطب الثلاث الواقعة الى الجنوب الغربي من معبد الحجر الكلسي ، والتي جاءت بشكل واضح بمنشأتها في فترة الطبقة الرابعة B (IVB) وهي - المعبد A وصالة الاعمدة ومصطبة الساحة الوسطية - أما وظائف هذه الوحدات البنائية فقد ذهب لينزن [١] الى انها غير مؤكدة وواضحة في مثل تلك الفترة من بداية الدور الشبيه بالكتابي ، ثم اشار (لينزن) [٢] فيما بعد الى ان النشاطات والشعائر الدينية كانت تجرى على الاقل في معبدين من منطقة " اى - انا " وذلك خلال فترة الطبقة الرابعة (في الوركاء) هذا بالاضافة الى استعمال معبد المخاريط الفسيفسائية للشؤن الدينية ايضا ، ان هذه الوحدات البنائية (من هذه الطبقة IVB) قريبة

---

(١) Lenzen,H., Die Entwicklung Der Zikurrat. Von Ihren Anfangen bis Zur Zeit der III. Dynastie Von Ur, (Leipzig, 1941),p.52

(٢) Lenzen,H., "Die Tempel Der Schicht Archaisch IV in Uruk", in ZA 15(1949),p.4

من تبه كورة (١) من حيث تعدد التشكيلات

الشبه من الطبقة الثالثة عشر من التشكيلات البنائية المهمة في الطبقة

البنائية وتجمعها حول ساحة وسطية ، ومن التشكيلات البنائية التي تجذب انتباه الدارس هي صالة الاعمدة

الرابعة B (IVB) في الوركاء والتي تجذب انتباه الدارس هي صالة الاعمدة ولعل

ذلك لان تصميمها وعمارتها تختلفان عما هو سائد في ابنية المعابد ولعل

لها وظيفة خارجة عن نطاق اداء الطقوس الدينية فيها . لقد ذهب المنقب

" هاينرش (Heinrich)" (٢) الى ان هذه الصالة كانت بمثابة ممر ،

بينما تشير الباحثة " بيركنز" (Perkins) (٣) الى ان ساحة المصطبة

الرئيسة تمثل المحور المركزي للبناء باعتبار ان هذه الصالة تمثل واجهة لها ،

ولكن العناية الفائقة والجهود الكبيرة التي بذلت في بناء هذه الصالة

يستبعد معها ان تكون مجرد ممر ، وحتى ان كانت واجهة ولابد ان يكون

لداخلها وظيفة معينة بأن لايقتصر على الناحية الجمالية فحسب ، ولعله

يمكن تفسيرها على انها بداية للتقسيم بين الوظيفة الدينية والدنيوية

وجاءت مباشرة في اعقاب ظهور تلك المرافق البنائية المميزة

(١) ان الوحدات البنائية من الطبقة الثالثة عشر في تبه كورة تمثل ادوارا متتالية جاءت بفترات متتالية من عصر هذه الطبقة وتشير البقايا البنائية هنا الى وجود ثلاثة معابد كانت تحيط بساحة وسطية ويرجح ان بناية اخرى كانت تحيط بالجهة المفتوحة وقد اطلق المنقب توبلر Tobler على هذه المجموعة تسمية معابد " الاكروبوليس Acropolis " انظر :

Tobler, A.J., (1950), Op. Cit. p.35

(٢) UVB, III, p.14

(٣) Perkins, A.L., CAM., p.123

في المعبد ، اى ان هذه الصالة جاءت لتحل مكان المركز الادارى وكبداية لظهور القصر او البلاط . ومما لاشك فيه كانت هناك بدايات اولية لظاهرة التخصص والتميز كما لاحظنا ذلك في بناية المستوطن العبيدى من العقير، كما تذكرنا هذه الصالة ايضا بالبناية التي اطلق عليها بناية الرواق المعمد (Portico) في اريدو ، ومما يحملنا على الاعتقاد بان هذه الصالة تعتبر انطلاقا نحو التمييز بين الوظيفة الدينية والدنيوية استمرار مثل هذه البناية في الطبقة الرابعة A (IV A) عندما جاءت الى جانب مجموعة معابد هذا الدور تشكيلات بنائية تكاد تشكل وحدة قائمة بذاتها بعيدة في خاصيتها عن نطاق ممارسة الطقوس والشعائر الدينية ، فيلاحظ ان صالة الدعامات تمثل نقطة مركزية من جهة مواجهتها لمجموعة المعابد (C ,D ,E) وفي الجهة الثانية فقد احاطت مع كل من صالة الاقبية وبناية الحمامات بساحة وسطية لتشكل وحدة مستقلة لعلها كانت بعيدة عن اداء الشعائر والطقوس الدينية فيها ذلك لوجود معابد خصصت لتلك الممارسات ولعل ما يوضح الوظيفة غير الطقوسية اكثر بقايا ثلاث تشكيلات بنائية من الطبقة الثالثة في حارة (اى - انا) في الوركاء وهي الى الجنوب الغربي من مصطبة اى - انا (اى الزقورة)، وهذه البقايا هي : مدخل بوابة كبيرة ، البناية ذات الممرات أوالدهاليز (لبرنث) Labyrinth وبقايا جدارين مزدوجين شبيهين بما يعرف بـ جدار " Zingel " . ويرجح انه كان يحيط بهذه البقايا البنائية وتشكل معا وحدة بنائية مستقلة ، واذا كان

لينزن (١) يشك في ان هذا الجدار كان يفصل بين المصطبة وبين هـذه الابنية ولكن وجود البوابة امام الساحة التي بها بناية الممرات (Labyrinth) يشير الى ان هذا الجدار كان يحيط بالساحة والبناية المذكورة وان لم يكن كذلك فيصعب تعليل وظيفة وجود هذه البوابة ، اما وظيفة هذه التشكيلات البنائية التي يمكن اعتبارها وحده بنائية مستقلة ، فمن الصعب اعتبارها معبدا كما ذهب المنقبون الى ذلك باعتقاد انها تمثل معبد الطبقة الثالثـة (انظر صفحة) لاننا لا نجد فيها الخصائص المميزة لعمارة المعابد ثم ان بناية الممرات Labyrinth غريبة في تخطيطها وان وجود تزيينات عمارية في جدران احدى غرفها لا يكفي لاضفاء طابع المعبد عليها ، كما ان هيئة هذه البوابة غير مألوفة في ابنية المعابد وانها قريبة الشبه ببوابـة البناية المكتشفة من جمدة نصر وكذلك والى مداخل القصر الذى يعود الى عصر فجر السلالات المكتشف في مدينة كيش (٢) . ومما تقدم يرجح ان البناية كانت ابعد من انها كانت تستغل لممارسة الشعائر والطقوس الدينية بل انها اقرب ما تكون مركزا مدنيا تابعا للمعبد كان يشغله الرجال التابعين الى المعبد للقيام بالخدمات الاجتماعية . واذا صح هذا الرأى فيمكن اعتبارها بدايـة لانفصال داخلي بين الابنية ذات الخاصية المدنية وتلك الخاصة بـاداء

---

(١) Lenzen,H.J., (1941),Op.Cit. p. 52

(٢) Mackay,E.,A Sumerian Palace and The " A " Cemetery at Kish (Chicago 1929),Vol. I,p.75f ,PL. 12

المراسيم الدينية وكل ذلك ضمن نطاق المعبد .

اما عن البناية التي عثر عليها في جمدة نصر فهي ما تزال موضع خلاف بين الباحثين ، بين كونها قصرا او معبدا ، (انظر صفحة ٣٣) فان الادلة على كون هذه البناية تمثل معبدا غير كافية ومقنعة وان الاعتماد على وجود جدار من نمط Zignel غير كاف ايضا لان مثل ذلك نجده في القصر السومري من كيش . اما وجود بعض الاثار كرقم الطين التي في الغالب تعود الى المعابد فيمكن ان تشير الى حدما الى وظيفة هذه البناية بانها كانت في الغالب احدى المنشأت التابعة للمعبد وانه يمكن اعتبارها مضاهية للوحدة البنائية من حارة اى ـ انا في الوركاء والمذكورة آنفا . واما تفسير البناية الوسطية باعتبارها معبدا صغيرا ، فمن المحتمل انه يمثل مزارا او حرما للاله ضمن هذه البناية ولعل وظيفة مثل هذا المزار لا يختلف عن تلك المزارات (المعابد الصغيرة) الموجودة ضمن الابنية الادارية او ضمن القصر من العهود التاريخية المتلاحقة خاصة من عصر ايسن لارسا (العصر البابلي القديم) او مايمثل هذه المعابد الصغيرة من موقع تل حرمل .

ونستنتج من كل ما تقدم ان مجتمعات المرحلة التي تعالجها هذه الرسالة قد بذلت جهودا كبيرة في تشييد المعابد بما في ذلك تلك المصاطب العالية التي كانت قاعدة للمعابد وتكاد ان تكون تلك الجهودا ستثنائية ويمكن اعتبارها انها تأتي في المرحلة الثانية بعد تلك الجهود التي بذلتها مجتمعات هذه المرحلة في مجال تفاعلها مع بيئتها الجغرافية كما فرضتها خصائص هذه البيئة (انظر الفصل الاول) ونقصد بذلك كل ما يتعلق بتنظيم الري . لان ذلك من المستلزمات الاساسية للحياة المادية لتلك المجتمعات ، وهنا

نكون امام نوعين كبيرين من النشاط الاجتماعي احدهما وهو الاكبر كان مخصصا لمتطلبات الحياة المادية والاخر بمظهره خصص للاغراض الدينية وربما يقال ان سبب هذا الاهتمام الكبير بالمظاهر الديني يرجع الى مستوى الوعي الاجتماعي الذى بلغته تلك المرحلة الحضارية وهذا ما يمكن قبوله هنا ولكننا نجد ان هناك احيانا توازنا بين الجهود التي بذلت في النواحي المادية وبين تلك التي بذلت على المعابد ، وعلى سبيل المثال ما بذلت من جهود لاقامة المصاطب العالية كما في العقير "واريدو" وخفاجي وفي الوركاء او تلك الاعمال التقنية التي بذلت في ريازة المعابد وكلها تشير الى جهود استثنائية ، فقد اورد المنقب " هاينرش " احصائية تخمينية[1] عن الفترة وعدد الايدى العاملة التي تطلبتها اعمال البناء في مصطبة آنو (اى الزقورة) من طبقتها المرقمة ٨ فقدر ان ذلك يحتاج الى ١٥٠٠ عامل يشتغلون مدة خمس سنوات . ومثل هذا يقال بالنسبة لزقورة اى ــ انا او المصاطب الاخرى ان كل هذه الجهود تشير الى مقدار اهمية مؤسسة المعبد بحيث كان توازن بين الجهود التي بذلت في المجالات المادية وبين ما بذل على هذه الابنية وهنا يجب الا نقتصر في تفسيرنا على الباعث فحسب بالمظهر الديني فحسب على انه السبب الاول والمباشر لانجاز مثل هذه الاعمال وانما يجب ان ننظر اليها بالنسبة الى اهمية مركزها ودورها في تنظيم المجتمع في مختلف مجالات النشاط الاجتماعي في تلك المرحلة التي اصبحت فيها لمؤسسة المعبد السيادة المطلقة على شتى مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية وهي المرحلة التطورية التي اطلقت عليها بـ " مرحلة سيادة المعبد " باعتبارها تمثل نظاما اجتماعيا قائما

(١) UVB,X,p. 24, N.2

بذاته جاء في اعقاب مرحلة الانقلاب الاقتصادى في الانتاج بظهور الزراعة وتدجين الحيوان ، ونستوضح في الفصل القادم سمة النظام الاجتماعي لمرحلة سيادة المعبد .

الفصل الرابع

النظام الاجتماعي في مرحلة سيادة المجد

ان طبيعة الحياة الاقتصادية لمجتمعات مرحلة سيادة المعبد كانت قد أفرزت نظاماً اجتماعيا جديداً بنيّ على اساس العمل الجماعي المشترك في مجالات الانتاج وكان الطابع المميز لهذا النظام اختفاء الملكية الخاصة حيث اصبحت جميع وسائل الانتاج الرئيسة ملكاً عاماً لمؤسسة المعبد (اى لعامة الشعب) لكونها مؤسسة اجتماعية جمعت بين السلطتين الدينية والدنيوية وانفردت بادارة وتنظيم مختلف اوجه النشاط الاقتصادى والاجتماعي في تلك المرحلة .

وقد مرّ هذا النظام مثل الكثير من الانظمة الاجتماعية بادوار ثلاثة هي دور التكوين ودور الازدهار ودور الانحلال . وكان الترتيب الاجتماعي الطبقي في ظل هذا النظام يتألف من طبقتين رئيستين الاولى وهي اقلية تمثلها الهيئة الاجتماعية المشرفة على مؤسسة المعبد ، (والتي سنأتي على ذكرها فيما بعد) وحصلت هذه الهيئة بحكم مركزها الاجتماعي على مكاسب وامتيازات تفوق الطبقة الثانية من المجتمع والتي تضم عامة الشعب وقد اختفت في الغالب خلال هذه المرحلة بقية التقسيمات الاجتماعية التي نجدها عادة في المجتمعات الطبقية ذلك لعدم ظهور مراكز نفوذ من خارج مؤسسة المعبد ، كالتي بدأت منذ دور انحلال هذه المرحلة (اى في دور جمدة نصر) .

سيادة المعبد في ضوء التحليل الاثارى والاقتصادى :

ان سيطرة مؤسسة المعبد على كل المجتمع وتملكها التام لجميع الاراضي الواقعة ضمن دائرة نفوذها كانت من الناحية المرحلية امرا تطلبته الظروف التطورية لنمو المجتمعات في تلك المرحلة . والى ان ملكية المعبد هنا

تعني الملكية العامة لـ(مجموع الشعب) كما ذهب الى هذا " تيومينيف Tyumenev " (١) في معرض كلامه عن وضع اراضي المعبد قبل عصر فجر السلالات ، باعتبار ان ملكية المعبد تعني ملكية الالهة الذين ينوب عنهم الكهنة ، لان ملكية المعبد في مرحلتنا تلك (اى مرحلة بحثنا هذا) تختلف حجما ومفهوما عن ملكية المعبد في ظل المجتمعات الطبقية اى بعد قيام دويلات المدن ، وقد ذهب عدد من الباحثين (٢) من خلال دراساتهم للنصوص الكتابية الى ان ممتلكات المعبد في عصر فجر السلالات ايضا كانت تضم جميع اراضي المدينة السومرية ، وبهذا لا يفرقون بين ممتلكات المعبد والدولة وغيرها ، الا ان هناك دراسات حديثة اخرى تخالف هذه الفكرة

---

(١)

Tyumenev,A.T.,"The State Economy of Ancient Mesopotamia" (1956),in, Ancient Mesopotamia Moscow 1969,p. 70f

سوف يرد هذا الكتاب مختصرا بهيئة AM.

Diakonoff,I.M.,"The Rise of the Desptic state in Ancient Mesopotamia" (1956) in, AM,p.179

(٢)

Deimel,A.,"Sumerische Tempelwirtschaft Zur Zeit Urukaginas und Seiner Vorgänger", Analecta orientalia,2, Roma(1931),pp.78

Falkenstein,A., The Sumerian Temple City (1956) (Translated by, Ellis,M.) 1974,pp.21

وان الصورة التي خرج بها " دياكونوف Diakonoff " (١) من خلال اعادة دراسته للنصوص الكتابيه من دولة مدينة لكش تشير الى ان ممتلكات المعبد كانت تتضمن جزءاً من اراضي دولة المدينة وكانت البقية تقع ضمن الممتلكات الخاصة للطبقات المتنفذة في المجتمع من امراء وحكام والمنتسبين اليهم بما في ذلك عدد من الكهنه ويذهب دياكونوف ايضاً الى ان اراضي المعبد كانت مقسمة الى ثلاثة اصناف لكل منها صفة تختلف عن الاخرى من حيث التصرف والغرض . ان هذه الصورة لاشكال تملك اراضي المدينة تختلف تماماً في مرحلة سيادة المعبد التي اختفت فيها في الغالب الملكية الخاصة ، ويستدل من ذلك ان مؤسسة المعبد في عصر فجر السلالات قد أبتعدت عن مهامها في تنظيم وادارة النشاط الاقتصادى والاجتماعي لكل المجتمع ، وانما دخلت في عمليات الانتاج بصفتها طبقة مستغلة هدفها الاستئثار بجهود المجتمع وتكديس الثروة لمنفعة طبقة المعبد وذلك عندما ما حصل تنافس بينها وبين مؤسسة الدولة ومراكز القوى الاخرى في المجتمع التي اخذت تستأثر باكبر ما يمكن من الاراضي ومن فمائض الانتاج . وتجسد لنا اصلاحات اوروكاجينا (٢) مدى تبلور التناقضات في داخل المجتمع . ويلاحظ هنا ان مؤسسة المعبد عندما تكون في مجتمع طبقي تفقد صفتها كمؤسسة عامة تخدم مصالح كل المجتمع ، وعليه لا يجوز ان يسرى مثل هذا المفهوم على مرحلة سيادة المعبد ، وان الاصلاحات

---

(١) Diakonoff,I.M., (1956) in AM,p. 173ff

Kramer,S.N., The Sumerians (Chicago 1964),p. 75ff.

(٢) Kramer,S.N., Ibid.,p. 317ff.

التي جاء بها اوروكاجينا تشير الى جوانب مهمة من تراث المجتمع السومري قبل ظهور دويلات المدن ، فهي تثبت اوجه المظالم التي لحقت بالمجتمع نتيجة استغلال الطبقة الحاكمة واصحاب النفوذ لجهود المجتمع واستحواذها على الممتلكات العامة وفي الوقت نفسه تلقي هذه الاصلاحات اضواءا على بعض اوجه تنظيم اجتماعي كانت فيه السلطة محصورة بمؤسسة المعبد ، وان ما فيها من مؤشرات طبقية لاتعني انها كانت موجودة في مرحلة سيادة المعبد وانما جاءت مؤاكبة مع مستوى المرحلة التي ظهر فيها الكاهن الحاكم اوروكاجينا من بين رجال الدين والمعبد في مجتمع طبقي اذ لا يمكنه الخروج على نفوذ كهنته وما حصلوه من مكاسب ، ان المهم في هذه الاصلاحات كان ارجاع اراضي القصر وحاشيته الى الالهة (اي المعبد) وكذلك التخفيف من الضرائب والقضاء على الجباة المتعسفين كما جاء في النص (ومن حدود نينكرسو حتى البحر لم يعد هناك جابيا للضريبة) (١) .

تدلنا هذه المؤشرات على اهمية حصر الملكية بالمعبد بهدف وضع حد للتمايز الطبقي في المجتمع ذلك للتخفيف من استئثار مراكز القوى والنفوذ بجهود عامة المجتمع . وعليه فان سيطرة مؤسسة المعبد في المرحلة التي تعالجها هذه الرسالة كانت ضرورية ومهمة لانه لا بديل غيرها يستطيع القيام بدور اساسي في قيادة المجتمع والإشراف المباشر على مستلزمات الانتاج وخاصة ما يتعلق بالمشاريع الكبرى مثل ادارة وتطوير نظام الري . وكما اشرنا في موضوع ظهور طلائع المعبد ، اصبحت الاجهزة القديمة التي كانت تنظم العلاقات الاجتماعية في اغلب الظن تقوم على اسس عائلية وروابط

---

(١) Kramer, S.N., Ibid., p. 318

عشائرية فكانت بذلك غير قادرة لتحقيق مثل هذه المهمات بالنظر لما كان يحصل من منازعات وخلافات، سواء عند تنفيذ مثل تلك الاعمال او لـدى استغلالها مثل الخلافات التي تحصل من جراء توزيع مياه الري وغيرها من المنازعات المألوفة في المجتمعات الزراعية القائمة على اساس الملكية الخاصة ، وربما مارست مجتمعات السهل الرسوبي في بدايات الاستيطان نشاطهما الاجتماعي والاقتصادي وفق قواعد العلاقات العشائرية لكنها وجدت خلال الممارسة انها كانت غير مجدية في مثل تلك الظروف الموضوعية التي كانت تحيط بمجتمع تلك المرحلة بيئيا وانتاجيا • وتلبية لمتطلبات الحياة المادية افرزت تلك المرحلة مؤسسة المعبد وذلك عندما شهد السهل الرسوبي ولاول مرة — حتى الان — ولادة بناية للمعبد في تاريخ بلاد وادي الرافدين وقد أرتوى ترسيخ سلطتها وانفرادها في تحمل اعباء النشاط الاقتصادي والاجتماعي ، كما تدلنا على ذلك نتائج التنقيبات والتحريات الاثرية ، ونستدل من ظاهرة تطور بناء المعبد — والتي اشرنا اليها في الفصل السابق — على مقدار هيبة هذا البناء ومركزه وما خصص له من طاقات وجهود مادية وبشرية ضخمة والتي من الصعب تسخيرها لهذا البناء وفي مثل ظروف تلك المرحلة ما لم تكن لمؤسسة المعبد سيطرة كبيرة وتامة على جميع اوجه النشاط الاقتصادي والاجتماعي • هذا ومن جهة اخرى فليس هناك اي دليل اثري يؤيد وجود بناية بارزة ومتميزة مثل بناية ((القصر)) الى جانب المعبد عدا ما يمكن اعتباره بناء دنيويا من دور انحلال هذه المرحلة كما ذكرنا سلفا في معرض تفسير وظائف تقسيمات المعبد وملحقاته (في الفصل الثالث) ففي اي مستوطن يعود لفترة بحثنا نلاحظ ان العناية التي اعطيت لبناء المعبد كانت كبيرة وقد جاءت بلا شك على حساب سائر المنشآت السكنية فيه وان

ذلك الرفاه والفنون العمارية ما جاء منها كان في الغالب بسيطاً قياساً الى المتمثل في ابنية المعابد ، فمن دور العبيد تشير نتائج التنقيبات الاثرية في عدد من مواطن الاثار مثل اور والعبيد (١) واريدو (٢) الى ان دور السكن في الادوار الاولى كانت عبارة عن اكواخ من القصب ثم ظهرت ابنية بسيطة في تخطيطها وبنائها ، وحتى في دور انحلال هذه المرحلة يلاحظ ان دور السكن وان اصبحت اكثر انتظاما وسعة الا انها ظلت بسيطة بعمارتها بالمقارنة مع تطور بناء المعبد ، مثل تلك الابنية التي وجدت في موقع شفاجي (٣) من منطقة معبد ((سين SIN)) . هذا ومما يجدر تنبيه ايضاً ان المستوطنات التي لم تظهر فيها المعابد بعد كان فن العمارة لدور السكن جاء اكثر تطورا كما يلاحظ ذلك في بعض أبنية تبة كورة من دور العبيد وخاصة ذلك البيت (٤) الذي جاء من الطبقة السادسة عشر حيث ازدانت بعض جدرانه بنقوش ملونة .

ان الاتجاه الذي لاحظناه واضحا في السهل الرسوبي سواء في الرفاه

---

(١) Woolley, L., Ur Excavations, Vol. IV (London 1956), p. 7ff.

وسترد هذه السلسلة مختصرا بهيئة U E

وانظر كذلك : UE, Vol. I, p. 149ff

(٢) سفر (فؤاد) : حفريات اريدو ، سومر ٥ ص ١٦١ وما يليها

(٣) Delougaz, and et al.; Private Houses and Graves in the Diyala Region (Chicago 1967), p. 25f.

(٤) Tobler, A.J., Excavations at Tepe Gawra (1950), Vol. 2, p. 40.

العماري والتعقيد البنائي المتمثل في ابنية المعابد او الضخامة التي ظهرت عليها ، كان ذلك الاتجاه يتماشى واهداف مؤسسة المعبد في المرحلة الحضارية التي نحن بصددها ، فنلاحظ ان المستوطنات اخذت تتسابق فيما بينها **لاضفاء** الابهة على معابدها ليس من اجل التأثير في مجتمع المستوطن فحسب وانما لاظهار مكانة معابدها بين المستوطنات القريبة منها بهدف السيطرة عليها لان متطلبات النمو الاجتماعي وعملية الخلق الحضاري استلزمت تنسيق الجهود بين اكثر من مستوطن واحد لتنفيذ المشاريع الكبرى وخاصة ما يتعلق منها باعمال الري ، فاستطاع بهذه الوسيلة ان يحتل بعض المستوطنات مركزا رئيسا بين القرى الصغيرة المحاطة بها ، وان مؤسسة المعبد في المركز الرئيسي شمل اشرافها وسيطرتها ايضا على القرى الزراعية القريبة وان كان في الغالب يوجد معبد في كل منها(١) ويشير " روبرت آدمز Robert Adams " (٢) من خلال الدراسات والمسوحات الاثرية التي قام بها في السهل الرسوبي الى انه في نهاية الالف الخامس ق٠م وبداية الالف الرابع ق٠م انتشرت قرى زراعية صغيرة في الجزء الجنوبي من هذا السهل واخذت تمتد شمالا باتجاه الوركاء ، واحتل بعض المستوطنات مركزا رئيسا بين مجموعة قرى صغيرة تعتبر مناطق تموين بالنسبة للمركز الرئيسي

---

(١) Postgate,J.N.,"The role of the Temple in the Mesopotamia Secular Community",in MSU ,p. 813, n.3.

(٢) Adams,R.MCc.,"Patterns of Urbanization ",in Early Souther Mesopotamia ",in ,MSU,p. 737ff.

المعماري والتعقيد البنائي المتمثل في ابنية المعابد او الضخامة التي ظهرت عليها ، كان ذلك الاتجاه يتماشى واهداف مؤسسة المعبد في المرحلة الحضارية التي نحن بصددها ، فنلاحظ ان المستوطنات اخذت تتسابق فيما بينها لاضفاء الابهة على معابدها ليس من اجل التأثير في مجتمع المستوطن فحسب وانما لاظهار مكانة معابدها بين المستوطنات القريبة منها بهدف السيطرة عليها لان متطلبات النمو الاجتماعي وعملية الخلق الحضاري استلزمت تنسيق الجهود بين اكثر من مستوطن واحد لتنفيذ المشاريع الكبرى وخاصة ما يتعلق منها باعمال الري ، فاستطاع بهذه الوسيلة ان يحتل بعض المستوطنات مركزا رئيسا بين القرى الصغيرة المحاطة بها ، وان مؤسسة المعبد في المركز الرئيسي شمل اشرافها وسيطرتها ايضا على القرى الزراعية القريبة وان كان في الغالب يوجد معبد في كل منها (١) ويشير " روبرت آدمز Robert Adams " (٢) من خلال الدراسات والمسوحات الاثرية التي قام بها في السهل الرسوبي الى انه في نهاية الالف الخامس ق م وبداية الالف الرابع ق م انتشرت قرى زراعية صغيرة في الجزء الجنوبي من هذا السهل واخذت تمتد شمالا باتجاه الوركاء ، واحتل بعض المستوطنات مركزا رئيسا بين مجموعة قرى صغيرة تعتبر مناطق تموين بالنسبة للمركز الرئيسي

(١) Postgate,J.N.,"The role of the Temple in the Mesopot - amia Secular Community",in MSU ,p. 813, n.3.

(٢) Adams,R.MCc.,"Patterns of Urbanization ",in Early Souther Mesopotamia ",in ,MSU,p. 737ff.

وقد لاحظ " ادمز " هذه الظاهرة في منطقة اور حيث كانت مناطق ريفية

تحيط بالمستوطن الكبير وهكذا عندما امتد التحرك السكاني شمالاً ظهر

عدد من المراكز الرئيسة المهمة مثل الوركاء ونفر - واوما وغيرها . التي

اتسمت بالسعة وكثافة المناطق الريفية المحاطة بها ، التي كانت تحت

اشراف المعابد المركزية . مثلا يرى آدمز " Adams " (١) من خلال

دراسته لمنطقة الوركاء . ان اكثر من مائة مستوطن صغير كانت تقع ضمن

سيادة معبد الوركاء وذلك في منتصف الالف الرابع ق.م . ومقابل

هذا العدد الكبير من المستوطنات الصغيرة ظهرت الى جانب تطور

بناء المعبد معابد كثيرة في هذه المدينة عندما انفردت بالسيادة الدينية

فكان تعدد المعابد خير وسيلة لدعم مركزها وابراز مكانتها لاستقطاب القرى

والمدن الصغيرة اليها . والواقع ان هذه الحالة قد استمرت في مختلف

الادوار التأريخية وحتى الوقت الحاضر . فمدينة الكوفة مثلا ذات المركز

الديني والحضاري المرموق يوجد فيها الى جانب الاماكن الدينية المتعددة

العديد من المزارات والمقامات ضمن جامعها الكبير . ولايخفى ان الهدف

من ذلك ابراز مكانة هذه المدينة واهميتها لتضاهي او تفوق غيرها من

المراكز الدينية الاخرى فتجذب الجماهير اليها من مختلف الاماكن . يبدو ان

هذه الظاهرة كانت خير وسيلة امتدت اليها مؤسسة المعبد في مدينة

الوركاء وغيرها لتحقيق سيادتها ، ولنا في المصادر الادبية القديمة شواهد

---

(١) Adams, A.McC., "The Study of Ancient Mesopotamian Settlement Pattrns and Problem of Urban Origins", SUMER, 25, (1969), p.115

على مساعي مؤسسة المعبد لتعزيز مكانة مدينتها كما نجد في اسطورة " رحلة انانا الى اريدو " (١) عندما زارت هذه الالهة (انانا) الاله انكي (أيا) في اريدو وتحايلت عليه على اثر السكر فمنحها (الوظائف الالهية المقدسة الـ ME'S) او ما يعرف بفنون الحضارة ونقلتها " انانا " الى مدينتها الوركاء بهدف تحقيق الازدهار لمدينتها وتعزيز سيادتها بواسطة تلك الفنون والصنائع الاساسية لبناء الحضارة . وفي الوقت ذاته تؤكد هذه الاسطورة ايضا اعتزاز مدينة اريدو وسعيها للابقاء على تلك الفنون بهدف الحفاظ على مكانتها الحضارية العريقة وذلك عندما تراجع " انكي " من بعد صحوة وندم لتقديمه تلك الفنون الى ابنته " انانا " فحاول عبثا استرجاعها منها الى اريدو .

ومما تقدم نلاحظ ان سيادة المعبد كانت ضرورية ومنسجمة مع تلك المرحلة التطورية لانها ساهمت في بناء اقتصاد مزدهر للمدينة السومرية ، الذي حقق نتائج مادية وفكرية خلاقة كانت الاسس التي قام فوقها الازدهار الحضاري في ربوع بلاد وادي الرافدين في الادوار التالية .

المؤسسات الاجتماعية :

ان كل معبد من معابد العراق القديم كانت تقوم على ادارته هيئة اجتماعية مؤلفة من الكهنة والاداريين ، وكانت تشرف على مهماته

(١) الفؤادي (الدكتور عبد الهادي) : " رحلة اينانا الى اريدو " سومر م ٢٧ (١٩٧١) ص ٥٣ — ٦٢ وانظر كذلك
Kramer, S.N., Sumerian Mythology, (New York, 1961), pp. 64ff.

والرغم ان المظهر العام في مرحلة الدينية والدنيوية ضمن نطاق مؤسستها ، الا ان المهمات الدنيوية التي سيادة المعبد كان يقع ضمن الاطار الديني واكبر حجما ، لذلك ظهرت اضطلعت بها هذه المؤسسة كانت اوسع نطاقا هذه المؤسسة قام بعضها بمهمة تنظيم تنظيمات اجتماعية متعددة ضمن نطاق الطقوس الشعائرية واخرى تولت الشؤون الدينية وما كانت تتطلبه ممارسة السلطة السياسية . وعليه شؤن النشاط الدنيوى بما في ذلك القيام بدور على اساس اعمالهم وواجباتهم على الوجه يمكن تصنيف اعضاء هذه المؤسسة الاتـــي :

١- المهمـات الدينيـة :

لقد اشرنا في تتبعنا لتطور بناء المعبد (انظر الفصل الثالث) الى تعدد التقسيمات الداخلية في المعبد وكذلك الى تلك المرافق البنائية الملحقة ، وقد خصص البعض منها للمسؤولين عن الشعائر والطقوس الدينية مثل موضع خلوة المعبد (اى السيلا – Cella ودكاك القرابين والبخور واحواض الحرق وغيرها وباستطاعة الدارس ان يجد في الادوار التاريخية الكثير من النصوص الكتابية المتعلقة بالحياة الدينية ووظائف الكهنة المشرفين على تنفيذها واصناف الكهنة المختلفة ، على انه ليس من السهل تطبيق مثل هذه التقسيمات على مرحلتنا التاريخية التي تعود الى اواخر عصور ما قبل التاريخ ، ولانها تعود لمجتمعات تنوعت وتعقدت فيها الحياة الاجتماعية ، وانما سنشير الى مايمكن الاستعانة به وتطبيقه على ما هو متيسر لدينا من أدلة اثرية يمكن ان يستنتج منها المراتب الدينية في

مرحلة سيادة المعبد ، ومن تلك الشواهد ما جاء منقوشا على بعض الاختام الاسطوانية من الدور الشبيه بالكتابي ، صورت عليها مواضيع دينية مختلفة من بينها مشاهد طقوسية تمثل اشكالا آدمية وهم يؤدون المراسيم الخاصة بتلك الطقوس ، ويرجح انهم من صنف الكهنة ورجال المعبد مما يمكن تخمين مراتبهم الدينية[(١)] من مظهرهم الشخصي كلباس الرأس وهيئة الشعر واللحى وزى اللباس الذى يرتدونه ، ومن التفاوت في تمثيل كبر احجامهم وترتيب مواقعهم على النقش مثل اسبقية تقدمهم باتجاه المعبد ، ومن الاشكال الادمية التي نجدها منقوشة في الاختام الاسطوانية صورة رجل ملتح — كما في طبعة ختم اسطواني من دور الوركاء[(٢)] — (الشكل ١) ، وبلباس طويل مشبك في الغالب وعلى رأسه طاقية ويحمل في يديه مادة طقوسية ويعقبه عادة شخص آخر يظهر بحجم اصغر ويرتدى مايشبه التنورة او المئزر فقط وهو يحمل ايضآ مادة طقوسية ، ونجد هذين الرجلين ايضا ممثلين في الاناء النذرى[(٣)] (المكتشف من حارة اى — انا بمدينة الوركاء الطبقة الثالثة) (الشكل — ٢) وذهب بعض الباحثين الى ان الرجل الملتحي ربما يمثل ملكا[(٤)] او حاكما وهناك تمثال نصفي من الوركاء لرجل ملتح وعلى رأسه طاقية ونصف جسمه

(١) Falkenstein,A.,ATU.p.50

(٢) Frankfort,H.,Cylinder Seals,(London,1965),p.18f. Text-Fig.2 on page 19

(٣) Moortgart,A.,Art of Ancient Mesopotamia,(London, 1969),p.12

(٤) Frankfort,H.,(1965),Op.Cit.p.22

العلـوى عاراما في النصف الاسفل فنشاهد بقايا تنوره تشبه لباس الامراء(١)
كما في مسلة صيد الاسود . ويقارن " مورتكات " " Moortgart "(٢)
هذا الرجل مع شخص ملتح آخر يظهر على ختم اسطواني من الوركاء (شكل ٨) ويرى
ان هذا الشخص يمثل الهآ في شكل بشرى وقارنة بالاله " دمـــوزى " ،
على انني اعتقـد ان الرجـل الملتحي الذى يظهر على الاختام الاسطوانية
في مواضع متعددة وفي غيرها على الارجح يمثل الكاهن الاعلى للمعبـــد
الذى كان يتولى رئاسة السلطتين الدينية ـ الدنيوية اى ماذكر في اقـدم
النصوص الكتابية (من دور الوركاء الطبقة IV B) بالمصطلح السومــــرى
الـ (اين EN)(٣) . وهناك مشاهد اخرى ذات علاقة بمواضيع دنيويـــة
يظهر فيها هذا الرجل ، وسنأتي على ذكرها كما سنتطرق الى وظيفـــة
منصب الكاهن الاعلى الـ (اين EN) الذى يعني " السيد " عند دراسـة
الاحـوال السياسيـة لهـذه المرحلـــة .

وهناك مراتب اخرى للكهنة يمكن تشخيصهم في مشاهد شعائريـــة

---

(١) Moortgart,A.,(1969),Op.Cit.,p.8-9
Frankfort,H.,(1965),Op.Cit.,p.22

(٢) Moortgart,A.,(1969),Op.Cit.,p.13,Pl.B1

(٣) انظر العلامة تحت رقم Falkenstien,A.,ATU.,No.383
وانظر كذلك : Falkenstien,A.,"Die ur-und Frühgeschich-
cht des Alten Vorderasien"in Fischer Weltgesch-
iechte;Die Altorientalischen,(Frankfort,1965),
p.50
Edzard,D.O.,"Die Frukdyastische Ziet"in Fischer
Weltgeschichte,(Frankfort,1965),p.73f.

مختلفة منقوشة ايضاً على الاختام الاسطوانية ويظهر البعض فيها عـــراة الاجسام (١) ، ومشهد يظهر فيه ثلاثة اشخاص يرجح ان يكونوا في وضـــع طقوسي داخل معبد (٢) (شكل ـ٢) وفي الاناء النذري المشهور (من الوركـــاء) مشهد طقوسي مهم منحوت بالنحت البارز فتظهر الى جانب الصورة الممثلة للالهة انانا (او كاهنتها الكبرى ؟) صور اشخاص يمكن تميز مراتبهـــم الكهنوتية من مظهرهم وفي الحقل الاول من الاناء المذكور يشاهد شخصـاً يقود الموكب الطقوسي الذي يرجح انه يمثل الرجل الملتحي (صورتـــه مفقودة بسبب كسر في الاناء) . ويتبعه رجل يلبس " تنوره " قصيـــرة او مئزرا ويوجد شخصان آخران يقفان على منصة من درجتين وهما على الارجح يقومان بعمل طقوسي يشبهان تقريبا الرجل التابع ، ويرجح ان هولاء الرجال الثلاثة يمثلون كهنة اقل مرتبة من الكاهن الاعظم وكانت لهم وظائف معينـة ويشاهد في هذه المسلة رجل عار يحمل في يديه سلة فواكه ويتقدم الكاهن الاكبر ومثل في الحقل الثاني من مشاهد المسلة المنحوته لتسعة اشخاص عراة يحملون مواد شعائرية وهم من صنف الكهنة أيضا ، ويعتقد بعـــض الباحثين (٣) أن هذا المشهد يمثل استقبال الالهة " اي ـ انا " (او ممثلتها الكاهنة الكبرى) لعريسها " دموزي " ملك الوركاء (الاسطوري) بمناسبة

---

(١) Frankfort,H.,(1965),Op.Cit.,p.22

(٢) Frankfort,H.,Ibid.,p.20,Pl.IIIc

(٣) (انظر الشكل ـ٤) Moortgart,A.,(1969),Op.Cit.,p.12
الدكتور فاضل عبد الواحد : عشتار ومأساة تموز (بغداد ١٩٧٣
ص ٤٢ ـ ٤٣

احتفالات الزواج المقدس في رأس السنة . ويشير المشهد الطقوسي في هذا الاناء النذري على الاقل الى ثلاثة رتب للكهنة الممثلين في المشهد ما عدا صورة الالهة . " انانا " او كاهنتها الكبرى وان هولاء الرجال الكهنــة يمثلون مراتب الكهنة في معبد " اى ــانا " بمدينة الوركاء .

ان نتائج التنقيبات الاثرية في مقبرة اريدو (١) (من دور العبيد ــ الوركاء) تشير الى ظاهرة مهمة لعلها تفيدنا في تحديد احد المراتب الدينية لرجال المعبد فقد تراى لي من خلال دراستي لقبور هذه المقبرة (٢) ان هنـاك تنظيماً متقناً أتبعه سكان اريدو في دفن موتاهم . فجاءت هذه المقبــرة منتظمة اذ لا يوجد اى تجاوز من قبر على آخر وانما كان الدفن يجـرى في مواضع عرفت بانها خالية من دفن سابق وقد وضعت الجثث في توابيت من اللبن منسقة ، وان مثل هذه الظاهرة تشير الى ان هناك شخصـا او اكثر كان موكلاً على هذه المقبرة يرعى مواضع وطرق الدفن فيها والمرجح ان مثل هذه الاعمال كانت مرتبطة بالمعبد ولها مراسيم دينية خاصة ، وهنـاك اشارة في اصلاحات اوركاجينا الى الرسوم الخاصة بالدفن (٣) . كما ترشدنـا بعض النصوص الكتابية (من دور الشبيه بالكتابي) الى القاب بعـــض الاشخاص التابعين لمؤسسة المعبد ضمن الالقاب الدينية التي ترد بكثـرة

---

(١) سفر / لويد : حفريات اريدو سومر ٤، حـ ٢ (١٩٤٨) ص ٢٧٨ وما يليها

(٢) قمت بدراسة المحتويات الدفينة لمقبرة اريدو ومن السجلات الخاصة بنتائج التنقيب في هذه المقبرة والتي لم تنشر تفاصيلها بعد فشكراً للمنقبيـن السيد فؤاد سفر والسيد محمد علي مصطفى على هذه المساعدة .

(٣) Kramer,S.N.,(1964),Op.Cit.,p.81,317ff.

(من دور الوركاء IV) لقب " سنكا " (Sanga) وبالاكدية " šangu " وذهب فلكنشتاين (١) الى ان مدلول هذه الكلمة غير واضح لكنها تشير الى لقب كاهن ولعل مما يؤيد ذلك ان الرقم الطين التي ورد فيها هذا اللقب وجدت من منطقة المعبد . ومن دور جمدة نصر (من الموقع الاثري جمدة نصر) ظهرت عدة مراتب (٢) للقب " سنكـــا " وكثرت الدلالات على هذه الوظيفة الكهنوتية في الادوار التاريخية المتعاقبة ويرى كريمر (٣) ان هذه الوظيفة تعني " الرئيس الاداري للمعبد " اي الكاهن المسؤول عن شؤون المعبد وتنظيمه والاشراف على اعمال موظفيه (٤) ، ومن الالقاب الاخرى التي جاءت من موقع " جمدة نصر " ولها علاقة ببعض الاشخاص العاملين في ادارة مؤسسة المعبد لقب " دب ـ سار " Dub-Sar (٥) وبالاكدية tup-sarru) والموظف الحكومي " لكار " Lagar (٦) .

---

(١) انظر العلامة تحت رقم Falkenstein,A.,ATU.,p.58,No.553

(٢) Langdon,S.,Pictographic Inscriptions from Jamdet Naser,Oxford Editions of Cuneiform Texts,Vol.7 (Oxford,1928).

انظر العلامة رقم 381

(٣) Kramer,S.N.,(1964),Op.Cit.,p.141

(٤) يشير فلكنشتاين ان الكاهن Sanga كان مشرفاً على حسابات المعبد ، ما خلا في معبد Baba لدولة مدينة لكش حيث تولت تلك المهمة زوجة الحاكم انظر : Falkenstein,A.,The Sumerian Temple City, (1974),p.8

(٥) انظر تحت رقم Langdon,S.,(1928),Op.Cit.,No.404

(٦) انظر تحت رقم Langdon,S.,Ibid.,No.274

واستظهرت من المزار الصغير في موقع تل العقير اربعة رقم من الطين تعود الى دور جمدة نصر جاءت منها القاب (١) اخرى مثل الوزير او الرسول " سوكال " (Sukkal = Sukallu) والوكيل " اوكال ، Ugala والمراقب " نو- بندا " Nu-banda والخادم "زور" Sur وما لاشك فيه ان هذه الوظائف جاءت تلبية لتعدد مهمات مؤسسة المعبد في الاشراف على مختلف اوجه النشاط الاجتماعي وخاصة الدنيوية منها .

٢- المهمات الدنيوية (سلطة المعبد)

نتج عن النمو المستمر للمستوطنات القديمة من جراء زيادة قابلياتها الانتاجية ظهور طلائع المدن مع بداية دور ازدهار مرحلة سيادة المعبد ، وتوسعت ايضا اوجه النشاط في شؤون الحياة الاجتماعية لمؤسسة المعبد لمواكبة حجم النمو الاقتصادى والمشاكل التي واجهت المجتمعات القديمة خلال عمليات الانتاج وما يحدث من خلافات بين المستوطنات عند استغلالها لوسائل الانتاج الرئيسة وخاصة ما يتعلق باعمال الرى وتقسيم الاراضي الزراعية فيما بينها ، وقد أبانت الدراسة التي اجراها الباحث روبرت آدمز " Robert Adams " (٢) عن اقدم انماط التمدن (Urbanization) في القسم الجنوبي من العراق . انه

(١) انظر قراءة ياكوبسن في : Lloyd,S.& Safar,F.,"Tell Uqair", JNES.,2,(1943),p.156

(٢) Adams,R.M.,(1972),Op.Cit.,in MSU,pp.735-749

ظهرت في نهاية دور العبيد مستوطنات مكثفة على هيئة مدن صغيرة وقرى زراعية واخرى اصغر حجما واخذت في خلال الادوار المتعاقبة تنضم بعضها الى بعض لتشكل مدنا اكبر ، اصبح بعضها مراكز عمرانية رئيسة تطورت الى دويلات مدن (City States) في عصر فجر السلالات (٢٨٠٠- ٢٣٧٠ ق.م) وهو العصر الذى اشتهر بهذا النظام السياسي وازدهرت فيه حضارة وادى الرافدين وبرزت مراكز رئيسية عديدة منذ دور الوركاء مثل الوركاء ، وأور ، وأوما ونفر وغيرها ، وكانت من اهمها منزلة مدينة الوركاء . ومع ظهور هذه المدن والمراكز كان عدد المدن الصغيرة والقرى في تناقص تدريجي ، حيث وجد من الدراسات التي قام بها (أدمز) للمنطقة المجاورة للوركاء ان عدد المدن الصغيرة والقرى كان خلال دور جمدة نصر (١٤٦) وتناقص الى (٧٦) موقعا في عصر فجر السلالات الاول بينما اصبح عددها في نهاية عصر فجر السلالات (٢٤) ، ومقابل هذا ارتفع عدد المدن من (٢) مدينتين الى (٤) اربعة مدن ومن ثم الى (٨) مدن في نفس المنطقة ، وكان لمشاريع الرى دور مهم وبارز في هذه الظاهرة فان ظروف هذه المرحلة التطورية تطلبت ضم عدد من المستوطنات وعمدت المدن والمراكز الرئيسيه الى فرض نفوذها على القرى المجاوره لها لمجابهة مستلزمات نموها . وطبيعي ان تنافسا كان قائما بين تلك المدن والمراكز الرئيسة وربما ادى الى خلافات ومنازعات فيما بينها على غرار تلك الحروب التي قامت بين دويلات المدن السومرية (١) في عصر فجر السلالات وانهما كانت منازعات مستديمة كما نجد ذلك في احداث الصراع بين مدينتي لكش

---

(١) المزيد من التفصيلات انظر : طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات (١٩٧٣) ص ٢٨٥ وما يليها

" وأوما " في عصر فجر السلالات الثالث (٢٤٠٠ ق م) اي، في زمن سلالة اورنانشة (١) . ان ظاهرة قيام المدن الصغيرة والمدن التي احتلت مراكز رئيسة في مرحلة سيادة المعبد تؤكد ضرورة وجود هيئة اجتماعية متفرعة من مؤسسة المعبد تتولى مهام السلطة السياسية ، وهنا يجب ان نكون دقيقين عند استخدام عبارة السلطة السياسية بالنسبة لمرحلتنا تلك ذلك بان لا تؤخذ بمفهومها الواسع كما عرف في عصر فجر السلالات والادوار المتعاقبة ، كأن تكون هناك مراكز نفوذ وصراع طبقات والتي ظهرت بوادرها على الارجح خلال دور انحلال هذه المرحلة ، ويؤيد هذا التحديد الدقيق الباحث " دياكونوف " (٢) ايضا حيث يرى ان ظهور الطبقة الارستقراطية الحاكمة كان قبيل نهاية دور جمدة نصر . وهنا يتبادر تساؤل هو ـ انه لما كان وجود جهاز يمثل السلطة السياسية في هذه المرحلة

---

(١) ان الوثائق التاريخية المسجلة باحداث النزاع بين كل من دولة مدينة لكش (تل الهبا حاليا) ودولة مدينة اوما (تل جنوخه حاليا) مثل كتابة " ايانا تم " ونص " انتمينا الشهير " تؤكد ان السبب الرئيسي للخلاف بين الدولتين كان حول تحديد الاراضي الزراعية وتقسيم مياه الري بينهما وتشير الى انه خلاف قديم يرجع الى عهد " اورنانشة " مؤسس سلالة لكش وحاكم اوما (اوش) وقد تبلور هذا النزاع بين المدينتين الى صدام مسلح في عهد اياناتم حفيد (اورنانشة) الذي انتصر على غريمه " اينا تالي " حاكم اوما وقد انتهى ذلك بعقد الصلح بين الدولتين ثم تجدد في عهد " انتمينا "
انظر :
Kramer,S.N.,(1964),Op.Cit.,p.53ff.

(٢) Diakonoff,I.M.,(1956),Op.Cit.,in AM.,p.186

امرا ضروريا وفي الوقت نفسه لم تظهر تقسيمات طبقية متعددة في المجتمع اذا ما هي طبيعة تلك السلطة هل كانت استبدادية ؟ او كانت بصيغة اخرى ؟ وقد حاول الاجابة على مثل هذه التساؤلات عدة باحثين منهم ياكوبسن الذى درس النظم السياسية (١) في العراق القديم خلال الفترات التاريخية بالاعتماد على النصوص الكتابية وخاصة الاساطير والقصص، يرى ان النظام السياسي السائد في العصور القديمة كان " الديمقراطية البدائية Primitive Democracy " (٢) وقارن ذلك بمجلس " مجمع الالهة " ومجالس شوراها التي تمثل في رأيه التنظيم السياسي لفترة ما قبل ظهور الدولة (اى قبل عصر فجر السلالات) فهو يرى ـ ان الالهة كانوا يسيرون في مجالسهم

(١) Jacobsen,Th.,"Primitive Democracy in Ancient Mesopotamia",in TITM.,(1970)

نشرت هذه الدراسة في JNES.,2,(1942),pp.159-172

وانظر كذلك Jacobsen,Th.,"Early Political Development in Mesopotamia",in,TITM(1976),pp.132-156

(٢) يمكن تلخيص ما جاء به ياكوبسن في هذا المجال ـ كان قوام السلطة السياسية في تلك المجتمعات من مجلس للكبار (الشيوخ) يديرون شؤون السلطة التنفيذية ، ولكن السيادة العليا كانت بيد مجلس عام يضم اعضاء جميع البالغين من الذكور وله حسم المنازعات والخلافات وخاصة مواجهة الاخطار الخارجية واصدار القرارات حول الحروب والسلام وللمجلس رئيس ينصب خاصة في اوقات الحروب حيث تكون له السلطة المطلقة انظر / Jacobsen,Th., TITM,pp.157-170

اساسي عن النظـــم ذات اجتماعاتهم على اساليب ديمقراطية تختلف بشكل اساسي عن النظم ذات السلطات المطلقة الدنيوية التي كانت النظام الشائع في بلاد مابين النهرين في الفترات التاريخية فيما بعد " ويرى ايضا - ان حكم الالهة وسلطاتهم كان صورة من الاساليب السياسية القديمة التي كانت تسير عليها الدولـــة الدنيوية في بلاد ما بين النهرين في عصور ما قبل التاريخ ولا سيمـــا الاطـوار الاخيـرة منهـا (١) .

يمكن ان نتفق مع ياكوبسن بان سلطات الالهة التي تصورها الاساطير تمثل لنا (الى حد ما) الاوضاع السياسية التي كانت عليها مجتمعـــات ما قبل التاريخ لو ان لهذه الاراء ما يدعمها من الادلة الاثرية ، كما اننـا في الوقت نفسه نخالف محاولتـه (ياكوبسن) ابعاد صفة الاستبداد كليا عن سلطة الالهة او السلطة الدنيوية في ادوار ما قبل التاريخ . ذلك لان الاساليب القسرية تكون ضرورية وموجودة في كل المجتمعات وهناك شواهـــد مستقاة في الاساطير ومن المخلفات الاثرية الاخـرى ، تشير بوضوح الـــى اساليب البطش والتعسف التي كانت تمارسها الالهة مثال ذلك قرار مجلـس " مجمع الالهة " باحلال الطوفان (٢) للقضاء على الجنس البشري اوما جاء عن بطش انليل وقسوته بحيث ان الالهة كانوا عاجزين عن تبديـــل قراراته ، وحتى في مجلس الالهة يتجسد الا ستبداد كما نجد ذلك فـــي اسطورة " الخليفة البابلية " (٣) حيث جاء على لسان الاله مردوخ حين اشترط

---

(١) Jacobsen,Th.,TITM,p. 164.

(٢) انظر عن قصة الطوفان في : طه باقر : ملحمة كلكامش (١٩٧١) ص ١٢٣ وما يليها ، د . فاضل عبد الواحد علي : ثم جاء الطوفان " سومر ٣١ (١٩٧٥)

(٣) انظر اللوح الثالث السطر ٥٨ و ٦٤ (من اسطورة الخليقة) في Speiser,E.A.,"The Creation Epic," Ancient Near Eastern Texts,(1969),p. 165.
سوف يرد هذا المصدر مختصرا بهيئة ANET

للقنساء على " تيامة "

" عليّ ان اجمع المجلس وأعلن سلطتي المطلقة "

وقوله ايضا :

" عسى ان يكون الامر الصادر من شفتي لا يمكن تغييره "

هذه بعض الامثلة من الاساطير عن استبداد الالهة وسلطتها المطلقة، وهناك ادلة اثرية تشير ايضا الى الاساليب القسرية التي كانت تتبع في مرحلة سيادة المعبد هنا يشاهد على بعض الاختام الاسطوانية من اساليب قسرية كما في طبعة ختم من دور الوركاء حيث يطلق فرانكفورت (١) على المشهد ((ملك في معركة)) ويظهر هنا الرجل الملتحي (اي الـ " ابن EN ") واقفا وامامه اشخاص بينهم عدد من اتباعه وآخرون موثوقوا اليدين عند منطقة العضدين وربما كانوا يمثلون اسرى (الشكل ٥) . وهناك مشاهد اخرى سنأتي على ذكرها تباعا . ومن ناحية اخرى ان تشييد المعابد ومنشآتها الضخمة (كما مر بنا في الفصل الثالث) لا يتم دائما باعمال طوعية وانما كان تنفيذها يتم في الغالب بواسطة جهاز قسري يستمد قوته وتستخلص مما تقدم انه خلال مرحلة سيادة المعبد تولت هيئة الكهنة مهام السلطتين الدينية والدنيوية بزعامة الكاهن الاعلى للمعبد وكان ذلك في دور تكوين هذه المرحلة في اطوارها الاولى . ومنذ اواخر دور العبيد ازدادت النشاطات الدنيوية لهذه المؤسسة فتخصصت هيئة عليا من الكهنة والعاملين في ادارة المعبد لتلك الاعمال وبرئاسة الكاهن الاكبر وانتظموا بما يشبه المجلس الذي يمثل السلطة السياسية لرجال المعبد مركزه في معبد

(١) Frankfort,H.,(1965),Op.Cit,p.22 Text - fig.6 ,p.23

المدينة وله رئيس تولى الزعامة العليا في منطقته • وكان هناك تدرج بين اعضاء المجلس من حيث مكانتهم ومراتبهم وان مثل هذا التنظيم الاجتماعي على الارجح كان يشبه ما تصوره الاساطير والنصوص الدينية عن نظام مجلس مجمع الالهة • (١) ومهماته في ادارة الكون • وقد قصد رجال الفكر الديني السومري بهذه الصورة التي اعطوها لآلهتهم ايجاد تبرير ديني لنشاطهم بموجب مبدأ التشبيه الذي ينسب الى الالهة صفات البشر المادية والروحية ونسبوا اليها السلطة العليا في ادارة الكون • وكان هذا خير مخرج لتبرير تولي هيئة الكهنة مهام السلطة السياسية باعتبارهم ينوبون عن الالهة في الارض • وان الصورة التي اوردتها النتاجات الفكرية القديمة عن " سلطة الالهة " لا يستبعد انها تمثل ايضا ممارسات المجتمعات العراقية القديمة قبل ظهور الدولة في مجال التنظيم الاجتماعي • ولعل ما يؤيد هذا تلك النصوص التأريخية التي تشير الى وجود مثل تلك المجالس كما نجد ذلك في قصة النزاع بين مدينتي (٢) الوركاء (في عهد ملكها كلكامش) وكيش في عهد ملكها (اكا) • على اننا نفتقر الى نصوص كتابية قديمة عن طبيعة وتركيب السلطة السياسية في مرحلة سيادة المعبد ،

(١) انظر :

Jacobsen, Th., TITM., p.16ff.

(٢)

Jacobsen, Th., TITM., p.160ff.

وانظر كذلك كريمر : من الواح سومر (ترجمة : طه باقر) ١٩٥٨ ص ٨١ وما يليها

ورد جلجامش في اثبات الملوك السومرية على انه الملك الخامس وما يليها في سلالة الوركاء الاولى واكا الملك الثالث والعشرون في سلالة كيش الاولى

Jacobsen, Th., The Sumerian King List, (1939), p.169ff.

ولكنه يمكن توضيح اطار تلك السلطة بالاعتماد على بعض النصوص الكتابيـــة القديمة التي تفيد الموضوع فقد وصلتنا من مدونات الدور الذي يطلق عليـــه الشبيه بالكتابي " بعض الالقاب والاسماء التي يمكن ان تكون لها علاقـــة بالنظام السياسي وانها استعملت في الادوار التاريخية للدلالة على بعـــض المراكز الدينية والسياسية وظهرت كذلك في الاساطير والملاحم القديمـــة نذكر منهـــا :-

علامة " EN " (١) وتعني سيد وجاءت هذه العلامة من فترة الوركـــاء الطبقة IV A اي في اول ظهور الكتابة في حضارة بلاد وادي الرافدين، وتشير هذه العلامة في الاصل الى لقب ديني (٢) . ان علامة EN تشيـــر

---

(١) Falkenstein, A., ATU., sign no. 383

(٢) تدل هذه العلامة على لقب ديني وقد وردت في الاكدية بهيئة " اينـــم enum ــ كاهن ، ومؤنثتها " اينتم " entum اي كاهنـــة وكان كهان الالهة يلقبون انفسهم بلقب " EN " وفي بعض الاحيان كان بعض الامراء والاميرات ممن لهم مناصب سياسية يحملون هذا اللقب ايضا انظر :
Hallo, W.W., Early Mesopotamian Royal Titles, (1957) p3-10
ويرى فلكنشتاين انه في بداية الكتابة "Proto Historic" مارس الملـك نشاطه بهيئة كاهن ويرى ايضا ان بعض الامراء والحكام في الادوار التاريخية ظلوا يلقبون انفسهم ب" EN" وان الكهان من طبقة EN كانوا يقيمون فـي جزء من المعبد يعرف " كيبار " gi6-para انظر :
Falkenstein, A., (1974), Op.Cit., p.10
Falkenstein, A., (1965), Op.Cit. p50f
وانظر كذلك عن هذا اللقب
وذهب ادزرد Edzard في معرض بحثه عن EN ان مقابلتها لكلمة سيـد غير كافية ذلك لما لهذا اللقب من منزلة وترتيب وانه ظهر لقب EN = كاهـن في استعمال اكثر في ادوار منذ العصر الاكدي . انظـــر :
Edzard, D.O., (1965), Op.Cit., p.73ff.

الى مرتبة رفيعه ومهمة في مرحلة سيادة المعبد اذ كانت تجمع بين المنصبين الديني والدنيوي وهذه المرتبة في الغالب كانت موجودة في جميع معابد مرحلة سيادة المعبد ، وتفيدنا الاشارات التاريخية لالقاء أضواء على هذا المنصب، من الملاحظ انه في نصوص الدور الشبيه بالكتابي لم يظهر بعد اللقبان السياسيان " آنسي Ensi (١) و " لوكال " (٢) ملك " وايضا العلامة " لو" Lu (رجل) التي تكون القسم الاول من Lugal ويرى " هالو Hallo" (٣) ان هاتين العلامتين ظهرتا لاول مرة في نصوص اور القديمة (اي اواخر عصر فجر السلالات الثاني) وفي الوركاء من فترة الطبقة الاولى . ويشير فلكنشتاين (٤) انه فقط مرة واحدة جاء لقب Lugal على رقيم من الطبقة الثالثة B (III B) . وقد حاول فلكنشتاين (٥) الربط بين العلامتين ((اين)) (EN) و" لوكال" (Lugal) ويعتقد انه في بداية التاريخ كانت سلطة الملك تمارس من

---

(١) جاء اللقب " انسي " Ensi مكتوبا في نظام الكتابة المسمارية بشكل PA.TE.SI وهذه القراءة غير مؤكدة كما يشير " كاد " Gadd وانه عنوان امارة تمنح من قبل الالهة ، انظر :

Gadd,R.I.,UE.,Vol.I,(1928),p.2

واستنتج " Hallo " من تحليله لهذا الإسم انه لقب سياسي .

(٢) Hallo,W.W.,(1957),Op.Cit.,pp.34-36

(٣) Falkenstein,A.,ATU.,p.57

(٤) Hallo,W.W.,(1957),Op.Cit.,pp.10-13

(٥) Falkenstein,A.,(1965),Op.Cit.,p.5

Falkenstein,A.,(1974),Op.Cit.,p.10

قبل كاهن تلقب بـ((اين)) EN ، وكان هذا الرجل يقف على قمـــة اقتصاد المعبد (اى المجتمع) . وقد اشرنا الى هذا اللقب عند عرض المهمات الدينية للمعبد ،بانه يمثل " الكاهن الاكبر " وشخصناه بالرجـــل الملتحي الذى يظهرممثلا على الاختام الاسطوانية ولكن يعتقد بعض الباحثين بانه يمثل ملكا ، فيرى فرنكفورت .[1] انه ظهر في طبعة ختم اسطواني مـن دور الوركاء الاخير(IVA)(شكل٥)بمظهر دنيوى سمى المشهد بـ" ملك فــي معركة " فيقف هذا الرجل وبيده رمح وامامه عدد من اعوانه وهم يتابعـون الاعداء ، بينما يستبعد " فان بورن Van Buren "[2] ان يصور هـــذا الختم مشهد معركة وان الرجل الملتحي يمثل معبودا . وفي طبعة ختـم اسطواني[3] اخرى (من دور الوركاء) يظهر هذا الرجل وبيده رمـح وخلفه عدد من الاشخاص(الشكل ـ ٦) ، وان كانت هذه الطبعة غير كاملة لمعرفة تفاصيلها ، لكن اجزاءها الباقية تشير الى وجود عدد مـــن الرجال (عراة) ، اثنان منهم اكبر حجما من الباقين وبينهما رجل اصغر وقد ثنى رجليه (ربما يمثل اسير) في حين ان احد الرجلين الواقفيـن يمسك بيده الة (ربما عصا) موجهة الى ذلك الرجل (ولعل هـــذا المشهد يمثل عملية قتال او تعذيب) . وهناك جزء من طبعة ختـم[3] ايضا من دور الوركاء ـ (الشكل ـ ٧) تمثل صورة رجل (يشبه فــي

---

(١) Frankfort,H.,(1965),Op.Cit.,p.22;Text-Fig.6

(٢) Van Buren,E.D.,Religions Rites and Ritual in the Time of Uruk IV-III,Archiv für Orientforschung, 13(1939-1941),p.37ff.

(٣) Goff,B.L.,Symbols of Prehistoric Mesopotamia ,(1963), pp.63-64;Fig.263 and 264

زيه الرجل الملتحي) بيده مايشبه قوس او حربة ، ويحمل على كتفه الايسر ما يشبه الصولجان . وفي مشاهد اخرى يقوم هذا الرجل (اى ال " ايـن EN ") باطعام حيوانات المعبد (١) العائدة للالهة " انانا " كما يدل على ذلك من وجود رمز هذه الالهة (وهي حزمة القصب) ، (الشكل ٨ ـ ١٠) وفي اختام اخرى يظهر ال " اين EN" مع تابعة في مشاهد طقوسية(٢) كما في (الشكل ٣ او) فيظهر مع مجموعة من الهدايا والنذور على غرار بعض الهدايا الموجودة على الاناء النذرى . وفي مشاهد اخرى يكون امام معبد (الشكل ١)

ويرى كل من مورتكات(٣) وفرنكفورت(٤) ان هذا الرجل يمثل الحاكم او الملك . وخلاصة القول ان مجموع مشاهد هذه الاختام سواء المواضيع الدينية منها ام الدنيوية فهي تشير الى اهمية الرجل الملتحي اى الـ " اين EN" على انه ابرز شخصية تمثلها الاثار الفنيـة من تلك المرحلة وبما انه يظهر في مواضيع متعددة منها دينية واخرى دنيوية ونظرا لعدم وجود ما يدلنا على شخصيات ذات مناصب سياسية كالملوك والامراء فـي تلك المرحلة وكما اشرنا سلفا ان لقب " اين EN" ارجح ما ينطبق على هذه الشخصية التي كانت له الزعامتان الدينية والدنيوية ، وقد ظل هذا

---

(١) Frankfort,H.,(1965),Op.Cit.,pp.17,20-21; Pl.IIIa,Vd,i

(٢) Frankfort,H.,Ibid.,p.20,Pl.IIIc & p.19 Text-Fig.2
انظر كذلك) Moortgart,A.,(1969),Op.Cit.,p.9,Pl.L,1

(٣) Moortgart,A.,Ibid.,p.13,Pl.A5,B1

(٤) Frankfort,H.,(1965),Op.Cit.,p.22

اللقب من المناصب الرفيعة في الادوار التاريخية وتلقب به الكثير من الامراء والملوك ، فكان الـ " اين En " الحاكم الزمني قبل ظهور الملك " لوكـال Lugal " في اور كمـا نجد ذلك بالنسبة لعدد من حكام مدينـة الوركاء ، مثل اينمركار ، كما ان كلكامش ولوكال بندا لقبا بلقب" اين En (١)
الوركاء و كلاب : (En-kul-ab-ba-ki$_4$) .

ويرى " هالو " Hallo " (٢) ان لقب " اين En " مـع حاكم مدينة الوركاء ولقب " لوكال Lugal " ارتبط مع حاكم مدينـة اور وان الدراسات (٣) التي تمت في القاب المناصب السياسية العليا ولا سيما " انسي Ensi " و" لوكال Lugal " اثناء عصر فجر السلالات تشير الى مراحل تطور لقب الحاكم السياسي ، ويبدو ان " اين En " كان في الاصل الشخص الذى يجمع بين الزعامتين الدينية ـ الدنيوية وكان منصبه يضاهي منصب الملك ومما يؤكد على اهمية هذا اللقب انه يأتي في الاساطير مع لقب اله " انليل " وعلى انه يضاهي لقب " لوكال Lugal " كما جـاء ذلك فـي اسطـورة " انليـل ونليـل " (٤) ونقتبس منها المقطع التالي :

" اين En " (السمـــاء) الذى يجعل الحبوب تنمـو

---

(١) Falkenstein,A., ATU,p. 58f
Falkenstein,A.,(1974),Op.Cit.,p.10

(٢) Hallo,W.W., (1957),Op.Cit.,p.12

(٣) Hallo,W.W.,Ibid.,pp.34-36,10-13

(٤) Jacobsen,Th.,and,Kramer,S.N.,"The Myth of Inanna and Bilulu" JNES, Vol. 12(1953),pp.181-182

الذى يجعل الكتان ينمو انه انت

" اين En " (السيد)

" اين En " (سيد) السماء " اين En " (سيد) السفلي

" اين En " (سيد) الارض انه انت

وابن En (سيد) الارض انه انت

ولما كان انليل هو " اين En " (السيد) لما كان انليل

هو " لوكال Lugal " (ملك) فلا يمكن تبديل امر انليل

ان شاعرنا القديم كان دقيقا في استخدام الالقاب فهو يؤكد استخدام

لقب " اين En " اولا باعتباره المصدر الاعلى للسلطة منذ القدم ولصفته الدينية جعله متقدما على لقب " لوكال Lugal " عندما اراد الموازنة بينهما لان هذه الاسطورة دونت في وقت كانت الملكية النظام السياسي لذلك المجتمع الذى كانت فيه كل من وظيفتي " الاين En واللوكال Lugal " منفصلتين .

وبعد ظهور دويلات المدن السومرية في عصر فجر السلالات (٢٩٠٠ - ٢٣٧٠ ق.م) على اثر نمو المراكز الرئيسة في السهل الرسوبي ظهرت سلطات مدنية فيها واتخذ حكامها القابا سياسية جديدة مثل " انسي Ensi " امير او حاكم و " لوكال Lugal " ملك وكان لكل منهما مدلول سياسي من حيث اتساع السلطة من الناحية الجغرافية وكانا يختلفان مفهوما ووظيفة عن منصب " الاين En " الذى كان كما قلنا يجمع بين السلطتين الدينية الدنيوية في العصر الشبيه بالكتابي ، بينما ظهر هذان المنصبان اى انسي ولوكال بالتعاقب وقد تطورا عن سلطة " الاين En " عندما حدث الانفصال بين السلطتين الدينية ، والدنيوية نتيجة ظهور مراكز قوى جديدة في داخل المجتمعات والصراع بينها وبين

مؤسسة المعبد للاستئثار كليا بالسلطة ، وهنا يجب الا نغفل دور التنافس الذى كان قائما بين المراكز الرئيسة مثل الوركاء واور ونفر وكيش وفاره وغيرها لان في حالة وجود مراكز قوية يأخذ التنافس بين تلك المراكز اطارا آخر (وان كان المضمون الاساسي هو عامل اقتصادى) يختلف عن التنافس الديني ، وعليه فقد اتخذ من أستأثر بحكم بعض المدن لقبا جديدا مثل " انسي Ensi " (١) فقد ظهر هذا اللقب في النصوص القديمة من اور وفي النصوص المدرسية من فارة (عصر فجر السلالات الثاني) . ويرجح ان صاحب هذا اللقب كان في الاصل شخص ادارى ممن عمل في امرة المعبد كما يظهر ذلك من تحليل " هالو Hallo " (٢) للمقاطع التي يكتب

---

(١) Hallo,W.W.,(1957),Op.Cit.,p.34

(٢) اورد " هالو Hallo " في معرض بحثه عن (PA.TE.SI) مقارنة لبعض الالقاب المرادفة مثل (PA.SI) الذى جاء في نصوص اور القديمة وكذلك (GAR.PA.TE.SI) في النصوص المدرسية القديمة من فاره، وذكر امثله عنهما . ويشير " هالو " انه ـ بالاضافة الى الانواع المختلفة لـ GAR.PA.TE.SI,PA.SI ، انه في حدود بداية قائمة فارة التي تحتوى على وظائف والقاب فهناك وظيفة GAR.PA.TE.SI.GAL من المحتمل تكون اعلى منزلة من (GAR.PA.TE.SI) التي كانت من المحتمل نوعا من المؤسسة التي تضم موظفين ذوى درجة اقل وكانت لهم وظائف مختلفة ويرى انهم من المحتمل كانوا يقومون بواجب معين في البلاط الملكي . ويذهب الى المقول ان (GAR.PA.TE.SI) جاء تاليا لـ (PA.SI.) ، وان اللقب الاول جاء لاول مرة في النصوص الادارية من فارة ومن الوثائق المعاصرة التي جاء من من ادب واماكن اخرى .

Hallo,W.W.,(1957),Op.Cit.,p.35f.

وضمت اليها عددا من المدن الصغيرة والقرى الزراعية وقد استنتج "آدمز Adams"(١) من المسح الاثري لمنطقة الوركاء ان مساحتها في بداية الالف الثالث ق.م بلغت نحو ٤٠٠ هكتار(٢) وقدر عدد سكانها ما بين (٤٠٠٠٠ - ٥٠٠٠٠) نسمة، وتشير هذه التقديرات الى مدى عظمة هذه المدينة ونفوذها وسلطة سيدها "الاين En" لذا يمكن القول انه لم يكن بمقدور "انسي Ensi" اور ان يستعمل لقب "الاين" ربما لاسباب دينية لم يتمكن من الخروج عليها وتجاوزها مضافا الى ذلك على ما يحتمل نفوذ الكهنة في هذه المدينة. ويستدل من دراسة "بروز Burrows"(٣) تيام، رجال من طبقة الكهنة من مرتبة "السنكا SANGA" كحكام مدنيين واداريين في دولة مدينة اور تحت ادارة الملك "لوكال Lugal" اي انه استمر نفوذ الكهنة حتى من بعد ظهور منصب الملك "لوكال Lugal" ومن مظاهر التنافس بين مدينتي الوركاء واور كان حكامها يحاولون الجمع بين الصفتين الدينية والدنيوية، فمدينة الوركاء ذات التقاليد الكهنوتية العريقة حافظ على لقب En وفي الوقت نفسه استعمل لقبا "انسي Ensi" و"لوكال Lugal" ايضا كمدلول سياسي. كما نجد ذلك في بها وهي (PA.TE.SI) ، ومما يجدر ذكره ان منصب "الانسي" "Ensi" ظهر في مدينة اور وهي احدى المراكز الرئيسة التي كانت تسعى لاخذ مركز السيادة فيما بينها ومنافسة مدينة الوركاء التي احتلت في مرحلة سيادة المعبد المرتبة الاولى بين سائر المراكز الرئيسة في السهل الرسوبي

---

(١) Adams, R.M. (1972), Op.Cit., in: MSU, p.739

(٢) الهكتار نحو ١٠٠٠٠ م٢

(٣) Burrows, E., : UET, Vol.2 (1935), p.13

ملحمة (١) " اينمركار وسيد آراتا " حيث استخدم الشاعر لقب " لوكال Lugal " مع " اين En " لاظهار المكانة السياسية والدينية معا كما نجد في البيتين التاليين :

... (" سيد كلاب " En (مليكي) Lugal

(Lugal (الملك) . En (السيد) ذو الحكمة العظيمة)

وهنا استعمل الشاعر اللقبين لاضفاء الأهمية على منصب الملك " لوكال Lugal " والاشارة الى الجمع بين السلطتين الدينية والدنيوية كما كانت عليها مدينة الوركاء وغيرها من المراكز الرئيسة في هذا السهل في مرحلة سيادة المعبد .

ونستخلص مما تقدم ان منصب " الاين En" يختلف مفهومه عن المناصب السياسية الاخرى في عصر فجر السلالات والادوار التاريخية اللاحقة . وكان " الاين En " شخص قوى متنفذ دينيا وسياسيا ، تولى زعامة السلطة الدينية ـ الدنيوية التي كانت تسير دفة المجتمع (في مرحلة سيادةالمعبد) اقتصاديا واجتماعيا . ولتنفيذ مناهج وواجبات تلك السلطة وبعبارة اخرى تلبية لما تتطلبه ارادة الالهة (استنادا الى الفكر العراقي القديم) اقتضى ان يكون الى جانب " الاين En " مساعدون واشخاص تنفيذيون يكونون " مجلس سلطة المعبد " . وقد جاءت من الدور الشبيه بالكتابي جملة مصطلحات ذات مضامين سياسية تشير الى المجلس واعضائه ومن

---

(١) Kramer,S.N., Enmerkar and The Lord of Aratta (1952),p. 13f

انظر ملخص ترجمة هذه الملحمة في :

Kramer,S.N.(1964),Op.Cit.,p.269ff.

المصطلحات المهمة التي يجدر ذكرها هنا . الكلمة السومرية (Unkin)[1] بشرم "Puhrum" وتعني مجلسا ولا سيما مجلس شيوخ المدينة وبالاكدية وقد ظهرت العلامة التي تكتب بها هذه الكلمة في اول ظهور الكتابة في دور الوركاء الطبقة الرابعة A (IV A) والكلمة السومرية (Abba)[2] وبالاكدية (abu(m) وتعني " الشيخ " وجاءت ايضا من فترة الوركاء الطبقة الرابعة A (IV A) . ومن دور جمدة نصر ظهرت كلمة (Num)[3] وتعني " الوجيه " او (النبيل) . ان ظهور هذه العلامات في تلك المرحلة لها اهمية كبيرة في القائها الضوء على بعض المناصب وكذلك ما يتعلق بالصيغة التي اقترحها ياكوبسن في معرض بحثه عن " مؤسسة " الديمقراطية البدائية " ، لان مثل هذه المصطلحات قد ترددت في الاساطير وفي النصوص التاريخية التي اعتمد عليها ياكوبسن .

---

(١) Falkenstein,A.,ATU.,p.41

وكذلك انظر : Jacobsen,Th.,TITM.,p.137,n.11

(٢) Falkenstein,A.,ATU.,p.37

وانظر كذلك Jacobsen,Th.,TITM.,138,n.44

(٣) انظر العلامة تحت رقم Langdon,S.,(1928),Op.Cit.,No.29

وقد ترجم ياكوبسن هذه العلامة بـ " الرجل النبيل " ويرى ايضا ان لهذا اللقب مكانة محترمة يأتي في مصاف الامراء احتراما ومنزلة .

Jacobsen,Th.,TITM.,p.153f.n.102

ففي الاساطير نجد ان مجلس الالهة يتألف من خمسين عضوا الا ان وظائفهم غير معروفة جميعا كما في اسطورة الاله الطائر " زو " (١) . وكذلك ما نجد في اسطورة انليل وننليل (٢) عن الالهة السبعة الذين يقررون مصير الكون ، واذا طبق مثل هذا التنظيم المفترض على مجتمعات مرحلة سيادة المعبد فان ذلك يعني ان هناك مجلسا مؤلفا من خمسين عضو وربما كانوا ممن يحملون لقب " Abba " اي الشيخ والاعضاء السبعة يحملون لقب " Nun " اي الوجيه . والرئيس الاعلى " الاين EN " . على ان مثل هذا التركيب المعقد من حيث العدد والمراتب لا يمكن تطبيقه بالنسبة لدور التكوين (لمرحلة سيادة المعبد) ولا بالنسبة لبداية دور الازدهار ، ذلك لان مستوطنات السهل الرسوبي كانت حتى بدايات الالف الرابع ق.م صغيرة الحجم فيشير " آدمز Adams " (٣) في دراساته ومسوحاته في منطقة الوركاء ان المدن الصغيرة والقرى الزراعية العبيدية كان لا يسع حجم اكبرها عن (١٠) هكتارات . هذا ومن جهة اخرى كانت المراكز الرئيسة التي ظهرت لم تبلغ من الكثافة في مستوى المستوطنات الريفية المحيطة بها وانما بدأت هذه الظاهرة (اي تكاثر المستوطنات الكبيرة) في النصف الثاني من الالف الرابع ق.م . وعليه فان مثل هذا التنظيم الاجتماعي يمكن قبوله في

(١) Speiser, A.E., "The Myth of Zu", in ANET. (1969) p. 111f.

(٢) Kramer, S.N., (1964), Op. Cit., p. 146ff.

وانظر كذلك ماجاء في اسطورة الخليقة البابلية "enuma iliš"

الرقيم السادس (VI) Speiser, A.E., ANET. (1969), p. 69

(٣) Adams, R.McC., (1972), in MSU., p. 741

دور ازدهار ومرحلة سيادة المعبد (اي من بداية الدور الشبيه بالكتابي) بالاعتماد على الدلائل الاثرية التي تشير الى نمو المدنية السومرية وتحقيق ازدهارها الاقتصادي كما تمثل ذلك الابنية الدينية الضخمة والتي تحققت نتيجة تزايد فائض الانتاج الاجتماعي وتطلب انجاز الاعمال الادارية والتدابير المتعلقة بذلك اشرافا اوسع وتنسيقا اكبر للقضاء على ما يظهر من تناقضات وخاصة من جراء توسع اعمال الري وكذلك المنافسات التي كانت في الغالب قائمة بين المراكز الرئيسة . وان هذا التنظيم قد تبلور من ممارسات مجلس الكهنة والاداريين في معابد المستوطنات العبيدية ودور الوركاء القديم . وكانت المجالس المصغرة توزع مهمات الاشراف الاداري فيما بينها كأن يكون هناك مسؤولا عن الري وآخر عن الاراضي والرعي وغيرها من الاعمال ووفقا لمستوى متطلبات الحياة المادية ، اما في دور الازدهار فقد تعدد اعضاء المجلس لتوسع المنطقة الواقعة تحت سيطرة مؤسسة المعبد ، وهنا يمكن القول ان مثل هذا التنظيم الاجتماعي كان محصورا بالمراكز الرئيسة ولايستبعد ان يكون من بين اعضاء المجلس (مجلس سلطة المعبد) ممثلين عن معابد المدن الصغيرة . وتفيدنا موارد الاساطير في القاء الضوء على بعض الوظائف في مجالات اعمال المجتمع وأوجه نشاطه في تحقيق متطلبات حياته المعاشية وتنظيمها ، وهناك في اسطورة " انكي "ونظام الكون " (١) اشارات الى تعيين آلهة مسؤولة عن تلك الاعمال فنصب الاله " انكي " الاله " اينبيلولو Enbilulu " مشرفا على الري والاله " انكيمدو Enkimdu " مسؤولا عن مستلزمات العمل الزراعي ، واله القمح

---

(١) Kramer,S.N.,(1964),Op.Cit.,pp.172ff.

اشنان " Ashnan " مسؤولا عن الحقول واله الاجر " كلا " Kulla "
مسؤولا عن ادوات العمل وغيرهم. ان تنصيب آلهة مشرفين من هذه الاعمال يجب
الا يقتصر على الجانب الاسطوري بل انها تمثل المجتمع البشري بناء على
مبدأ التشبيه ، كما ان تلك الاعمال كانت تتطلب فعلا الاشراف، وطالما ان
الكهنة يمثلون الالهة فيرجح ان اعضاء من " مجلس سلطة المعبد " كانت
لهم نفس الواجبات .

ومن الواجبات المهمة المناطة المجلس " مجلس سلطة المعبد " والتي
يمكن الوقوف عليها في الاساطير مسألة المنازعات والخلافات التي كانت تحدث
في تلك المجتمعات وكذلك اساليب حلها طالما لاتوجد أدلة تشير الى طرق
معالجتها وخاصة الخلافات الخارجية مثل المنازعات التي تحدث بين القرى
الزراعية والمدن الصغيرة او المنافسات القائمة بين المراكز الرئيسة ، فاسطورة
" الخليقة البابلية " (١) تشير الى حدوث أزمة بين الالهة حين عزم الالهة
الكبار ولا سيما ابو الآلهة " أبسو " للقضاء على جيل الالهة الحديثة
ونجاة هولاء بقضاء الاله " ايا " على ابسو بالسحر ، وبعد ذلك اعتزمت
" تيامة " زوج ابسو الثأر لزوجها ، فنصبت قائدا لجموعها وهو (كنكو)
الذى زودته بالسلاح وبلوح القدر كما انها ولدت او خلقت اعدادا كثيرة
من مخلوقات مخيفة مركبة (آدمية وحيوانية) وبتهيأ هذا القضاء على الالهة
التي اجتمعت لمواجهة الخطر المحدق بهم وبعد احجام الالهة عن منازلة
" تيامة " في مجلس الالهة انتخبوا الاله " مردوخ " ملكا عليهم وقائدا

(١) Speiser, A.E., "The Epic of Creation", in ANET., (1969), p.60ff.

والذى يهمنا من هذه الاسطورة ان الاله " مردوخ " الذى اختاره الالهة ملكا عليها اصبحت له امتيازات خاصة وسلطات مطلقة فتصبح له الكلمة العليا في مجلس الآلهة وكذلك الاشارة الى وجود أزمة ، وما هذا الاسطورة نقلت من المجتمع البشرى الى مجتمع الالهة بحسب مبدأ التشبيه بحيث نستطيع ان نستنتج الاسلوب الذى كان يتم به فض المنازعات واختيار الحاكم الزمني ليتولى الرئاسة وقيادة المجتمع لمجابهة الازمات والاخطار التي تحيق به وكيف كان يحصل هذا الرئيس على السلطة المطلقة . ونجد مثل هذه الحالة ايضا في اسطورة " زو " (١) (من آلهة العالم الاسفل) ، لانه سرق الواح القدر من الاله " انليل " ، وقد استردت منه بعد قتله (اى قتل الطائر زو) . وبعبارة اخرى ان هذه الموارد الاسطورية انها جاءت انعكاسا لاشكال الخلافات والصراعات التي واجهت مجتمع العراقي القديم سواء الداخلية منها او الخارجية ويرجح ان تحديد الاسطورة للنزاع بين مجمع الالهة وبين من هم دونهم منزلة مثل الالهة الصغار من اولاد " تيامة " او الطائر " زو " من الهة العالم الاسفل تشير كذلك الى الاخطار الخارجية .

اما الادلة الأثرية المتيسرة في الوقت الحاضر فهي غير كافية لنعرف منها شكل وحجم المنازعات والحروب ، فليس هناك من دليل اثرى على وجود تحصينات دفاعية في السهل الرسوبي ، لمستوطنات مرحلة سيادة المعبد ، مثلما ظهر

---

(١) Speiser, A.E., "The Myth of Zu", in ANET., (1969), pp. 111ff.

في عدد من القرى الزراعية (١) في القسم الشمالي من وادي الرافديـــن (من دور العبيد اوماقبله) اوما نجده في الادوار التاريخية التاليـــة عندما احيطت المدن القديمة باسوار (٢) مدعمة بابراج ، وظهور تنظيمـــات عسكرية وانواع من الاسلحة . كما يمكننا الاستدلال من بعض الاثار علـــى

(١) هناك اشكال من التحصينات الدفاعية لبعض القرى الزراعية من فترات تسبق دور العبيد مثل الخندق الدفاعي والسور الداخلي الذين يحيطان بموقع تل الصـــوان (من دور حسونة ـ سامراء) انظـر :

El-Wailly,F.&Abu es-soof,"The Excavations at Tell Es-Sawwan",SUMER,Vol.21,(1965),pp.19f.

وانظر كذلك : ابو الصوف (د . بهنام) التنقيب في تل الصوان ، سومر م ٢٤ (١٩٦٨) ص ٣٩ وكذلك هناك خندق دفاعي من دور العبيد ظهر قسم منه عند التـــل II في موقع تلول الثلاثات قرب مدينة تلعفر انظر :

Egami,N.,et.al.,Brief Report of the Third Season Excavations at Tell II of Telul Eth-thalathat and some Observations",SUMER,Vol.22,(1966),p.4ff.

واشار " توبلر Tobler " الى وجود ابراج مراقبة عند مداخل موقـع تبة كورة من طور العبيد الرابع انظـر :

Tobler,A.J.,(1950),Op.Cit.,p.26-27

(١) يعتبر الجدار المحاط بموقع جمدة نصر انموذجا لاقدم سور وصلنا للان مـــن السهل الرسوبي ويشير تصميمه الى بداية الاتجاه نحو تحصين المدينـــة وظهور بوادر التنظيم العسكري حول هذا الســور انظـر :

Langdon,S.,(1928),Op.Cit.,pp.70-72

وجود منازعات او حروب محدودة في مرحلة سيادة المعبد ، منها لقى اثرية تشير الى بعض انواع من الاسلحة (١) التي كانت محدودة وبسيطة خاصة في الفترات الاولى من هذه المرحلة ، وجاءت بعض الاشارات التي ادوات او اجهزة استخدمت في النقل ربما كانت ذات فائدة في العمليات الحربية او المنازعات ، ومن تلك الادوات مايمثل عربات وقوارب ، فهناك صورة عربة ذات عجلات على طبعة ختم اسطواني من الوركاء (الطبقة الرابعة) يرى فرانكفورت (٢) انها تمثل عربة حربية ، ومن مدينة اور ايضا وجدت طبعة عليها صورة عربة (٣) (من دور جمدة نصر) ويرى وولي في اختراع دولاب الفخار اشارة الى استعمال المركبات (٤) ايضا ، ومن مدينة اريدو كشفت

(١) كشفت التنقيبات الاثرية عن مجموعة من الآلات والادوات في عدد من المواقع الاثرية تمثل اسلحة ومعدات استعملت لاغراض حربية او لاستعمالات اخرى في العمل او الصيد وقد ظهرت باشكال بسيطة ومحدودة في الفترات الاولى من هذه المرحلة واهمها رؤوس رماح وما يشبه السهام من الحجر واخرى من القار وفؤوس حجرية باشكال مختلفة انظر :

Perkens, Al., CAM., pp.85-86,147-149

وقد عثر على رأس رمح من النحاس من دور العبيد في احد قبور مدينة اور انظر :

UE., IV, p.88

وتشير هذه الآلة الى ان معدن النحاس قد استخدم في صنع الاسلحة في دور العبيد في السهل الرسوبي .

(٢) Frankfort, H., (1965), Op.Cit., p.22

(٣) UE., III, p.22

(٤) UE., IV, p.28

التنييات في احد القبور عن اقدم نموذج لقارب شراعي (١) من الفخار يرجع على ما يرجح كثيرا الى دور العبيد ، وهناك بعض المشاهد وردت على طبعات الاختام يعتقد بانها مشاهد حربية مثل طبعة ختم من الوركاء تمثل مشهدا اطلق عليه فرانكفورت (٢) " ملك في معركة " . ونسر من على رأس صولجان من الحجر (٣) ربما له دلاله على اهمية صاحبه ، اما يتعلق بتسوير المدن كما ذكرنا سلفا فاقدم دليل اثري وصلنا من دور جمدة نصر .

هذا والى جانب ما يمكن استنتاجه من الاساطير عن مهام مجلس الآلهة (مجلس سلطة المعبد) في معالجة الازمات والحروب توجد اشارات عن وظائف اخرى خاصة ما يتعلق بتنظيم المجتمع وسيادة الأمن الداخلي ومعاقبة المسيء ، والخارجين عن تقاليد المجتمع . ففي الاساطير نجد ان مجلس الالهة يقوم بمهام المحاكم فينظر في القضايا ، وتجري مناقشات قبل اصدار الاحكام التي تصل الى النفي او الموت ، فنلاحظ مثلا في ملحمة كلكامش قرار الالهة بموت " انكيدو " عقابا له على قتله خمبابا والثور الالهي ، وتشير الملحمة الى نقاش الآلهة حول هذه القصة ومن الذي يجب ان يقع عليه الموت أهو " أنكيدو " او " كلكامش " . ولكنهم برأوا كلكامش واقتصرت عقوبة الموت على " انكيدو " ونجد ذلك في المقطع التالي من الملحمة (٤) (كما جاء على لسان انكيدو) :

[(رأيت) أن " آنو " و " انليل " و " ايا " وشمش السماوي

---

(١) سفر (فؤاد) : حفريات اريدو وسومر ٤ ج ٢ (١٩٤٨) ص ٢٧٩

(٢) Frankfort,H.,(1965),Op.Cit.,p.22

(٣) UE.,IV,p.87

(٤) طه باقر : ملحمة كلكامش (١٩٧١) ص ٩٧ — ٩٨

وقال آنو لانليل :

قد اجتمعوا يتشاورون السماوى وقتلا خمبابا

" لانهما قتلا الثور السماوى وقتلا خمبابا

فينبغي ان يموت ذلك الذى اقتطع اشجار الارز "

ولكن انليل أجابه قائلا : " ان انكيدو هو الذى

سيموت ، وجلجامش لن يموت "

ثم انبرى " شمش " السماوى واجاب انليل البطل وقال

الم يقتلا ثور السماء و" خمبابا " بامر مني ؟

فعلام يقع الموت على انكيدو وهو برئ " ؟

وبعد ذلك تروى الملحمة حدث موت " انكيدو " ونلاحظ ان دفاع شمش عنه لم يجد نفعاً .

وفي اسطورة " انليل وننليل " في الوقت الذى تعكس لنا صورة وجدانية رائعة فهي تؤكد على سمو مفاهيم العدالة وذلك بانزال العقاب الصارم بحق من يتجاوز على حقوق الآخرين من دون رضا مهما كانت منزلة المعتدى ، فالاله " انليل " هو كبير الالهة وملك البلدان قد تعرض الى عقاب صارم بسبب اغتصابه للالهة " ننليل " لانها رفضت ان يجامعها هذا الاله لعدم مقدرتها على ذلك ، وبعد اقدام " انليل " على تلك العملية يلقى القبض عليه ويقرر مجلس الالهة معاقبته ذلك بنفيه الى العالم الاسفل كما في المورد (١) الآتـي :

انليل يتمشى في كيور " Kiur " (٢)

(١) Kramer,S.N.,(1964),Op.Cit.,p.147

(٢) كيور " Kiur " المعبد الخاص بالاله " انليل " في مدينة نفر

ولما كان يتمشى في كيور 'Kiur'

(قبضت) الالهة العظام الخمسون

الالهة السبعة الذين يقررون المصير

على انليل في كيور (وقالت)

انليل انت مغتصب فاخرج من المدينة

يا نونا منير " Nunamnir "(١) [المغتصب اخرج من المدينة]

وبعد هذا الحكم غادر انليل المدينة وذهب الى العالم الاسفل .

ومن مثل هذه الاساطير يمكن الوقوف على مفاهيم مهمة في التنظيم الاجتماعي فنجد ان المعتدى والمغتصب يساقان الى المحكمة وينالان عقابهما وهنا نلاحظ ان تشكيل الهيئة التى تتولى المحاكمة كانت تختلف من حالة الى اخرى ففي ملحمة كلكامش تولى المحاكمة لفيف من الالهة الكبار لعله لان المدعى عليه (او عليهما) من البشر ، اما بالنسبة للقضايا الكبرى او عندما تتعلق باحد اعضاء المجلس (مجلس الالهة) كانت القضية تعرض على المجلس باجمعه ، وفي الادوار التاريخية اللاحقة كانت المحاكم مرتبطة بالسلطة السياسية ، والقضاة في الغالب مدنيين وبعضهم كان مرتبطا بالمعبد ويعينون من قبل الرئيس الاعلى للسلطة السياسية وكان يتم في المعبد اظهار البينة باداء القسم ، واظهار البينة برمي المتهم في النهر كما جاء في المادة الثانية من شريعة حمورابي ، وفي بعض الظروف عهد من بعض المراتب الخاصة بالكهنة (٢) ، ويلاحظ ايضا انه في الادوار ...

(١) نونا منير " Nunamnir " من القاب الاله انليل انظر نفس المصدر السابق

(٢) Postgate,J.N.,(1972),Op.Cit.,in MSU,p.814

عدد اعضاء المحكمة من عضو واحد الى التاريخية كان يوجد تباين في اربعة اعضاء(١) . هذا وتشير الاساطير الى ان رئيس مجلس الالهة كان مصدرا للسلطة ، وله مطلق الصلاحيات ومشرفا اعلى في ادارة وتنظيم مختلف اوجه النشاط الاجتماعي والاقتصادي ويقوم باصدار القرارات الحاسمة وبحزمه وقوته يقف ضد الشر والظلم ويقضي على المساوئ ويوفر الرخاء وكل ما يتعلق بمجالات الحياة المعاشية ، ان هذه الصفات التي تحددها الاساطير بالنسبة الى رئيس مجلس الالهة " آن " (٢) او الاله " انليل " يرجح ان الكثير منها كان يطابق واجبات وصفات رئيس السلطة الدينية - الدنيوية في مرحلة سيادة المعبد .

واخيرا يرى الدارس ان الحالة التي اقترحها ياكوبسن عن نظام " الديمقراطية البدائية " انه يمكن قبولها على انها كانت شكلا للتنظيم الاجتماعي لعصر فجر السلالات او الادوار التالية ، بينما ليس من السهولة بمكان تطبيق نفس الصيغة نصا على مرحلة سيادة المعبد ، لانه يجب ان ناخذ بنظر الاعتبار لما يوجد من اختلافات حضارية بين الفترتين وهذا مافات ياكوبسن . لان حالة " الديمقراطية البدائية جاءت في مرحلة ظهرت فيها تناقضات داخلية في المجتمع نتيجة للصراع بين مراكز القوى لتحقيق منافع طبقية . فمثلا ظهرت في اثينا دولة (شبه) ديمقراطية نتيجة للتنافس بين الطبقات العليا للحصول على اكثر من المكاسب عندما توسعت التجارة والتخصص الحرفي وقبل دولة اثينا ودولة روما ظهرت في بلاد وادي الرافدين انظمة اقدم وارسخ مفهوما للديمقراطية منهما ففي عصر فجر السلالات كانت

(١) Kramer,S.N.,(1964),Op.Cit.,pp.85f.

(٢) Kramer,S.N.,(1964),Op.Cit.,p.117ff.

هناك مصالح متباينة بين مراكز القوى في مجتمع دولة المدينة سواء بين مؤسسة القصر ، ومؤسسة المعبد أو بين النبلاء واصحاب الملكيات الخاصة وبين القصر من جهة ومؤسسة المعبد من جهة اخرى ، ونستدل على ذلك من وقائع الصراع بين مدينتي الوركاء وكيش عندما أراد " آكا Agga " حاكم دولة مدينة كيش فرض سيادته على مدينة الوركاء ، وهنا نلاحظ ان مجلس الشيوخ في مدينة الوركاء خذل " كلكامش " ولم يقبل محاربة كيش ولكن " كلكامش " كان مصرا على الحرب للحفاظ على سلطته ومصالحه فالتجأ الى مجلس العموم (من الاحرار او المحاربين الشباب) وطلب منهم تحت اطار حماية سيادة المدينة حمل السلاح ومحاربة قوات كيش فوافق هذا المجلس على الحرب وتعتبر هذه الموافقة بمثابة معارضة ضمنية لنفوذ الشيوخ الذين أرادوا السلام بهدف الحفاظ على مصالحهم من الا تتزعزع بسبب الحرب لان موقفهم هذا يحفظ مكانتهم وممتلكاتهم حتى اذا فرض " اكا Agga " سيطرته على مدينتهم ، ومثل هذه الصورة للتركيب الطبقي وطريقة ممارسة المجلس لاعماله كانت مما لاشك فيه تختلف عن مرحلة سيادة المعبد التي كانت الملكية فيها عامة تحت اشراف مؤسسة ذات مصلحة واحدة هو المعبد ، ونقطة اخرى جديرة بالملاحظة وهي ان شكل المنازعات وحجمها في مرحلتنا تلك كانت بنطاق محدود وكانت اسبابها ودوافعها لا تتعدى سعي المراكز الرئيسة والمدن الصغيرة لتنظيم جهاز الري واستقطاب قرى اخرى معها في مجالات التعاون ، ولا شك في ان النتيجة كانت تركز جزء من فائض انتاجها في المعبد الرئيسي ولكن الاسلوب والدوافع تختلف عن الادوار التاريخية حيث كان للمنازعات والحروب فيها عامل آخر

مع اطماع مراكز القوى لتوسيع ممتلكاتها والاندفاع في مغامرات حربية بقصد الغلبة . ويمكن ان نستنتج مما تقدم كله ان مجتمعات مرحلة سيادة المعبد لم تكن على قدر كبير من التعقيد وان السلطة السياسية في تلك المرحلة كانت تتألف من رئيس اعلى كان له الاشراف التام على جميع فعاليات المجتمع عن طريق " مجلس سلطة المعبد " وله سلطة تشريعية ، وتنفيذيـــة ، ولهذا الرئيس صلاحيات واسعة ، وقد احتل هذا المنصب كبير كهنة المعبد والذى كان يحمل لقب " الاين EN " كما ذكرنا وانه على الارجح يمثلــه الرجل الملتحي الذى يظهر في الاختام الاسطوانية في مشاهد متعـددة ، وقد تميز عن سائر اعضاء الهيئة الاجتماعية بحكم نفوذه بمكاسب اكبر ويمكننا ملاحظة مظاهر الابهـة التي تبدو على الرجل الملتحي (اى " الاين EN في هذه الصور . والتي تشير الى تميزه عن سائر الاشخاص كمـــا وان الابنية الملحقة بالمعبد كان مقرا له . وكان لهذا الرئيس عدد من المساعدين منهم الوزير " سكال " Sukkal " ويرجح انه الشخص الذى يظهـر مع " الاين " في مشاهد الاختام الاسطوانية ويكون عادة خلفـه واقل ابهة منه . ومن الملاحظ ان هذا المنصب يظهر ايضا في بعض الاساطير (١) مع عدد من الالهة الرئيسة مثل " نوسكو Nusku " وزير الاله " انليل " و " ايسمود Ismud " وزير الالـــه انكـي و " ننشوبر Ninshubur " وزيرة الالهة " انانا " (عشتار) .

اما المجلس فمهامه كما قلنا كانت تشريعية وتنفيذية ، وعلى انه لا يمكن تحديد عدد اعضائه فهو يختلف بالنسبة لحجم المدينة ولعل الاشارة التي

---

(١) انظر/ اسطورة " انليل وننليل " ، واسطورة " انانا وانكي ونقل فنون الحضارة من اريدو .
Kramer,S.N.,(1961),Op.Cit.,p.146ff.

وردت في الاساطير عن وجود خمسين الهآ في مجلس الالهة يمكن تطبيقه بالنسبة للمراكز الرئيسة الكبرى مثل مدينة الوركاء في حين انه في المراكـز الرئيسة الاصغر حجما وفي المدن الصغيرة والقرى كان حجم المجلس يتناسب مع مستوى مستلزماتها التنظيمية والادارية • اما مكان الاجتماع ففي الادوار•• الاولى كان المعبد مركز لهم وربما بعد توسع بناء المعبد وتعدد الابنية الدينية كما في مدينة الوركاء منذ دور الطبقة الرابعة B(IV B) اتخذ " مجلس سلطة المعبد " من بعض الابنية التي لاتجرى فيها شعائـر دينية مكان للاجتماع مثل صالة الاعمدة من الطبقة الرابعة او صالـة الدعائم الفسيفسائية من الطبقة IV A ، ويحتمل ان البناية المسماة بالمعبد الاحمر كانت مكانا للاجتماع استنادا الى رأى لينزن (١) في ان هـذه البناية معبدا وانما هو من الاقسام الادارية التابعة للمعبد •

ان وجود مجالس (الشورى) في المجتمعات القديمة امر قد يكـون مفروضا منه لان ذلك تطور من المجتمعات العشائرية ولكن هنا جاء بهيئـة اخرى • ولكن تعوز الادلة الاثرية عن تكوين المجلس وتكاد مصادرنا عـن ذلك تكون مقتصرة على ما ورد في الاساطير بيد انه يمكن تصور وضـع مجتمعات زراعية وروية وما عليها من مهام كبيرة كاعمال الري ، فـأن المشرفين على مثل هذه المهمات كثيرا ما تجابههم مشاكل متعددة نجدها في اى مجتمع زراعي وبما ان مرجعهم ومركزهم هو المعبد فطبيعي ان تكون هناك لقاءات واجتماعات ثم ان الاعمال الكبرى وخاصة ما يتعلق بالـري ومجابهة الفيضانات وبناء المعابد والمصاطب كانت تتطلب التداول والتشاور

---

(١) Lenzen,H.J.,(1949),Op.Cit.,p.8

ومن وقائع هذه المهمات ، يمكن استخلاص واجبات المجلس في التخطيط والاستشارة والتداول في المواضيع وتنسيق اعمال الاشراف على تنفيذهما . وكما ذكرنا . نجد في الاساطير اشارات الى مسؤوليات بعض الآلهة في مجالات الاشراف العامة . وفيما يتعلق بمراتب اعضاء المجلس ليست لدينا ادلة اثرية تشير الى ذلك ولكن يمكن القول ان هناك تدرجا في ترتيب الاعضاء وربما كان مطابقا لترتيب الآلهة في مجمعهم (Pantheon) ومن نصوص فارة جاءت جداول باسماء الالهة - تحتوى في اعمدتها العشرين على اسماء (٣٠٠) لثلثمائة اله ، نظمت بشكل متسلسل ويتصدر القائمة اسم الاله " آن An " ثم " انليل Enlil " ويليه (انانا Inanna " و" انكي Enki " ... الخ (١) .

ولدينا من النصوص القديمة لقبان هما " ابا Abba شيخ " من دور الوركاء و" نن Nun " نبيل (او وجيه) . ويرجح ان مرتبة " نن Nun " ظهرت في دور جمدة نصر عندما برزت طبقة من المتنفذين نتيجة لزيادة تركز فائض الانتاج الاجتماعي في المعبد اكثر مما كان عليه في السابق ومثل هذه الزيادة تولد تناقضات بين الموكلين عليها فكان الاتجاه نحو الاستئثار بها ويلاحظ في تطور بناء المعبد ان هبوطا في المستوى العماري والفني بدأ منذ دور جمدة نصر قياسا الى ما وصلت اليه معابد دور الوركاء والى جانب هذا ظهرت طلائع الابنية الدنيوية كما في موقع جمدة نصر وما اشرنا اليه في ابنية الطبقة الثالثة من حارة " اى - انا " مثل بناية الممرات أو الدهاليز (Labyrinth

---

(١) Falkenstein, A., AUT., 46f.

فطالما ان العلامة الدالة على مرتبة نبيل (نن Nun) لم ترد حتى الآن في نصوص اقدم من دور جمدة نصر وعلى هذا يمكن الاستنتاج فان " مجلس سلطة المعبد " كان مولفا من اعضاء يحملون لقب "Abba" وهذا لا يعني عدم وجود تفاوت بينهم ولكن كان تفاوتا دينيا اكثر منه دنيويا . اما من مجلس العموم (المؤلف من الاحرار او المحاربين الشباب) كما جاء ذكر هذا المجلس في الاساطير ، فلا توجد اشارات الى تحديد اعضائها لان التفاوت بين اعضاء المجتمع لم يكن على درجة كبيرة والمرجح ان هذا المجلس ظهر بعد مرحلة سيادة المعبد . واخيرا ان التشكيلات التي وردت في الاساطير والنصوص التاريخية عن " الديمقراطية البدائية " ظهرت في الغالب مع التعقيدات التي بدأت بعد ظهور الدولة الدنيوية . اما بالنسبة لمجتمعات مرحلة سيادة المعبد فكانت اكثر بساطة لان الطابع الديني قد تغلب على جميع المظاهر الاخرى كما ان الحكم كان لمؤسسة المعبد وحدها ، وتحت الزعامة العليا لرئيسها (اين EN) . واخيرا ان موارد الاساطير افادتنا في التعرف على بعض من جوانب التنظيم الاجتماعي لما فيها من تجارب وممارسات المجتمعات القديمة الا اننا حاولنا ابعاد ما لايناسب واقع مرحلة سيادة المعبد آخذين بنظر الاعتبار ما اضاف عليها كاتب الاسطورة من تعقيدات مجتمعه .

التركيب الاجتماعي الطبقي في ضوء الاحوال الاقتصادية :

لقد ادّت ظاهرة انفراد مؤسسة المعبد بملكية وسائل الانتاج الرئيسة واشرافها التام على النشاط الاقتصادي الى تركز فائض الانتاج الاجتماعي

الآن كما مر ممنا سابقا لاتشير الى وحصره بها فالادلة الاثرية المتيسرة حتى الآن كما مر ممنا سابقا لاتشير الى قيام مراتب متنفذة تنافس مؤسسة المعبد لذا ليس من السهولة بمكان تحديد تباين كبير وبارز بين عامة المجتمع او ما يدل على وجود طبقة دنيا (مستغلة) مثل العبيد على غرار التقسيمات التي ظهرت في عصر فجر السلالات (١) والادوار التاريخية المتعاقبة • اما بعض الاشارات الواردة عن وجود اسرى وعبيد فانها استندت على ادلة اثرية بعضها فنية واخرى كتابية مما تستحق الدراسة والتروى لانه من الصعوبة بمكان تحديد طبقة اجتماعية دنيا منهم بحيث يختلفون عن عامة المجتمع طالما ان الملكية العامة قد آلت الى المعبد وحده، وكانت مؤسسته (استنادا الى الفكر الديني السومرى) الاداره المشرفة على تنفيذ ارادة الالهة وان المجتمع البشرى وجد لتنفيذ تلك الارادة وتعاليم

(١) وضع دياكانوف تقسيمات للتركيب الطبقي لدولة المدينة السومرية على ضوء دراسته لاشكال ملكية الارض ووسائل الانتاج ولعل من المفيد هنا تلخيص تلك التقسيمات للوقوف على اوجه التباين مع تقسيم المجتمع في مرحلة سيادة المعبد • يرى دياكونوف ان مجتمع دولة المدينة (عصر فجر السلالات) كان يتالف كالاتـي :—

١ـ طبقة ارستقراطيه الفئات : (وتتضمن الامير واكثر الكهنة اهمية) وهي تمتلك اقطاعات كبيرة قسم منها على شكل ملكية خاصة والقسم الاخر على شكل ملكية الاسر •

٢ـ جماهير الفئات الشعبية (من المحتمل ان عددهم لا يقل عن نصف السكان) وكان بحوزتهم قطع زراعية من اراضي المجتمع على شكل ملكية الاسر

٣ـ التابعون ويتضمن هولاء : أ ـ تابعي المعبد من ميسورى الحال ويقصد بذلك ادارة المعبد الحرفيون الاكثر اهمية الخ •••

ب ـ تابعون آخرون للمعبد ويمثل هولاء الجمهور الكبير من موظفي المعبد •

حـ ـ تابعو الطبقة الارستقراطية وهولاء يمثلون تابعين كانوا سابقا اعضاء في هيئة اجتماعية مثل اللاجئين من مجتمعات اخرى واقرباء تلك الطبقة من ذوى المراكز الواطئة •

٤ـ العبيد ويتضمن هولاء : أ ـ عبيد المعبد ومركزهم كان يختلف قليلا عن منزلة الدنيا التابعين

ب ـ عبيد الملكية الخاصة انظر :

Diakonoff, I.M., (1956), Op.Cit., in AM., p.180f.

الالهة (اى تعاليم الكهنة) التي ترى ان البشر خلقوا ليخدموا الالهة اى كانوا عبيدا لهم (١) ، ونلاحظ ان مثل هذه الصيغة الاجتماعية قد اسبغت صفة العبودية على جميع البشر وانها لم تفرز منهم اية طبقة او مرتبة اجتماعية معينة ومتميزة ما خلا الالهة الذين تمثلهم تلك الطبقة المهيمنة على مؤسسة المعبد والتي تسير دفة المجتمع اقتصاديا وفكريا ، ان توارد مثل هذه الصيغة الاجتماعية في الاساطير ترجع في الغالب بجذورها الى مجتمعات قديمة متجانسة اجتماعيا اى لم يكن هناك تباينا بين عامة الناس (ماعدا طبقة مؤسسة المعبد) بينما جاء التمايز الطبقي مع تعقيد المجتمع عندما ظهرت طلائع السلطة الدنيوية ومراكز نفوذ وقوى متنافسة .

ان مجالات النشاط الاقتصادى في الوقت الذى تلقي اضواء على موضوع التركيب الاجتماعي الطبقي في مرحلتنا تلك فهي تؤكد على تركيز فائض الانتاج الاقتصادى في صالح مؤسسة المعبد تبعا لتركز اشرافها على مستلزمات النشاط الاقتصادى ، فقد اعتمد مجتمعات مرحلة سيادة المعبد في حياتها الاقتصادية بالدرجة الاولى على الانتاج الزراعي والحيواني الى جانب عامل التجارة وتبادل السلع ، والعامل الاخير لايقل مساهمة عن الاول في عملية بناء اقتصاديات المدينة السومرية ، وهذا ما نلاحظه واضحا في دور ازدهار تلك المرحلة . فكما اشرنا في معرض دراستنا لخصائص البيئة الجغرافية في السهل الرسوبي

---

(١) انظر اسطورة الخليقة البابلية

Speiser,E.A.,in ANET.,p.68

وانظر كذلك اسباب خلق الانسان في اسطورة النخلة والماشية

Kramer,S.N.,(1961),Op.Cit.,pp.72-73

وفي مواضع اخرى من هذا البحث انه بدايــات (انظر الفصل الاول) الاستيطان كانت المجتمعات قد تركزت في الجزء الجنوبي من هذا السهــل ذلك للاستفادة من مصادر تجمع مياه الفيضان وتراكم النهرين وكانت مجــالات النشاط الاقتصادى هي الزراعة المحدودة والانتاج الحيواني لما في ذلــك تربية الماشية والصيد مثل صيد الاسماك والخنازير والطيور بانواعها المختلفــة التي كانت تعيش في مثل هذه البيئة الجغرافية • ولكن بفضل الجهود التــي بذلتها تلك المجتمعات في تأسيس وتطوير جهاز الري حققت نموا اقتصاديــا واجتماعيا ساهم بقسط كبير في تحقيق قفزة نوعية جديدة في تاريخ تطــور مجتمعات العراق القديم ذلك بانتقالها من حياة القرية ذات الاقتصاد الريفــي (الذى اعتمد على الزراعة والرعي وتبادل السلع الضرورية والتخصص الحرفــي المحدود) الى حياة المدنية التي شهدت تغييرات اجتماعية جوهرية وبــارزة تبعا لزيادة قابليات المجتمع الانتاجية وتوسع نطاق التجارة الخارجية والتخصص الحرفي وتعدد مجالات الانتاج • ويستدل على ذلك من الادلة الاثرية (نتائج التنقيبات والمسوحات الاثرية) التي أشير اليها في سياق هذا البحث عنـد الاشارة الى التوسع الاستيطاني وظهور مراكز رئيسة في هذا السهل وما صاحب ذلك من تطور وازدهار الابنية الدينية • اننا لا نملك من تلك المرحلة نصوصا كتابية كافية تشير الى مجالات الانتاج او ما يدل على حجم التبادل التجاري لان التدوين - الذى يعد من ابرز المحصلات الحضارية لتلك المرحلة - كان على بداياته الاولى وجاء تلبية لمتطلبات التنظيم الاقتصادى • فقد اختصت الكتابة بتقييد واردات المعابد (١) • فاقدم النصوص الكتابية التي جاءت من

(١) Falkenstein, A., ATU., p.43ff.

الوركاء (الطبقة الرابعة B) كانت ذات مضامين اقتصادية شملت علامــــات صورية لمواد مختلفة تمثل تلك العلامات تسجيلا لواردات المعبد تضمنت اسماء انواع من الحيوانات بما فيها الاسماك والطيور ونباتات وكذلك ادوات وآلات او ما يشير الى الحرف والمهن • ويرى فلكنشتاين (١) في الكميات الكبيرة مـــن النصوص الاقتصادية القديمة التي جاءت من منطقة معبد " اي — انــــا " وكذلك توارد ارقام كبيرة في تلك القوائم ازاء المواد وتصل احيان الى رقـــم ٣٦٠٠ ولادلة على سعة حجم اقتصاديات هذا المعبد • هذا ومن الجديـــر تثبيته هنا انه لم يعثر ضمن النصوص الوركائية القديمة اية اشارة الى عمليـات بيع وشراء الحقـــول (٢) او الاراضي الزراعية ، اي انه لاوجود للملكية الخاصة في المرحلة موضوعة البحث •

وفي الاساطير موارد مهمة تمثل جوانب من الاحوال الاقتصادية وفـــروع الانتاج ولعل من اهمها تلك الاساطير السبعة (٣) التي جاءت على شكـــل مناظرات ادبية ، وفي كل منها جانبان متضادان ، وقد صورت شخـــوص (او ابطال) تلك الاساطير في بعض قوى المجتمع الانتاجية مثل النبـــات والحيوان او المواد الاولية كالمعادن والاحجار او بعض الظواهر الطبيعيـــة

(١) Falkenstein, A., ATU., p.47

(٢) Falkenstein, A., ATU., p.48f.

(٣) وهذه الاساطير هي : (١) المناظرة بين الصيف والشتاء (٢) المناظــرة بين الماشية والغلة (٣) المناظرة بين الطير والسمك (٤) المناظرة بين الشجرة والقصب (٥) المناظرة بين الفضة والنحاس الجبار (٦) المناظرة بين الفـــأس والمحراث (٧) المناظرة بين الرحي وحجر الـ " جو لجول gulgul " • انظر : Kramer, S.N., (1964), Op.Cit., p.218ff.

مثل الشتاء والصيف . ويفيدنا هنا ما ذهب اليه البحث " كريمر " في معرض بحثه عن الاسلوب الشمرى لهذه الاساطير فيرى ان هذه الاساطير جاءت باسلوب شمرى توارثه الكتاب السومريون من المنشدين الاوائل من عصور قديمة من المرجح ان صيفا منها تعود الى مرحلة سيادة المعبد . ويلاحظ في كل من اسطورة " ايمش وانتن انليل يختار الاله الفلاح".(١) واسطورة " الفلة والماشية " (٢) عرض لمجالات الانتاج الزراعي والحيواني واوجه اخرى من النشاط الاقتصادى للمجتمعات القديمة فنجد الى جانب ذكر انواع من الحيوانات والنباتات اشارات الى المنتجات الصناعية التي تستغل من تلك المواد مثل السمن واللبن والعسل والنبيذ والبيرة وغيرها . هذا الى جانب ذكر الاحجار الكريمة وبعض المعادن . ان هذه الاساطير في الوقت الذى تعكس اوجها مهمة من الاحوال الاقتصادية فهي تؤكد على ان لكل فرع من فروع الانتاج الها مشرفا وهذه الصيفة لها نظائرها في مجتمعات كانت فيها السيطرة التامة للمعبد وان فائض الانتاج الاجتماعي قد آل الى مؤسسته ففي اسطورة ايمش واينتن اشارة الى تركيز فائض الانتاج الاجتماعي لصالح مؤسسة المعبد

---

(١) " ايمش Emesh وانتن Enten " اى - الصيف والشتاء - وتصورهما المعتقدات السومرية بهيئة مخلوقين شبيهين بالالهة ، حول تفاصيل هذه الاسطورة انظر :

Kramer,S.N.,(1961),Op.Cit.,pp.48-51.

Kramer,S.N.,(1964),Op.Cit.,pp.218-220

(٢) بطلا هذه الاسطورة اله الماشية " لاهار Lahar " واخته الهة الفلة " اشنان Eshnan " انظر :

Kramer,S.N.,(1961),Op.Cit.,pp.53-54

Kramer,S.N.,(1964),Op.Cit.,pp.220-222

كما في المقطع التالي من خصائص " ايمش " اى الصيف (١) :

(اما " ايمش " انه خلق الاشجار والحقول ووسع الاسطبلات وحظائر

الغنم

وضاعف في الحقول الناتج وزين الارض...

وجعل الحصاد الوفير يجلب الى البيوت ، وتملوا اكدسة في المخازن

وجعل المدن ومواطن السكن تشاد ، والبيوت تبني في البلاد

وترفع المعابد كالجبال).

ويمكن ان نستنتج هنا ان كل عائلة كانت تأخذ حصة معينة من الناتج بقدر اكتفائها والفائض كان يكدس في (الاهراء) اى المخازن المخصصة للحبوب والتي كانت تابعة لمؤسسة المعبد ويربط هنا الشاعر السومرى بين المحصول الوفير واعمار المدينة وبناء معابد شامخة كالجبال . ان مؤسسة المعبد استغلت قسما من فائض الانتاج في مجالات التجارة الخارجية ، ونظرا لاهمية هذا المجال فقد سعت المجتمعات القديمة الى زيادة قابلياتها الانتاجية (في مجالات الانتاج الزراعي والحيواني) لاستخدام اقسام من محصولاتها سلعا للتبادل التجارى . ان الادلة الاثرية المتيسرة وخاصة ما وصل الينا من ابنية المعابد وبقايا اثرية مثل المواد المستوردة كالاحجار والمعادن تدلنا على ذلك وكذلك ما تلقيه النصوص الكتابية بما فيها موارد الاساطير المدونة في الادوار التاريخية التالية من اضواء على المواد المستوردة ومصادرها . كما ان التأثيرات التي تركتها حضارة وادى الرافدين على

(١) Kramer,S.N.,(1964),Op.Cit.,p.219

مواطن عديدة من الشرق القديم في الخليج العربي ومصر وايران والاناضول ووادى السند ... الخ ، كما كشفت عنها التنقيبات الاثرية هي الاخرى تشير الى العلاقات التجارية التي كانت قائمة بين تلك الاقطار وبين بلاد وادى الرافدين . وهناك دلائل على قدم تلك الروابط اشارت اليها الدراسات الاثرية ، وما قام به " ادمز Adams " من مسح أثرى في المملكة العربية السعودية مؤخرا . حيث عثر على مستوطنات عبيدية كبيرة الحجم ويرى ان التحرك السكاني اتجه من القسم الجنوبي للسهل الرسوبي شمالا باتجاه الوركاء ونفر وتحرك اخر باتجاه الخليج العربي وجنوب غربي ايران ذلك نتيجة للتوسع الاستيطاني الذى حدث في القسم الجنوبي من السهل الرسوبي في العراق القديم . ويرى " آدمز Adams" ان الادلة الاثرية المتيسرة تشير الى ان المستوطنات العبيدية في القسم الجنوبي من هذا السهل اقدم عهدا من غيرها (١) . ان هذه التحريات الاثرية تشير الى هجرة من القسم الجنوبي نحو المناطق المذكورة اعلاه وكانت علاقات تجارية قائمة معها . ومن الادلة الاثرية الاخرى ما كشفت عنه التنقيبات الاثرية في عدد من اقطار الخليج العربي (٢) من تاثيرات حضارية من بلاد وادى الرافدين . وكذلك

---

(١) Adams,R.M.,(1972),Op.Cit.,in MSU.,p.738

(٢) تشير الدراسات الاثرية لعدد من المواقع الاثرية في الخليج العربي (كما في البحرين وعمان وابو ظبي وكذلك موقع يحى تبة في ايران) الى تاثيرات حضاريه من وادى الرافدين على تلك المواقع انظر :

Porad,E.,et.al.,"New Discoveries in the Persian/Arabian Gulf States and Relations with Artifacts from Countries of the Ancient Near East",ARTIBUS ASIAE, Vol.XXXIII,4(1971)

ما يشار الى تأثيرات حضارية عراقية علـى مصـر (١) . ونستدل ايضا من الاساطير البلدان التي كانت تجهز السهل الرسوبي بالمواد الاولية وهـي نفس المصادر التي كانت على علاقات تجارية مع بلاد وادي الرافدين فـي الادوار التاريخية التالية ، ونلاحظ ان اوثق العلاقات التجارية كانت مع اقطار الخليج العربي (٢) مثل : مجان (عمان) وملوخا (الحبشة) (٣) ، ودلمـون وكذلك بلاد آراتا (في ايران) وهي الاخرى كانت على ارتباط مع مدينـة

---

(١) هناك جملة مقومات حضارية تلاحظ في حضارة وادي النيل ترجع اصولها الـى حضارة وادي الرافدين وخاصة ما يتعلق بالكتابة وفن البناء باستخدام التزيينات العمارية التي كانت شائعة في الابنية الدينة في العراق القديم وذلك باستعمال مادة اللبن وكذلك فن النقش على الحجر ، ومن الجدير تثبيتـه هنا ان تلك التأثيرات الحضارية تعود الى دور ازدهار مرحلة سيادة المعبد وخاصة تلك الاختام الاسطوانية التي عثر عليها في عدد من المواقع الاثرية في مصر من موقع نقادة . ومن الاشياء المهمة التي لها علاقة بسلطة مؤسسة المعبد في العراق القديم هو اننا نجد على مقبض سكين عثـر عليه في جبل الاراك (في مصر) صورة رجل ملتح على غرار ما شخصناه في الاختام الاسطوانية من الوركاء بشخصية الا (ان EN) ان هذه التأثيرات الحضارية تؤكد على وجود علاقات تجارية بين وادي الرافدين ووادي النيل منذ مرحلـة سيادة المعبد .

للوقوف على تفاصيل تأثيرات حضارة وادي الرافدين على مصر انظر : فرانكفورت (هنري) : فجر الحضارة في الشرق الادنى القديـم (١٩٦٧) ص ١٢٧ ـ ١٤٤

(٢) Postgate,J.N.,(1972),Op.Cit.,MSU.,p.815

(٣) يشير كريمر ان ماجان يطابق مصر و" ملوخا " بلاد الحبشة ، ولكن الـذي يهمنا هنا ان علاقات اقتصادية كانت تربط بين سومر وبين هذين القطرين . فكانت بلاد ماجان غنية بانواع الحجر وخاصة الحجر البركاني والاخشاب والنحاس وكذلك بالنسبة لملوخا فكانت تصدر الاخشاب والاحجار الكريمة انظـر

Kramer,S.N.,(1964),Op.Cit.,p.276f.

الوركاء كما نجد ذلك في ملحمة " اينمركار وسيد آراتا " وملحمة (لوكال بنداو اينمركار) . ويرجح ان هذه البلاد كانت احدى المستعمرات التجارية التابعة الى الوركاء حيث نلاحظ ان الالهة " انانا " عبدت في " اراتا " وكان حاكمها يحمل لقب EN ايضا وفيها مناصب سياسية ومجلس شورى وذلك على غرار ماكان سائدا في الوركاء وتشير احداث تلك الملاحم (١) المتعلقة بـ(آراتا) انها كانت غنية بالمعادن (الذهب والفضة) والاحجار الكريمة بينما كانت تعتمد على الوركاء في الحصول على الحبوب ، اما بالنسبة لـ" ماجان " هي الاخرى ربما كانت تابعة لسومر ففي اسطورة " انكي وننخورساك " نجد ان الاله انكي يعين ننتولا سيدا على ماجان (٢) ، اما دلمون (البحرين) (٣) فكانت من المواضع المقدسة عند السومرين ووصفوها بـ" ارض الاحياء " . ان اهم المواد المستوردة من تلك الاقطار فكانت الاحجار بمختلف انواعها سواء ما استعمل منها في البناء او في الاعمال الفنية مثل التزيينات المعمارية ولمواضيع فن النحت منها نقش الاختام ونحت التماثيل والالواح المنقوشة ، هذا الى جانب استخدامها في صناعة الادوات المختلفة ويمكن الاستنتاج من دراساتنا لتطور بناء المعبد ، ان معظم مجالات التجارة الخارجية قد كرست له وكانت الاخشاب القوية ولا سيما الارز والصنوبر من المواد المستوردة الاخرى حيث استعملت في تسقيف الصالات المركزية للمعابد اذ تشير التنقيبات الى انها كانت مسقفة (انظر الفصل الثالث) واستخدمت

(١) Kramer,S.N.,Ibid.

(٢) Kramer,S.N.,Ibid.,p.272

(٣) Kramer,S.N.,Ibid.,p.281f.

مادة النحاس في اكساء واجهة قطع من الجص بشكل مخروطي وفي التزيينات الفسيفسائية . كما في معبد الطبقة الاولى من اريدو (دور الوركاء — جمدة نصر ومادة الاصباغ هي الاخرى كانت من المواد المهمة التي استعملت بكثرة سواء في تزيين واجهات المعابد كما وجد ذلك بشكل واضح في المعبد المصبوغ في العقير او في الاعمال الفنية الاخرى وخاصة الفخار .

ونتيجة لزيادة حجم التجارة الخارجية حصل توسع في التخصص الحرفي وتنوع المهن وان كل ذلك كان تحت اشراف مؤسسة المعبد وجميع الاعمال كانت مخصصة للمعابد . والغنى بالمقارنة مع ما جاءنا من الابنية الدنيوية والمقابر التي كانت في الغالب فقيرة ومستوى متقارب من حيث الاشياء التي كانت تدفن فيها اذ من الصعب تحديد ما يميز كثيرا بين اصحابها ، فعلى سبيل المثال يمكن الاستنتاج من دراسة قبور اريدو (حيث تم حفر نحو الف قبر) ان معظم تلك القبور متشابهة بمحتوياتها من مواد دفنية بحيث لايمكن تمييز مراكز المدفونين منها عدا ما يميز بين المرأة والرجل وبعض الحالات النادرة والمحدودة ذلك عندما عثر على بعض الجثث اثار البسة[(١)] مزركشة من حاشية او اكثر بواسطة خرزات صغيرة ، بينما وجد على لباس احدى الجثث كانت الحاشية المزينة عريضة ربما يتميز صاحبها عند بقية الاشخاص بحكم مركزه الديني وفي اور[(٢)] ايضا لم تسجل فروق كبيرة عدا ما ظهرت بوادرها في اواخر هذه المرحلة . خاصة من دور جمدة نصر حيث جاءت بعض الاواني الحجرية وبعض اللقى المعدنية

---

(١) سفر (فؤاد) حفريات اريدو وسومر ٤ ص ٢٧٨ — ٢٧٩

(٢) UE., Vol. VI, 27ff.

كالذهب والفضة ولكن الاختلافات في الغالب طفيفة نوعا وكما وهي على الاكثر تعود الى اشخاص ممن كانوا ينتسبون الى مؤسسة المعبد . ففي اريدو مثلا تم الكشف في احدى القبور عن بعض الدمى وهي ظاهرة غريبة بالنسبة لبقية المقابر التي لم تظهر فيها مثل هذه الدمى وكمثال آخر العثور على قارب شراعي لعل له وظيفة دينية وان لصاحبه شأن ديني ومثل هذا نجد في مدينة اور حيث عثر في احد القبور على راس صولجان من الحجر ويمكن مقارنة هذا مع ما نجده في طبعة ختم اسطواني من الوركاء وفيها يظهر رجل ملتح حاملا بيده عصا تنتهي ما يشبه الصولجان (شكل ٧) وخلاصة ماتقدم ليس من السهل تحديد اى تباين جوهرى بين سائر اعضاء المجتمع (فيما عدا طبقة مؤسسة المعبد) وما ذكر عن وجود اسرى وعبيد فان صح ذلك فانهم كانوا متساوين مع عامة المجتمع وان الادلة الاثرية غير كافية لجعل مرتبة او طبقة اجتماعية منهم . فبالنسبة للاسرى يذهب مورتكات Moortgat من دراسة مقارنة عقدها على ستة تماثيل حجرية(١) اطلق عليها اسرى (الشكل ١١) (بينها ثلاثة سماها امراء اسرى) وقد استعمل كذلك اشارة فرانكفورت(٢) الى طبقة ختم اسطواني من الوركاء وقد سمى المشهد الذى عليه (ملك في معركة) (شكل ٥) على انه ليس من السهولة بمكان اعتبار التماثيل موضوع البحث على انها تمثل اسرى ذلك لان ما يشير الى العبودية فيها طفيف جدا وقد يجوز تفسيره بامور اخرى لا تكون العبودية اقربها

---

(١) Moortgat ,A.,(1969),Op.Cit.,p.7f.

(٢) Frankfort,H.,(1965),Op.Cit.,p.22

الى الصحة . ومن المحتمل جدا ان تكشف لنا تنقيبات المستقبل عن آثار توضع لنا مثل هذا النموذج الذى يكتشف بعض تفسيراتنا لعدد من القطع الفنية التي جاءت الينا من هذه الفترة . ومع ذلك فلو لاحظنا التطور الذى حصل في النحت المجسم وخاصة ما يتعلق بالوضعيات التي تصور حالة وضعيات التعبد وجدنا ان التمثال النصفي الذى يمثل الرجل الملتحي من الوركاء والذى قارناه مع صور الاختام يعتبر تطورا في النحت المجسم في الدور الشبيه بالكتابي ويلاحظ ان معظم التماثيل السومرية التي تمثل وضعية التعبد تكون مشدودة اليدين وعراة احيانا الا ان الاشارات التي تشير بانها تمثل متعبدين تكون قوية ومقنعة . اما ما يتعلق بالمشهد الذى يظهر على طبعتي ختمين اسطانيين وان الرجل الملتحي الذى شخصناه على انه " اين " يكون ذا وظيفة دنيوية وعلى ما يرجح الاشراف على عملية تعذيب ومعاقبة من يخرج على طاعة مؤسسة المعبد وربما عقوبة اصدرها المجلس او الـ EN بحق المسيئين او الذين لم ينفذوا التزاماتهم اما ما جاء في النصوص الكتابية القديمة كما يشير تيومينيف Tyumenev (١) تكون الادلة غامضة وان ذهب الى وجود طبقات دنيا يعملون في مزرعة المعبد وقد استند في ذلك على ظهور اشارة Gemé (٢) عبدة amatu . من فترة الوركاء . (الطبقة الرابعة IV ومعناها الحرفي (انثى جبلية) . ففي احد النصوص لترد اشارة الى ٢١١ عبدة . وهناك علامة UDU.NITA (رجل جبلي) (٣) وان صح اعتبار هذين الاسمين يدلنا على عبيد وعبدة فدلالة واضحة على ان مصدر الاسترقاق في بلاد وادى الرافدين كان

---

(١) Tyumenev,A.I.,(1956),Op.Cit.,AM.,p.73

(٢) انظر العلامة رقم Falkenstein,A.,ATU.,p.57;No.21

(٣) لاتوجد هناك من دور الوركاء علامة èr عبد = Loc.Cit.: ardu

عن طريق توسع التجارة الخارجية كما ذهب الى ذلك دياكانوف(١) بسان التجارة وتوسع تبادل البضائع مصدرا للعبيد وهنا يمكن تحديد فترة ظهور العبيد . في الغالب ان طلائعها ظهرت منذ دور ازدهار مرحلتنا تلك (بداية الدور الشبيه بالكتابي) لان المستوطنات العبيدية حتى اوائل الالف الرابع ق.م كانت بسيطة اذ ان مساحة اكبرها لا تزيد على ١٠ هكتارات (٢) وان فائض الانتاج الاجتماعي استخدم لعمليات البناء الاجتماعي وتبادل السلع الضرورية وبالاحرى ان مثل ذلك الفائض لا يكفي لعمليات تجارية واسعة وانما توسع نطاق التجارة الخارجية في دور ازدهار مرحلة سيادة المعبد ،ان ظهور كلمتي عبدة Gemè وعبد Nita جاء تبعا لعمليات التجارة الخارجية خاصة ان هذه العلامة تشير الى امرأة اجنبية ليست من مواطني سومر وكانت تبعية مثل هؤلاء الاشخاص الى مؤسسة المعبد ذلك لاننا لم نجد اية فوارق طبقية ضمن مرحلتنا تلك وقبل دور انحلالها وعليه يمكن القول ان التركيب الاجتماعي الطبقي في مرحلة سيادة المعبد كان كالآتي :

١- طبقة مؤسسة المعبد التي كانت تتولى مهمات السلطة الدينية الدنيوية ، ولها امتيازات خاصة هي نفس امتيازات الالهة طالما ان الكهنة يمثلون الالهة في الارض .

٢- طبقة عامة المجتمع من مزارعين وحرفيين والعاملين في ادارة المعبد ممن ليست لهم صفة الكهنوتية .

---

(١) Diakonof, I.M., "Sale of Land in Pre.Sargonic", SUMER, (1954)

(٢) Adams, R.M., (1972), Op.Cit., in MSU.

ان مثل هذا الترتيب الاجتماعي حقق نوعا من الانسجام الاجتماعـــــي (Social Harmony) انعدمت الفوارق الطبقية بين المجتمع ما خلا طبقة مؤسسة المعبد ذلك لاننا لم نجد هناك مصالح وتطلعـــات اقتصادية واجتماعية متضاربة كما ظهرت في عصر فجر السلالات .

الخاتمـــــــة

لاشك في ان رحلتنا عبر فصول هذا البحث اوصلتنا الى امــور جوهرية بالنسبة لرسم الصورة الحضارية التي كانت تتسم بها فترة بحثنـا هذا (مرحلة سيادة المعبد) • ولكي نتلمس الاطار العام لتلك الصورة والوقوف على ابعاده فلابد لنا من استحضار ابرز مميزاته او بالاحــرى تثبيت ما تمثله تلك الصورة اوما يمكن استنتاجه منطقيا من الناحيــة الحضارية بالنسبة لبعض عناصرها ولاجل ذلك تناولت النقاط الاتية :

١ـ ان البحث يتناول دراسة " المعبد " بصفته اعلى مؤسســة اجتماعية كان لها دور بارز في حياة المجتمع العراقي في السهل الوسوبي من العراق الذى تمثله فترة البحث (اى من بداية دور العبيد (اوائل الالف الخامس ق م) وحتى نهاية دور الوركـاء (٣١٥٠ ق م) •

٢ ـ ولما كانت تلك الفترة تمثل بالنسبة الى التاريخ الحضارى في بلاد وادى الرافدين دور ازدهار وتغيير اجتماعي بارز بالنسبة الى الادوار التي سبقته ، وتمثل قفزة نوعية في نطاق تطور قابليـات المجتمع في مجالات النشاط الاقتصادى التي مارسها المجتمع ومـا برز عنها من نضوج فكرى تكلل بظهور البدايات الاولى للكتابـة وهي محصلة حضارية كانت على جانب كبير من الاهمية بالنسبــة للتاريخ البشرى وكان المعبد منذ ظهوره وما احتله من مركز ديني مؤثر على راس جميع عمليات التغيير الاجتماعي في هذه الفترة التي تعد مرحلة تطورية اتسمت بـ(سيادة المعبد) •

٣ـ فسلطة المعبد ومبدأ تركيزها اجتماعيا كانت بالضرورة شيئـا

فائض الانتاج الاجتماعي " Social Surplus " في صالح مؤسسة المعبد مما انعكس على الازدهار الذي لاحظناه واضحا سواء في الرفاه والغنى المتمثل في ابنية المعابد او في تطور المستوطنات واتساع حجمها وازدياد عددها بحيث شغلت مساحات كبيرة حتى ظهر زخم استيطاني حول المراكز الرئيسة التي وجدت فيها أبنية المعابد الضخمة هذا الى جانب زيادة نطاق التجارة الخارجية التي تعتبر عاملا رئيسا مساهما في هذا الازدهار وكذلك اتساع التخصص الحرفي وذلك اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار المرحلة التي شهدت مثل ذلك النهوض الحضاري بالقياس الى سابقتها من فترات كذلك الظروف الموضوعية التي كانت تحيط بمجتمع تلك المرحلة بيئيا وانتاجيا .

٥ـ وقد شهدت فترة بحثنا هذا نظاما اجتماعيا جديدا اتسم بانعدام الملكية الزراعية الخاصة وهذا يعني ان ملكية الارض ووسائل الانتاج الرئيسية آلت الى المعبد (اي الى عامة المجتمع) وتحت اشراف سلطته المطلقة وعلى ضوء ذلك كان التركيب الاجتماعي الطبقي لتلك المرحلة الى ما قبل دور انحلالها يتالف من مرتبتين هما :

أ ـ طبقة مؤسسة المعبد التي كانت تتولى المهمات الدينية ـ الدنيوية .

ب ـ طبقة عامة المجتمع من مزارعين وحرفيين مهنيين

٦ـ وقد ادى ذلك الى حصول نوع من الانسجام الاجتماعي (Social Harmony) اذ لم تستفحل فيه بعد الفوارق الطبقية والتمايز الطبقي فاننا من خلال استقرائنا للادلة الا ثرية



اساسيا تطلبته المرحلة التطورية لمجتمع مرحلة سيادة المعبد وهذا استدعى قيام سلطة على راسها شخص قوى متنفذ دينيا وسياسيا يدعى " اين " " en " وكان لابد لهذه الشخصية لتنفيذ برامجها وما تتطلبه ارادة الالهة (استنادا الى مستوى الوعي الاجتماعي لتلك المرحلة) من الناحية الاجتماعية ان يكون الى جانبه مساعدون واشخاص منفذون • وبعبارة اخرى فان مبدأ تركيز سلطة المعبد الذى اشرنا اليه كان من الناحية المرحلية امرا تطلبته الظروف التطورية الاجتماعية في تلك المرحلة اى ان ظهور المعبد في هذه الفترة لاول مرة في تاريخ بلاد وادى الرافدين يشير الى ان التفكير الديني وصل في هذه المرحلة الى مستوى اكثر تعقيدا من الفترات السابقة مما ادى الى وضوح تصور وجود الهة تتحكم في القوى الطبيعية التي تمثل الحياة كما نلاحظ ذلك في الفترات الحضارية اللاحقة • ولما كان ال (اين " en ") ممثلا لسلطة الالهة على الارض وبما ان الالهة بموجب الفكر العراقي القديم كانت تتحكم بمصائر البشر ومقدرات حياتهم ومعيشتهم وخيرها وشرها فان هذه المرحلة (اى فترة البحث وظهور المعبد) كانت تمثل مرحلة سادت فيها سلطة المعبد وسلطة قيمه (او رئيسه) اى " الاين " en " • فارتبط المعبد اكثر بحياة الناس واتسع تأثيره في تنظيم وتوجيه امورهم الاقتصادية والاجتماعية •

٤- وكنتيجة لتركيز سلطة المعبد كما اسلفنا تولد عن ذلك تركيز في الانتاج تبعا لتركز الاشراف على مستلزماته (وخاصة تنظيم وتطوير جهاز الرى) بسلطة ذات مصلحة واحدة وتبع ذلك ان غدا

لم نستطع العثور على وجود طبقات اجتماعية متعددة ذات مصالح وتطلعات اقتصادية واجتماعية متميزة ومتضاربة ماخلا وجود مؤسسة المعبد والطبقة التي تمثلها من كاهن اعلى الذى يمثل السلطة العليا وجهاز تنفيذى وما يتبع ذلك في اطار اقتصادى واجتماعي يسير تلك المؤسسة في ظله وجمهور الناس الذى يقوم على تنفيذ ما يفرضه عليه الجهاز السابق الذى غالبا ما كان يمتاز بالصفة الاستبدادية المطلقة • وقد تغير ذلك في الفترات التاريخية اللاحقة • فالمعبد اذا وتركيز سلطته في هذه المرحلة على الارجح لعب دورا اساسيا في ضمان ذلك النوع من الوحدة الاجتماعية بالنسبة الى الفترة موضوع البحث ولكن تلك الوحدة ما فتئت ان تخلخلت فيما بعد بفعل ظهور واستفحال المصالح الطبقية وتعقد المجتمع الحضارى الذى لولاه لما حصلت تلك التناقضات التي اشرنا اليها على ان ذلك لا يمنع من القول انه حتى ضمن هذا النظام الاجتماعي (اى نظام سيادة المعبد) ان حصلت تطورات متوقعة تلك هي ان بعض الكهنة عندما وجدوا في متناول ايديهم الثراء الاقتصادى الكبير والموارد الضخمة التي انهالت على مؤسسة المعبد بنتيجة فائض الانتاج الاجتماعي المتأتي عن الهيمنة الشاملة لسلطة المعبد التي اشرنا اليها سابقا — مما ادى باولئك الكهنة للاستئثار بقسم من تلك الموارد لدرجة غدوا عندها في عداد النبلاء من حيث السلوكية الاجتماعية وقد أضحوا بالتالي وفي نهاية الفترة التي نحن بصدد بحثها الاداة الاجتماعية في التحولات التي ظهرت على بنية المجتمع • والذى امتاز فيما بعد بظهور التناقض الطبقي

والمصالح الاجتماعية وبصورة خاصة في الظهور المتميز لطبقات النبلاء، عامة الناس، الاحرار والعبيد ... الخ .

٧ـ اشرنا سابقا الى ان فترة بحثنا هذا تمثل قفزة نوعية من الناحية الحضارية ونستدل على ذلك مما شهدته مرحلة سيادة المعبد من معطيات حضارية عملاقة كان لها تاثيرها الكبير بالنسبة لسير الحضارة البشرية فيما بعد ونقصد من ذلك ان المجتمع قبل دور العبيد كان يمر وحتى ابتداء ذلك الدور بما اسماه علماء الاثار والاجتماع ب" مرحلة انتاج القوت " وهي مرحلة مهمة بالنسبة لما سبقتها على صعيد الحياة الاقتصادية والاجتماعية الا ان ما حصل بعد دور العبيد وفي السهل الرسوبي من العراق القديم قد نقل الحياة البشرية الى مستوى حضاري آخر ذلك هو ظهور التمدين " Urbanization " وما تبع ذلك من امور اجتماعية واقتصادية تطلبتها حياة المدنية وقد توجت معطيات هذه المرحلة بظهور المعبد الذي عمل من خلال النظام الذي فرضه على المجتمع على احلال تغييرات اجتماعية جوهرية بارزة . وما ظهور الكتابة وبوادرها الاولى الا لتلبية حاجة اساسية فرضتها سيطرة المعبد وهيمنته اقتصاديا واجتماعيا وكذلك التطور المتميز في فنون العمارة والنحت ونقش وصناعة الاختام الاسطوانية وما الى ذلك من تقدم تكنولوجي وفكري شهدته مرحلة بحثنا هذا .

مصادر البحث

١ - المصـــادر العربيـــة

الاصطخـرى ، ابراهيم بـن محمـد :
(مسالـك الممالـك) ليدن ، مطبعة بريـل ١٩٢٧

ابـن خلـدون ، عبـد الرحمـــن :
(مقدمة) القسم الاول ، بيروت ، طبعة دار الكشاف للنشر
والطباعـة والتوزيـع (ب ، ت)

ابـن منظـور ، جمال الدين محمد بن مكرم :
(لسـان العـرب) م ٨ ، بيروت ، دار صادر ١٩٥٥ ـ
١٩٥٦

ابـو الصـوف ، د ، بهنـام :
(التنقيب في تل الصوان الموسم الخامس) مجلة سومر ٢٧
(بغداد ١٩٧١) .

ابـو الفـــداء ، اسماعيـل بـن علـي :
(تقويم البلـدان) باريس، دار الطباعة السلطانية ١٨٤٠

باستيـد ، روجيـه :
(مبادئ علم الاجتماع الديني) ترجمة : د ، محمود قاسم
القاهرة مكتبـة الانجلـو المصريـة ١٩٥١ .

باقـر ، طـه وسفـر ، فـؤاد :
(المرشد الى مواطن الاثار والحضارة) . الرحلة الخامسة
الرحلة السادسة ، بغداد ، دار الجمهورية ١٩٦٥ ، ١٩٦٦

باقـر ، طـه :

" معابد العراق القديم " (مجلة سومر) م ٣ ج ١ بغـداد
١٩٤٧

باقـر ، طـه :

(مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة) ط ٣ ج ١ ، بغـداد
مطبعـة الحـوادث ، ١٩٧٣

باقـر ، طـه :

(ملحمة كلكامش) ط ١ بغداد ، مطابع الجمهورية ١٩٧١

البستانـي ، بطـرس :

(محيط المحيـط) ج ٢ ، بيـروت ١٨٧٠

البستانـي ،عبد اللـه :

(البستان) ج ٢ بيروت المطبعة الامريكية ٩٢٧ ـ ١٩٣٠

تشايلـد ، كـوردن :

(التطور الاجتماعي) ، ترجمة : لطفي فطيم ، القاهـرة
مطابـع سجـل العـرب ١٩٦٦

بوسـت ، جـورج :

(قامـوس الكتاب المقدس) ، بيروت المطبعة الامريكية ١٨٩٤

تشايلـد ، كـوردن

(ماذا حدث في التاريخ) ترجمة : د . جورج حداد القاهرة
الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٥٦

ثسيكر ، ولفرود :

(المعدان او سكان الاهوار) ترجمة : باقر الدجلي ، بغداد ، مطبعة الرابطة ١٩٥٦

الثعالبي ، ابو منصور بن عبد الملك :

(فقه اللغة) ، تحقيق مصطفى السقا ، وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي ، القاهرة ، مطبعة البابلي الحلبي ١٩٣٨

حسن ، عباس :

(النحو الوافي) ج ٣ القاهرة مطابع دار المعارف ١٩٦٣

حيدر ، د ٠ صالح :

(التطور الاقتصادى في العراق) بغداد ، مطبعة شركة النشر والطباعة العراقية ١٩٥٤

الخطيب ، عبد الكريم :

(قضية الألوهية بين الفلسفة والدين) ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ١٩٦٢

الخلف ، د ٠ جاسم محمد :

(محاضرات في جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية) القاهرة ، مطبعة البيان العربي ١٩٦١

ديورانت ، ول :

(قصة الحضارة) ج ١ ط ٢ ترجمة :زكي نجيب ، القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٦

سفــــر ، فــــؤاد :

" حفريــات حسونــــه " (مجلة سومر) م ١ ج ١ بغداد ١٩٤٥

سفــــر ، فــــؤاد :

" حفريات العقير " (مجلة سومر) م ١ ح ١ بغداد ١٩٤٥

سفــــر ، فــــؤاد :

" حفريات مديرية الاثار القديمة العامة في اريدو " (مجلــة سومر " م ٣ ج ٢ بغــداد ١٩٤٧

سفــــر ، فــــؤاد :

" حفريات مديريــة الاثار القديمة العامة في اريدو " (مجلة سومر) م ٥ ج ١ بغداد ١٩٤٩

سلمــان ، د • عيســى :

(تقديــــم) سومــر م ٢٨ بغــداد ١٩٧٢

سليم " د • شاكــر مصطفــى :

(الجبايش) ج ١ ــ ٢ بغداد مطبعة الرابطة ١٩٥٧

سيتنيــك ، بــودو ، وسبيركيــن :

(عرض موجز للمادية التاريخية) موسكو ، دار التقدم (ب • ت)

الصقــار ، د • فــؤاد محمــد :

(دراسات في الجغرافية البشرية) القاهرة ، مطبعة لجنــة البيــان العربــي ١٩٦٥

الطائـي ، د . محمد حامد :
" تحديد اقسام سطح العراق " (مجلة الجمعية الجغرافية
العراقية) م ٥ بغداد ١٩٦٩

علـي ، د . فاضل عبد الواحـد :
" ثم جاء الطوفان " (مجلة سومر " م ٣١ بغداد ١٩٧٥

علـي ، د . فاضل عبد الواحد :
(عشتار ومأساة تموز) . بغداد ، دار الجمهورية ١٩٧٣

فرنكفـورت ، هنـري :
(فجر الحضارة في الشرق الادنى) ترجمة : ميخائيل خوري
بيروت ، دار الحياة ١٩٥٩

الفيومـي ، احمد بن محمد :
(المصباح المنير في غريب الشرح الكبير) ط ٦ القاهرة ،
المطبعة الاميرية ١٩٢٦

القزوينـي ، زكريا بن محمد :
(اثار البلاد واخبار العباد) بيروت ، دار صادر ١٩٦٠

كوستانتينوف ، ف :
(دور الافكار التقدمية في تطور المجتمع) دمشق دار دمشق
للطباعة والنشر ١٩٧١

كوفالسـون ، كيللـة :
(المادية التاريخية ، دراسة في نظرية المجتمع والماركسية
ترجمة : الياس شاهين ، موسكو (ب . ت)

لويد ، سيتن و سفر ، فؤاد :

" حفريات مديرية الاثار القديمة العامة في اريدو " (مجلة سومر) م٣ ج٢ بغداد ١٩٤٧

ليسترنج ، غي

(بلدان الخلافة الشرقية) نقله الى العربية : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، بغداد مطبعة الرابطة ١٩٥٤

مديرية الاثار العامة . بغداد :

(المواقع الاثرية في العراق) بغداد ، مطبعة الحكومة ١٩٧٠

النشار ، علي سامي :

(نشأة الدين ـ النظريات التطورية المؤلهة) الاسكندرية ١٩٤٩

نوتزل ، وارنر :

" دراسات جيولوجية عن قاع الخليج العربي " (ترجمة : هيئة تحرير سومر) (مجلة سومر) م ٣٠ بغداد ١٩٧٤

مستد ، كوردن :

(الاسس الطبيعية لجغرافية العراق) ترجمة : الدكتور جاسم محمد الخلف ، بغداد ، المطبعة العربية ١٩٤٨

هرتسفلد ، ارنست :

" اصل كلمة العراق ومغناها " (مجلة لغة العرب) السنة الرابعة ج ٢ ١٩٢٧

هلبـــوش ، فستفـــال :

• مدينة المعدان في الحاضر والماضي " ترجمة د. محمــود الامين (سومر) م ١٣ بغداد ١٩٥٧

الوائلـــي ، د. فيصــل :

• تقديـم " مجلة سومر م ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ بغداد ١٩٦٤ ، ١٩٦٦ ، ١٩٦٧

ياقـــوت الحمـــوى ، ابو عبد الله ياقـــوت :

(معجم البلدان) ج ٣ ب ١٨٦٨ ، لايبزك ١٨٦٦ ـ ١٨٧١

٢ ـ المصادر الاجنبية :

Adams, R.MCc.,

1975 An Early Prehistoric Sites in The Warka Region, SUMER, Vol.31, pp.11-14.

1958 Early civilizations, Subsistence, and Environment, in CI. pp.269-296.

1958 Factors Influencing the Rise of Civilization In The Alluvium, Illstrated by Mesopotamia, in, CI. pp.24-45.

1972 Patterns of Urbanization in early Southern Mesopotamia in. MSU., pp.735-749

1956 Some Hypotheses on The Development of Early Civilizations, American Antiqity, Vol. XXI, No.3, pp.277-232.

1969 The Study of Ancient Mesopotamian Settlement Pattern and the Problem pf Urban Origins, SUMER, Vol. 25, pp.111-124.

Adams, R.MCc., and Nissen, H.J.,

1972 The Uruk Countryside, The Natural Settin of Urban Societies, (Chicago).

AL-Haik, A.R.,

1968 Keylists of Archaeological Excavations in Iraq, 1842-1965, Florida.

Braidwood,R.J.,

1955 The Iraq-Jarmo Project of the Oriental Institute of Chicago Season 1954-1955,SUMER, Vol. X,pp.120-138.

1958 Near Eastern Prehistory Reprint,SCIENCE,Vol. 127,No.3312,pp.1-12

1967 Prehistoric Men,Chicago,Third Edition.

Braidwood,R.J.,and et.el.,

1960 Prehistoric Investigations in Iraqi Kurdistan (Studies in Ancient Oriental Civilization,31; University of Chicago press.

Berry,R.W.,and et.el.

1970 Miner of the Suspended Sediment in the Tigris, Euphrates and Shatt AL-Arab Rivers of Iraq and recent History of the Mesopotamian Plain, Reprint,Journal of Sedimentary Potrology,Vol. 40,No.1,pp.131-139

Brandes,A.M.,

1968 Untersuchungen Zu Kompostion de Stiftimosaiken an der pfeilerhall der Schich IVa in Uruk-Warka Berlin.

Buringh,P.,

1957 Living Conditions in the Lower Mesopotamian plain in Ancient Times (Sumer,Vol.13,Baghdad)

Burrowos,E.,

1935 Archaic Texts, Joint Expedition of the British Museum and of the Museum of the University of Pennsylvania to Mesopotamia, Ur Excavations, Texts,Vol.2,London and Philadelphia.

Childe,V.G.,

1952 New Light on the Most Ancient East,Routledge and Kegan, London.

Clark,G.& Piggot,S.,

1965 Prehistoric Societies,NewYork,Alfred ,A. Knopf .

Deimel,A.,

1931 Sumerische Tempelwirtschaft Zur Urukaginas Un Selner Vorgänger,(Analecta Orientalia,2 Rom.)

Delougaz,P.,&,LLoyd,S.,

1942 Pre-Sargonid Temples in Diyala Region Oriental Institute Publications ,Vol. 58, Chicago.

1967 Private Houses and Graves in The Diyala Region, Chicago.

Diakonoff,I.M.,

1954 Sale of Lanan In Pre-Sargonic Sumer, In, Papers Presented by Soviet Delegation of the

XXIII International Congress of Orientalists, Cambridge,1954, Moscow,U.S.S.R., Academy of Science.

1956 The Rise of the Despotic State in Ancient Mesopotamia,(Translated by, G.M.Sergheyev) In,Ancient Mesopotamia(Edited by,Diakonoff), 1969,pp.173-203

Edzard,D.O.,

1965 Die Fruhdynastische Zeit in, Fischer Weltgeschichte Die Altorientalishen Frankfort.

Egami,N.& et.al.

1966 Brief Report of the Third Season's Excavations at Tell II of Telul Eth-Thalathat and Some Observations, SUMER,Vol.XXII,pp.1-16

EL-Wailly,F.,&,Abu es-Soof,B.,

1965 The Excavations at Tell Es-Sawwan, SUMER, Vol.XXI,pp.17-32

Falkenstein,A.,

1936 Archaische Texte aus Uruk, Leipzig, Harrassowitz,(= ATU)

1974 The Sumerian Temple City(1954, Translation by, Ellis ,M.)

Frankfort,H.,

1949 Kingship and the Gods, Chicago the Univers-

ity of Chicago Press.

1965 Sylinder Seals,London(1939),Reprinted, Gregg Press Limited.

Goff,B.L.,

1963 Symbols of Prehistoric Mesopotamia, Yale University press.

Gullini, G.,

1970-71 Structure and Space In Archaic Mesopotamian Architecture From Eridu to the Early Dynastic (Summary)in, MESOPOTAMIA,V-VI,pp.273-279

Hallo,W.W.,

1957 Early Mesopotamian Royal Titles,New Haven, Connecticut.

Hastings,J.,

1921 Encyclopaedia of Religion and Ethics,Vol. 13,Edinbargh .

Hawkes,J.,

1963 Prehistory and the Beginings of Civilization "History of man Kind Cultural and Scientific Development",Vol.I,London.

Heinrich,E.,

1957 Bauwerke in der Altsumerichen Bildkunst, Wissbaden.

Kenyon,K.M.,

1965 Archaeology in Holy Land ,London.

Kramer,S.N.,

1952 Enmerkar and The Lord of Aratta,Museum Monographs,. Philadelephia,University of Pensylvania press.

1961 Sumerian Mythology,New York.

1964 The Sumerians, The History, Culture and Charecter, Chicago,The University of Chicago press.

Langdon,S.,

1928 Pictographic Inscriptions from Jamdat Nasr. Oxford Editions of Cuneform Texts,Vol.7, Oxford University press.

Lees,G.M.,& Falcon,N.L.,

1952 The Geographical History of Mesopotamian plain, Geographical Journal,Vol. 118.

Lenzen,H.J.,

1941 Die Entwichlung der Zikurrat Von ihren Anfängen bis Zur Ziet III Dynastie Von Ur in Ausgrabungen der Deutschen Forschvngsg-emeinschaft in Uruk-Warka 4, Harrassowitz, Lipzig.

1955 Mesopotamisch Templelanlagen von der Früh-zeit bis Zum Zwieten Jahrtaused "Zeitschrift für Assyriologie Vorderas iatische Archäol-gie,Vol.17",Berlin.

1949 Die Tempel der Schicht Archaisch IV,in Uruk"Zeitschrift für Assyriologie Vordrasi-atisch Archäolgie,Vol. 15,Berlin.

LLoyd,S.

1947 Foundation in the Dust a Story of Mesopota-mian Exploration,London.

1943 Twin Rivers, Oxford.

LLoyd,S.,&,Safar,F.,

1947 Excavations at Eridu, SUMER,III,pp.85-111

1943 Tell Uqair,JNES.,Vol.II,pp.131-158

Mackay,E.

1931 Report on the Excavations of Jamdat Nasr, Iraq, Field Museum of Natural History, Anthropology Memoirs, Vol. I,No. 3, Chicago.

1929 A Sumerian Palace and the " A" Cemetery at Kish, Mesopotamia, Field Museum of Natural History, Anthropology Memoirs, Vol.I,No. 2, Chicago.

Mallowan,M.E.L.,& Rose,J.,

1935 Excavations at Tell Arpachigha,1933,Iraq, Vol.2,London.

Mellaart, J.,
1967 Catal Hüyük; Aneolithic Town in Anatolia, London.
1960 The Cholcolithic and Early Bronze Ages in The Near East and Anatolia.

Merpert, N.& Munchagev, R.,
1969, 1973 Excavations at Yarim Tepe, Sumer, Vol. 25;29 (Baghdad)

Moortgat, A.
1969 The Art of Ancient Mesopotamia ,Translated by; Judith Filson ,London.

Oates, J.,
1966 The Baked Clay Figurines from Tell Es-Sawwan", Iraq, Vol. XXII, London.
1969 Choga Mami ,1967-1968, Iraq, Vol. XXXI, London.
1972 "Prehistoric Settlement patterns in Mesopotamia in, Man, Settlement and Urbanism, London, The Gardencity press Limited.
1960 Ur and Eridu the Prehistoric, Iraq, Vol. 22, London.

Parrot, A,
1949 Ziggurats et Tour de Babel ,Paris.

Perkins, A.L.,

1949 The Comarative Archaeology of Early Mesopotamia, Chicago.

Porada, E.,

1971 New Discoveries in the Perian /Arabian States and Relations with Artifacts from Countries of Ancient Near East, Artibus Asia, Vol, XXXIII, 4.

Postgate, J.N.,

1972 The role of the Temple In The Mesopotamian Secular Community, in : Man, Settlement and Urbanism, Lonon The Garden city press Limited.

Roux, G.,

1964 Ancient Iraq, London.

Saggs, H.W.F.,

1968 The Greatness that was Babylon, New York.

Schmidt, J.,

1974 Zwiet Tempel Der Obed-Zeit in Uruk, In: Baghdader Mittelungen, 7.

Semple, E.,

1911 The Influnces of Geographic Environment, New York.

Speiser,E.A.,

1969 The Creation Epice In: ANET,pp.60-72

1969 The Myth of ZU in: ANET,pp.111-112

Soleki,A.R.

1971 Shanidar, The First Flower People,New York.

1961 Zawi Chemi Shanider, Apost Paleistocene Village site Northern Iraq,Report of the VI the International Congress on quaternary, Warsaw.

Taylor,G.,"Editor"

1960 Geography in the Twentieth Century,London

Thompson,W.S.,

1935 Population Problems, London.

Tobler,A.J.,

1950 Excavations at Tep Gawra,Vol. 2,Philadelphia, University of Pennsylvanie press.

Tyumenev,A.T.,

1969 The State Economy of Ancient Mesopotamia in: Ancient Mesopotamia Moscow.

Van Buren,E.D.,

1939-41 Religous rites an ritual in The time of Uruk IV-III Archiv für Orientforschung 13,pp.32-45

Wilson,A.T.,

1954 The Persian Gulf,London.

المخططـــــــات

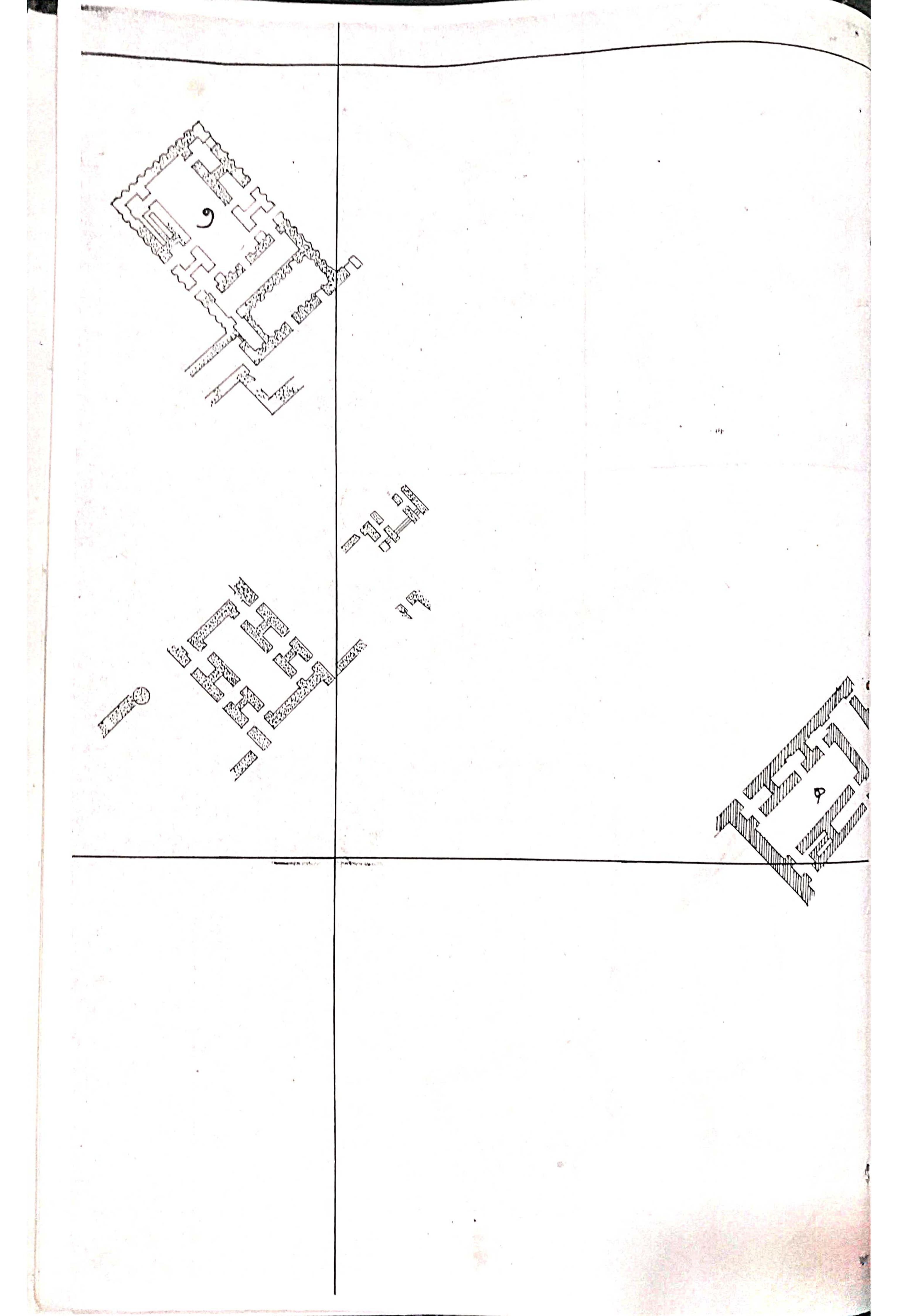
المخطط	الوصف	الشكل	المصدر
مخطط ـ ١	اريدو : معبد الطبقة ١٧		تبعا : لويد ، سفر / حفريـــات اريدو لوح ٦ : سومر م٤
مخطط ـ ٢	اريدو : معبد الطبقة ١٦		
مخطط ـ ٣	اريدو : معبد الطبقة ١٥		
مخطط ـ ٤	اريدو : معبد الطبقة ١١	Fig.f3	تبعا Gullini,G., Mesopotamia, Vol.V-VI (1970-71)
مخطط ـ ٥	اريدو : معبد الطبقة ٩	Fig.f4	
مخطط ـ ٦	اريدو : معبد الطبقة ٨	Fig.G1	
مخطط ـ ٧	اريدو : معبد الطبقة ٧	Fig.G2	
مخطط ـ ٨	اريدو : معبد الطبقة ٦ والطبقات التالية من الزقورة	Fig.K	
مخطط ـ ٩	الوركاء : المعبد الثاني من دور العبيـــد	Abb.1	Schmidt,J., Baghdader Mittelungen, 7(1974)
مخطط ـ ١٠	الوركاء : المعبد الاول من دور العبيـــد	Abb.2	
مخطط ـ ١١	موقع الريض الشرقي ـ البناية المعلمة برقم (15) يمثل المعبد		UVB.IX
مخطط ـ ١٢	الوركاء : حارة (اى ـ انا) الطبقة الخامسة ـ الرابعة	Pl.V B	تبعا Mesopotamia, Vol.V-VI(1970-71)
مخطط ـ ١٣	الوركاء : حارة (اى ـ انا) الطبقة الرابعـــــة	Pl.VIII A	
مخطط ـ ١٤	الوركاء : معبد المخاريط الحجرية	Pl.VIII	
مخطط ـ ١٥	تل العقير : المعبد المصبوغ والمصطبة	Fig.Q	
مخطط ـ ١٦	جمدة نصر		تبعا Hrouda,B.,(1971) Abb.33

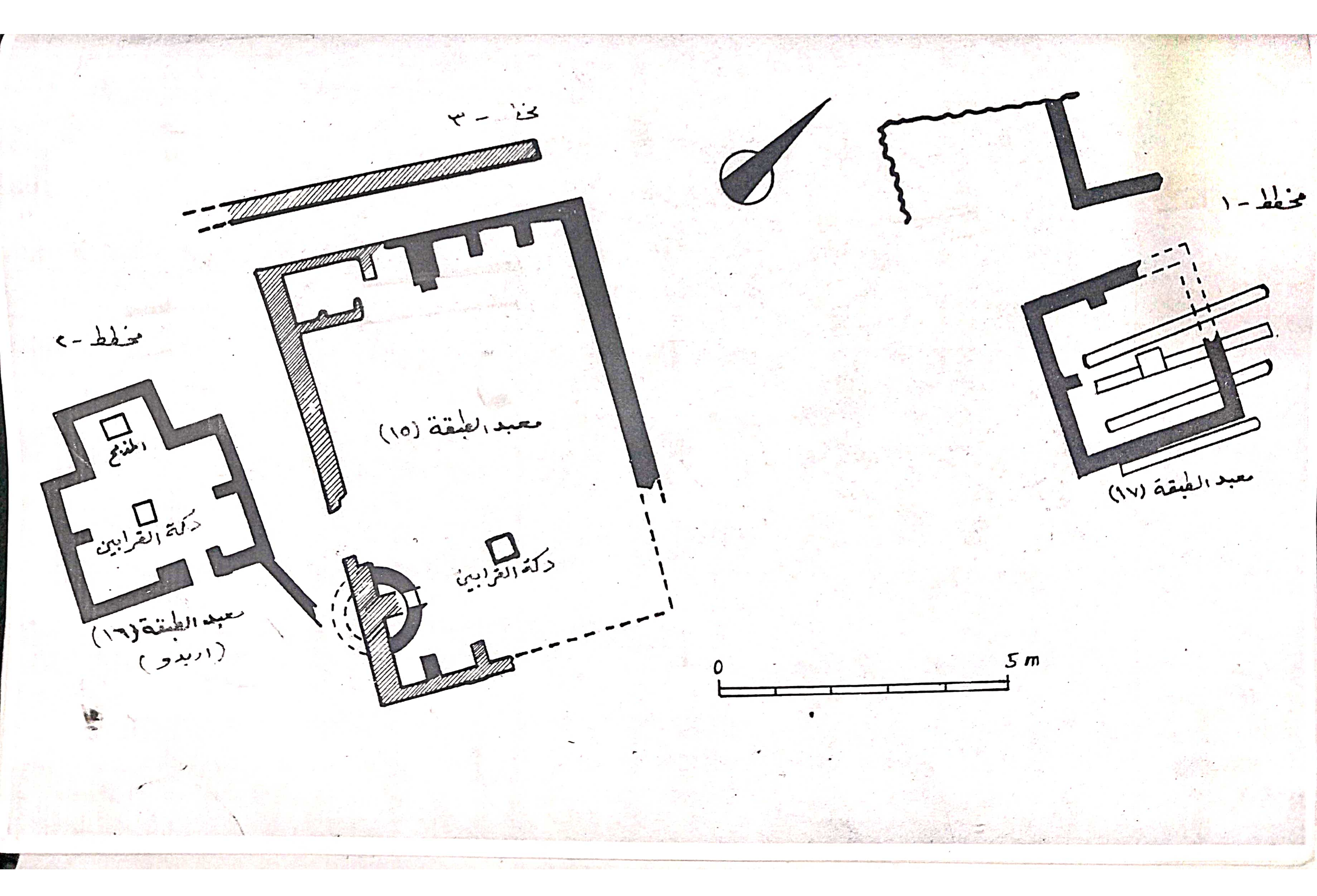
مخطط ـ ١٧ الوركاء: منطقة آنو مخطط الطبقــة E&D Fig.N2 Mesopotamia,Vol.V-VI (1970-71)

مخطط ـ ١٨ الوركاء: منطقة آنو ـ المعبد الابيــض Fig.N1

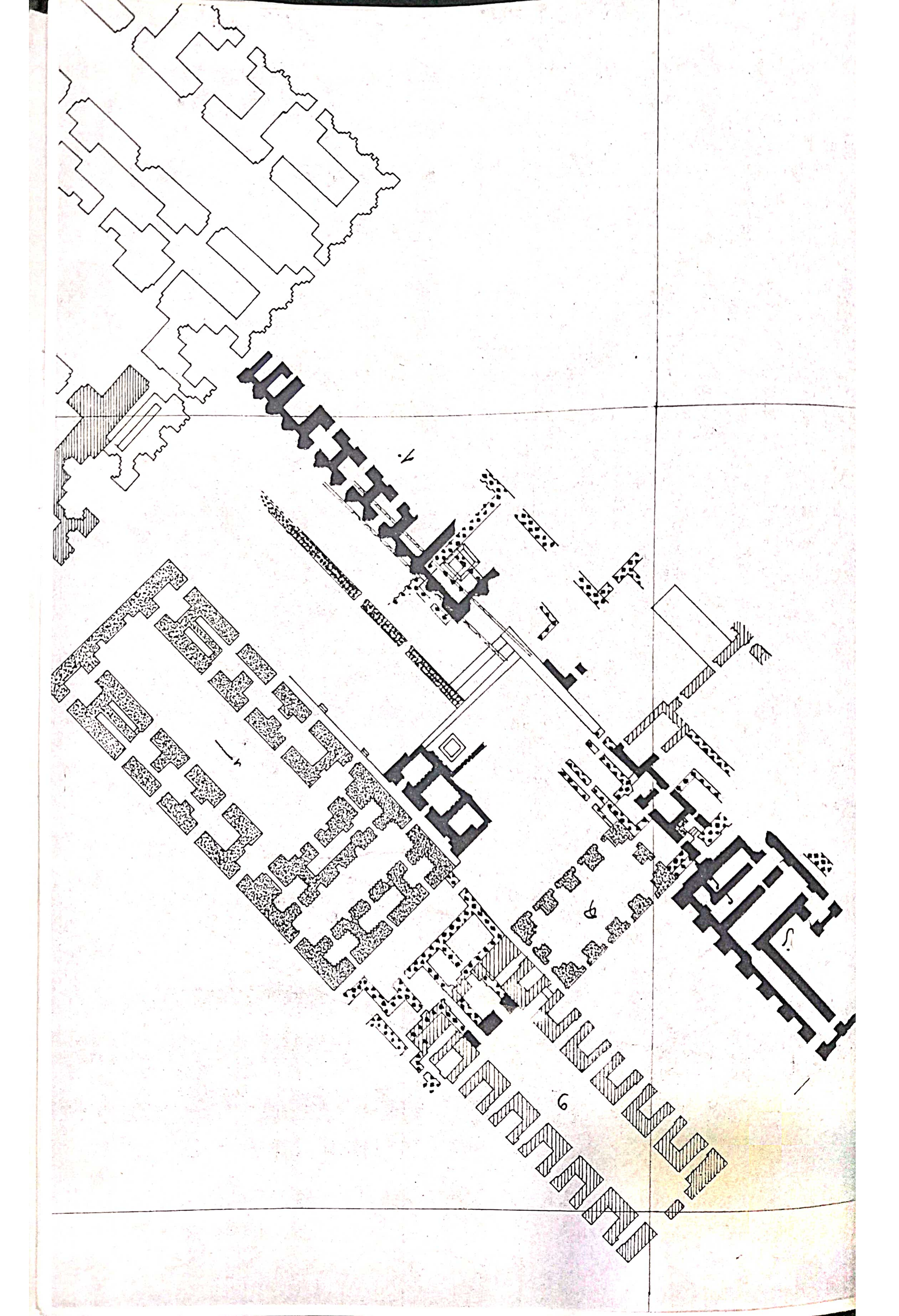
مخطط ـ ١٩ خفاجي : معبد سين الطبقة ١ ـ ٥ تبعا Fig.R 1-5 Ibid,

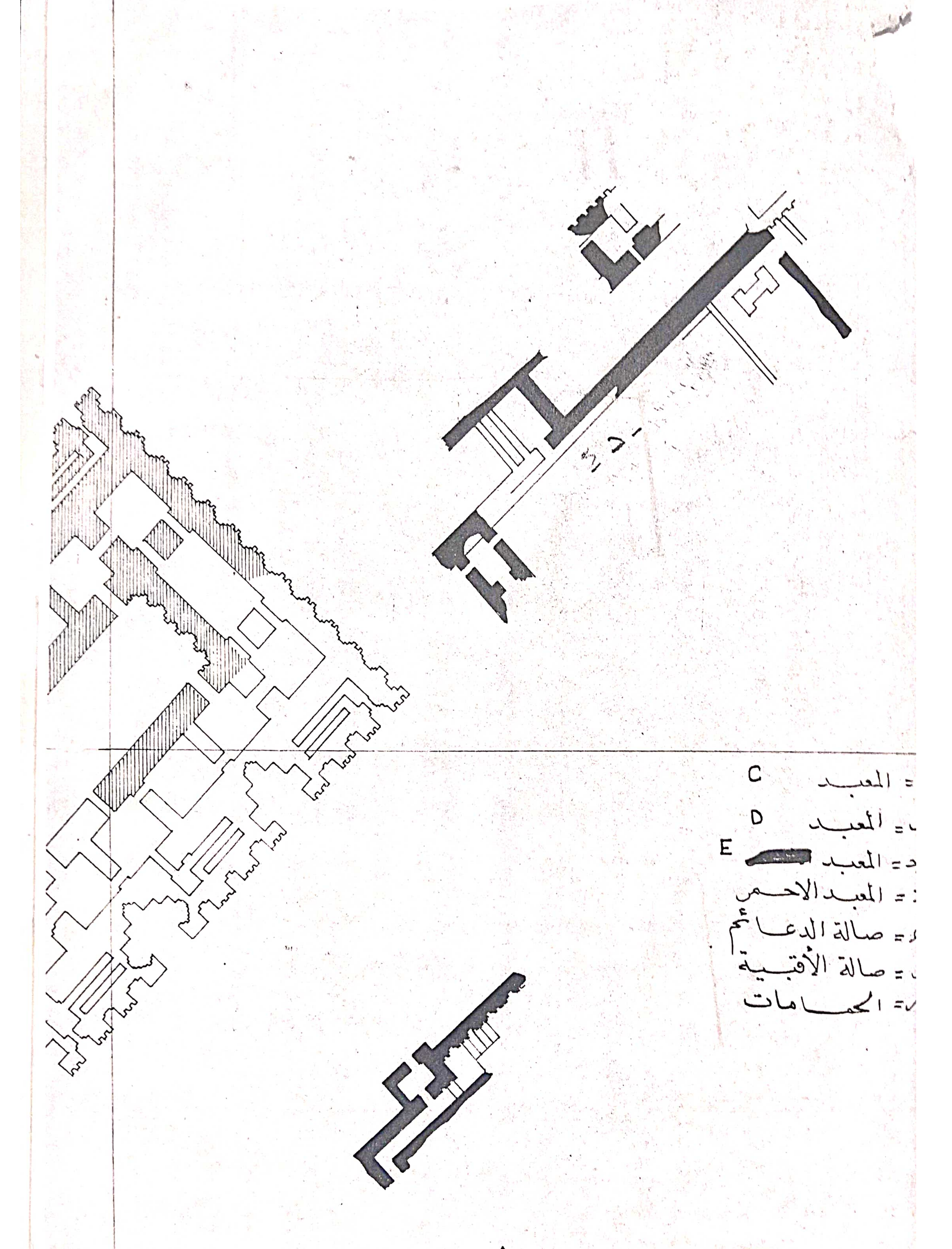
مخطط ـ ٢٠ الوركاء: حارة (اى ـ انا) تبعا Pl.IX Ibid.





مخطط - ١
معبد الطبقة (١٧)
مخطط - ٣
معبد الطبقة (١٥)
دكة القرابين
مخطط - ٢
المذبح
دكة القرابين
معبد الطبقة (١٦)
(اريدو)
0
5 m

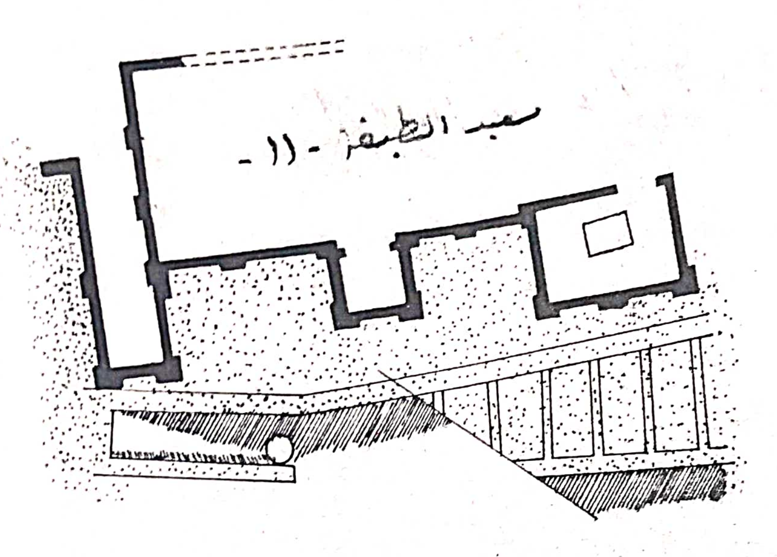




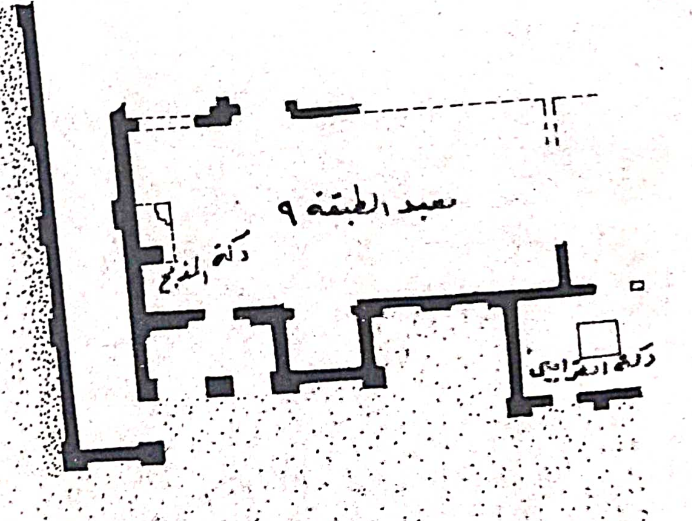
الوركاء

حارة (إي ـ أنا) الطبقة الرابعة A (A IV)

مخطط -٤-



مخطط -٥-

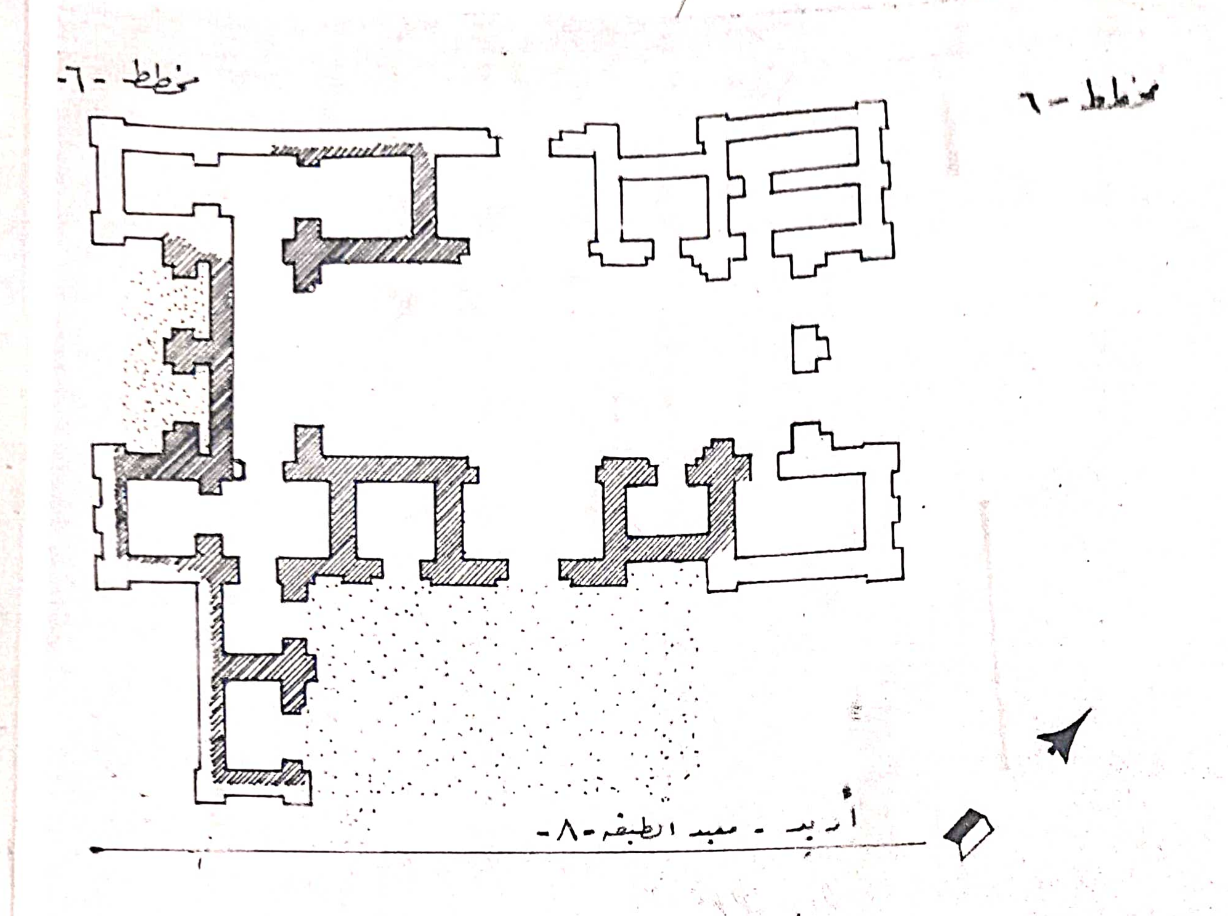


0 1 2 3 4 5

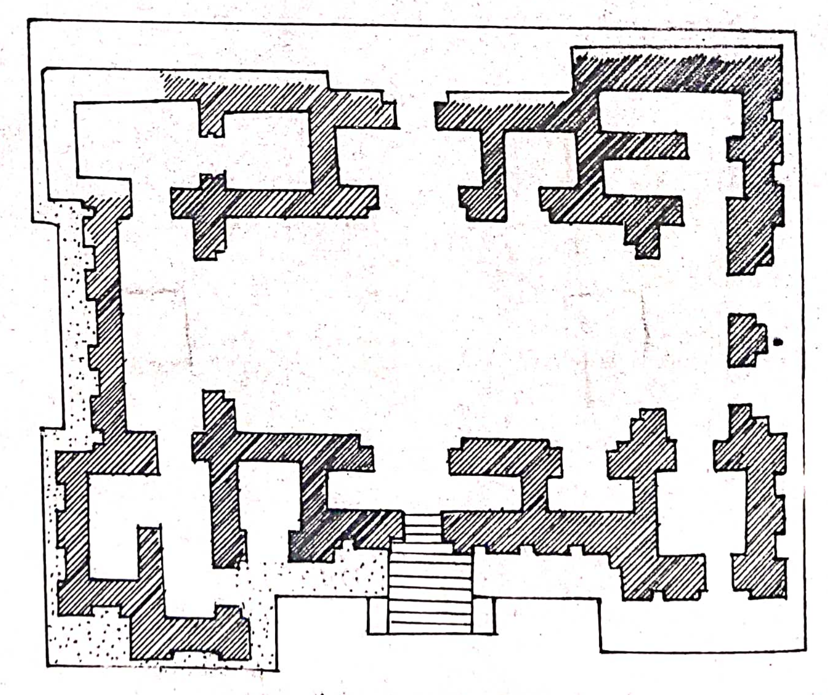
أريدو

مخطط -٦-

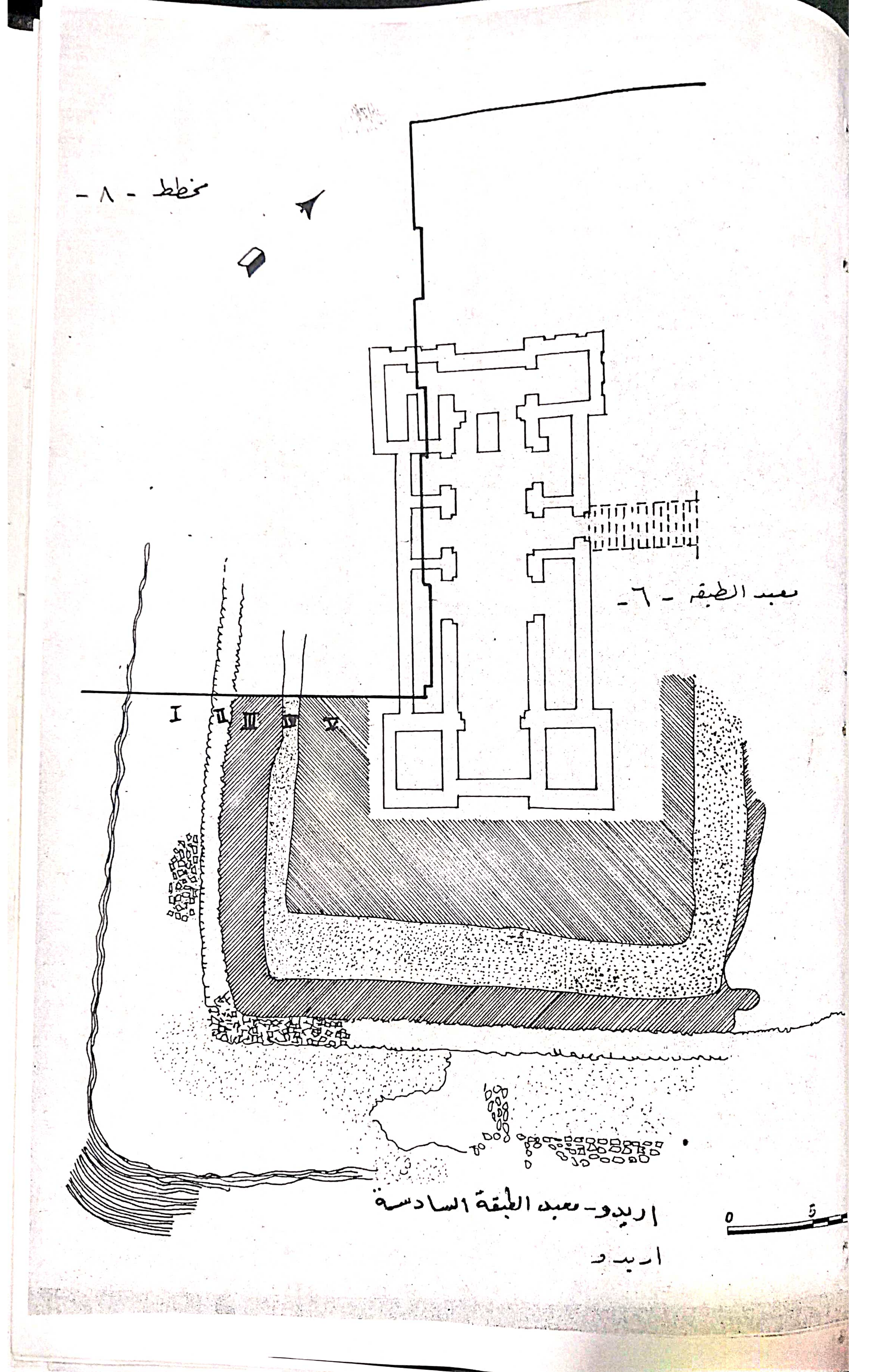
مخطط -٦



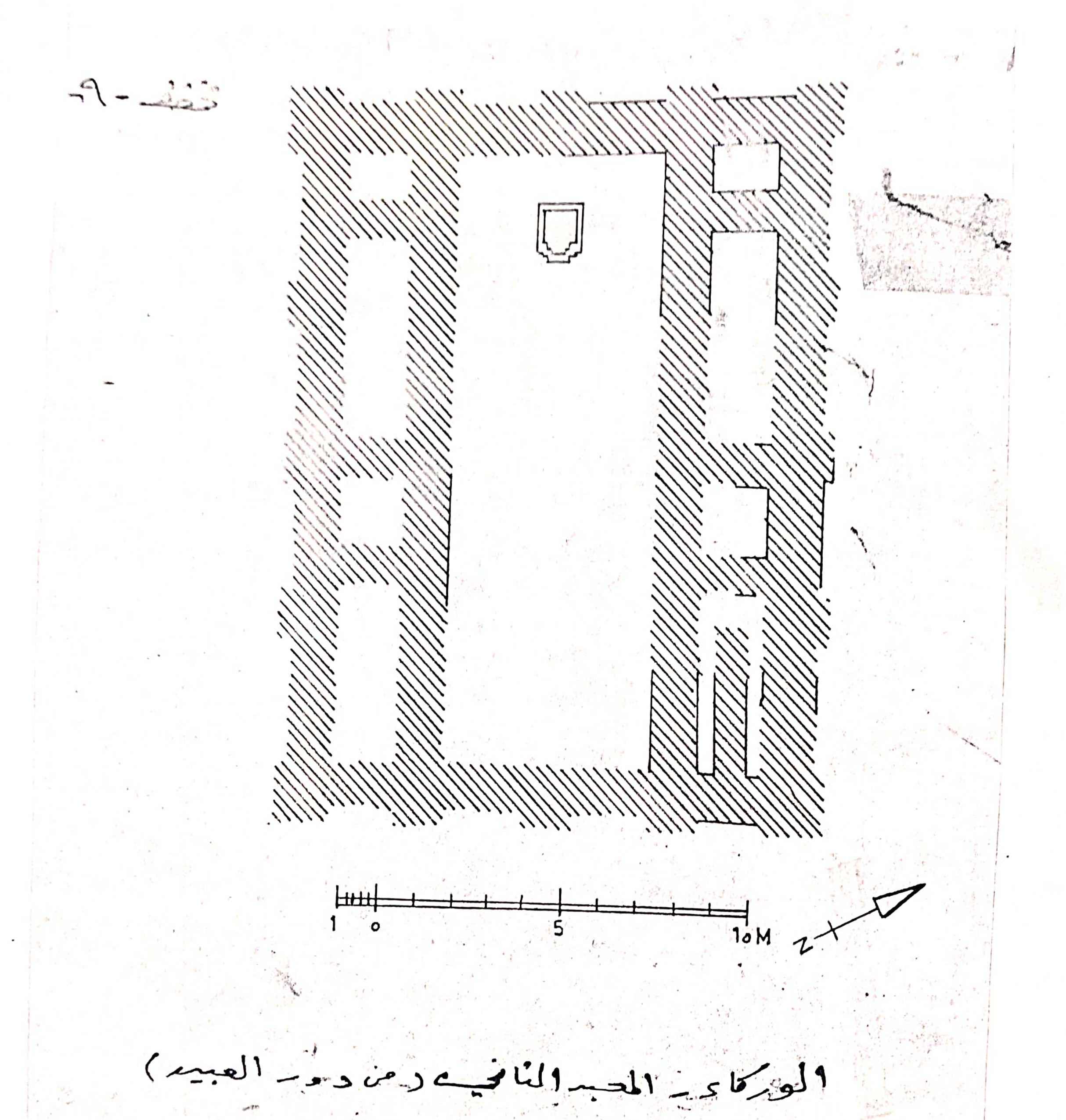
مخطط -٧-



أريد - معبد الطبقة -٧-


مخطط - ٨ -
معبد الطبقة - ٦ -
I
II
III
IV
V
5
اريدو - معبد الطبقة السادسة
اريدو

مخطط - ٦٩

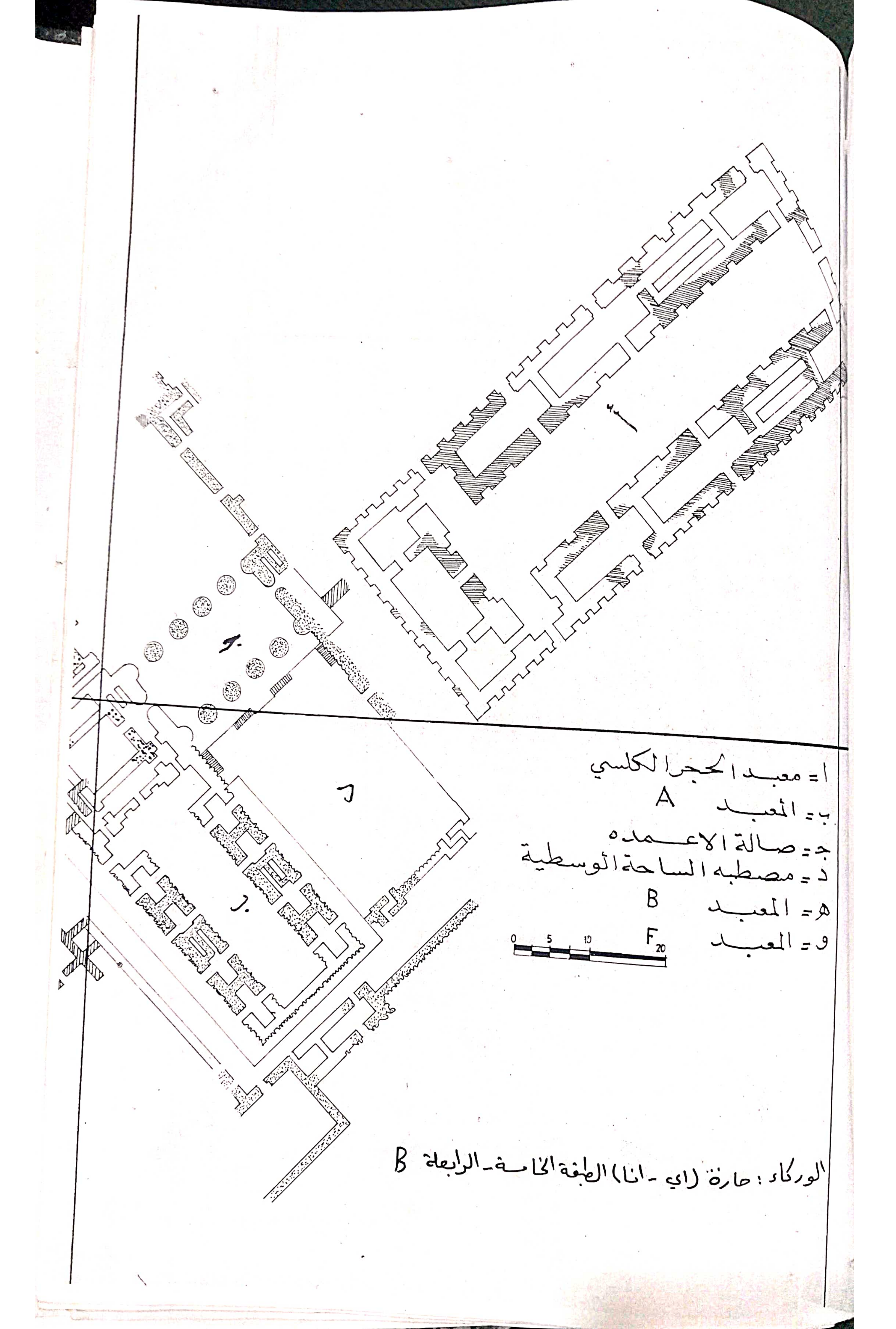


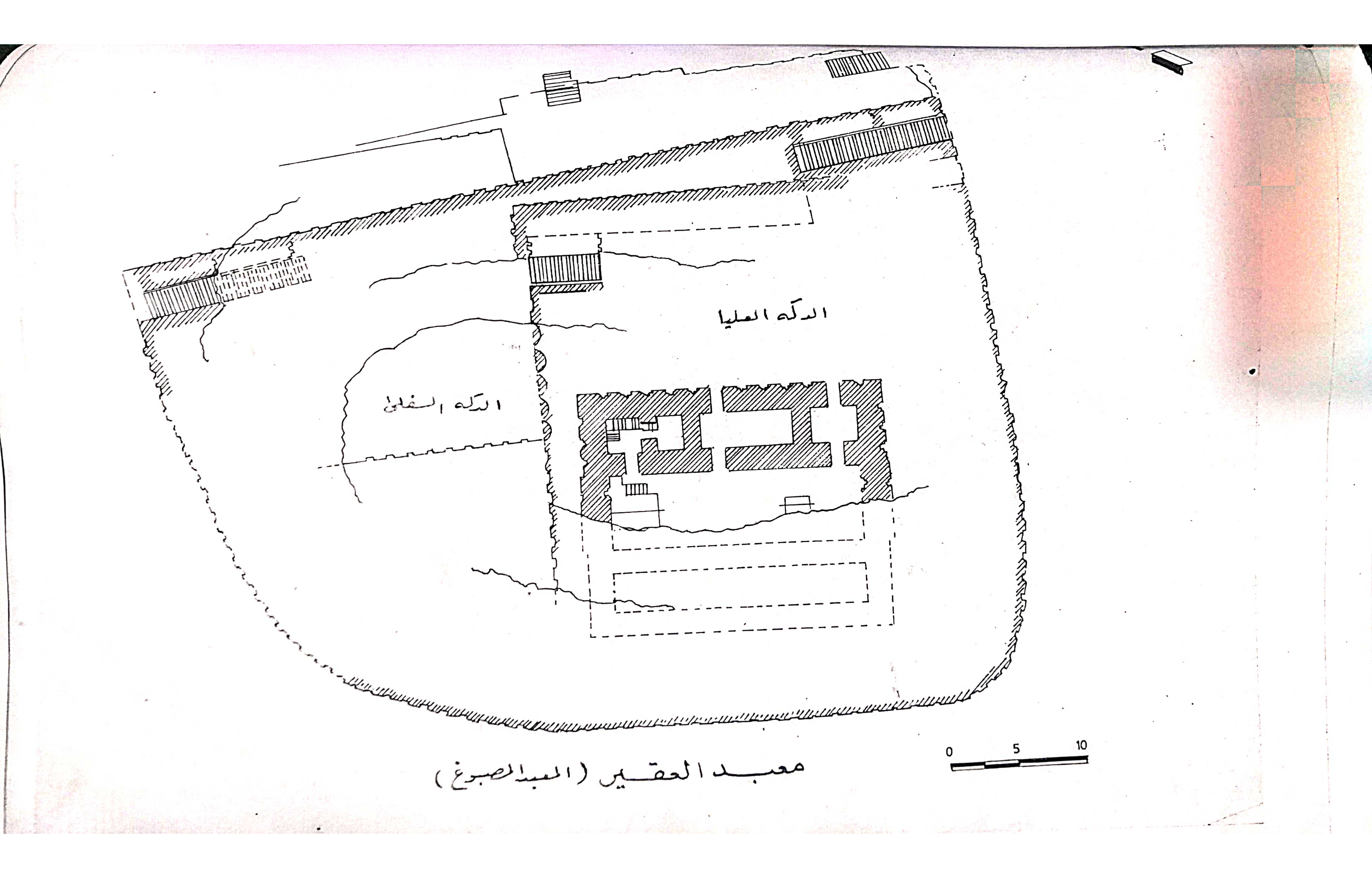
الوركاء - المعبد الثاني (من دور العبيد)

مخطط - ١١ -

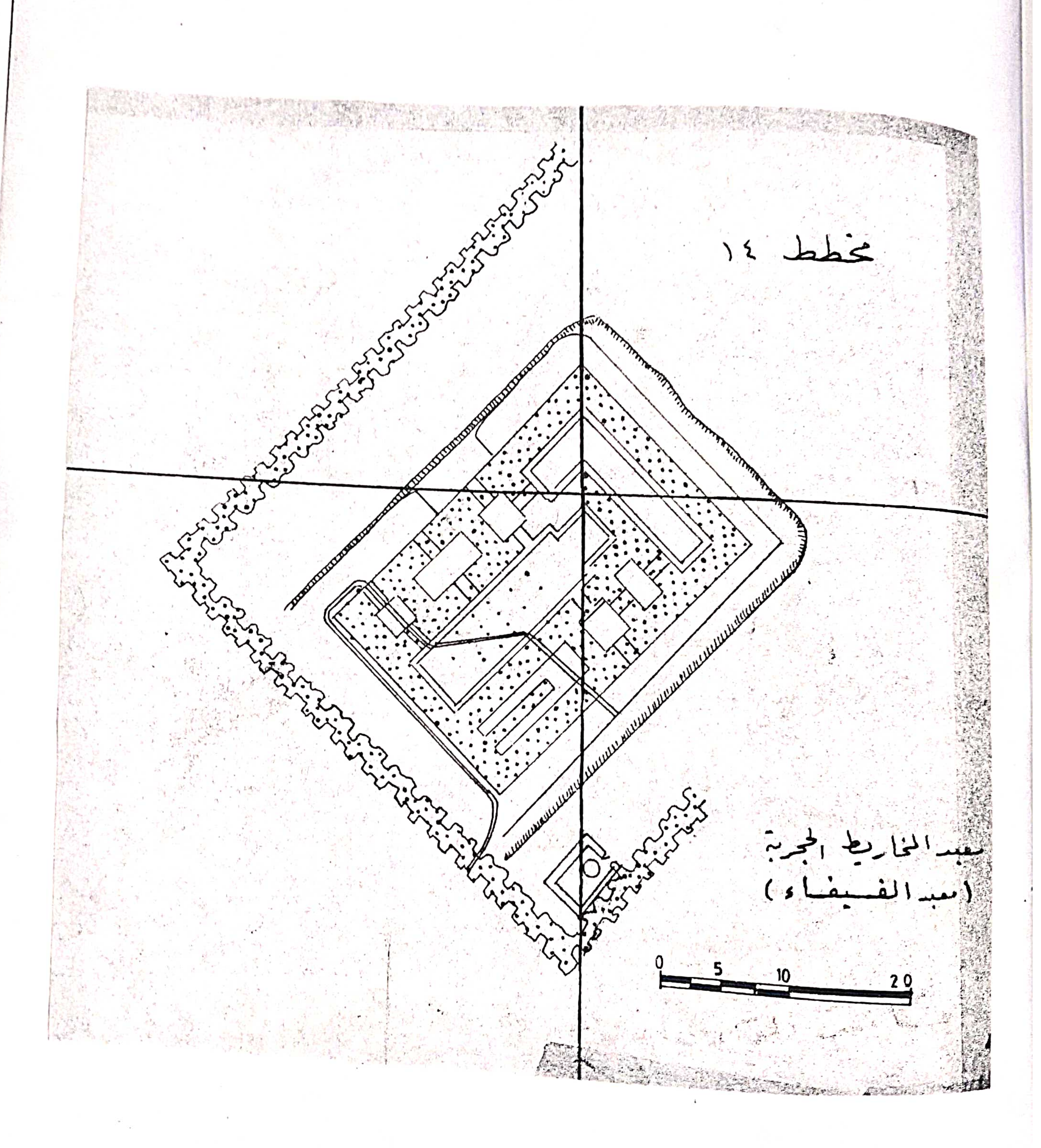


A. Nöldeke: Ausgrabungen in Uruk-Warka 1936/37. — Taf. 19.

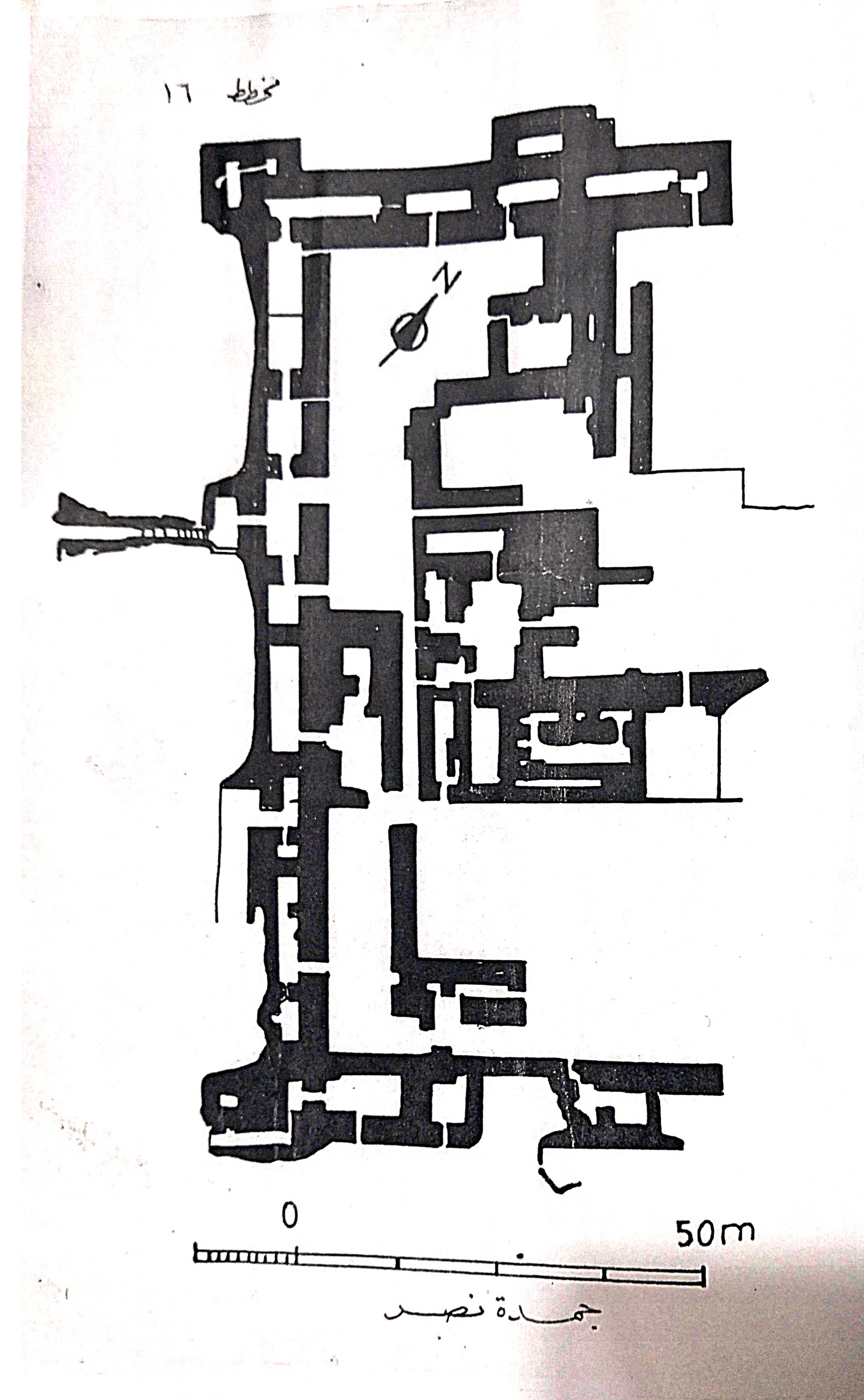

أ
ج
د
ب
ا= معبد الحجر الكلسي
ب= المعبد A
ج= صالة الاعمده
د= مصطبه الساحة الوسطية
هـ= المعبد B
و= المعبد F
0 5 10 20
الوركاء: حارة (اي-انا) الطبقة الخامسة-الرابعة B

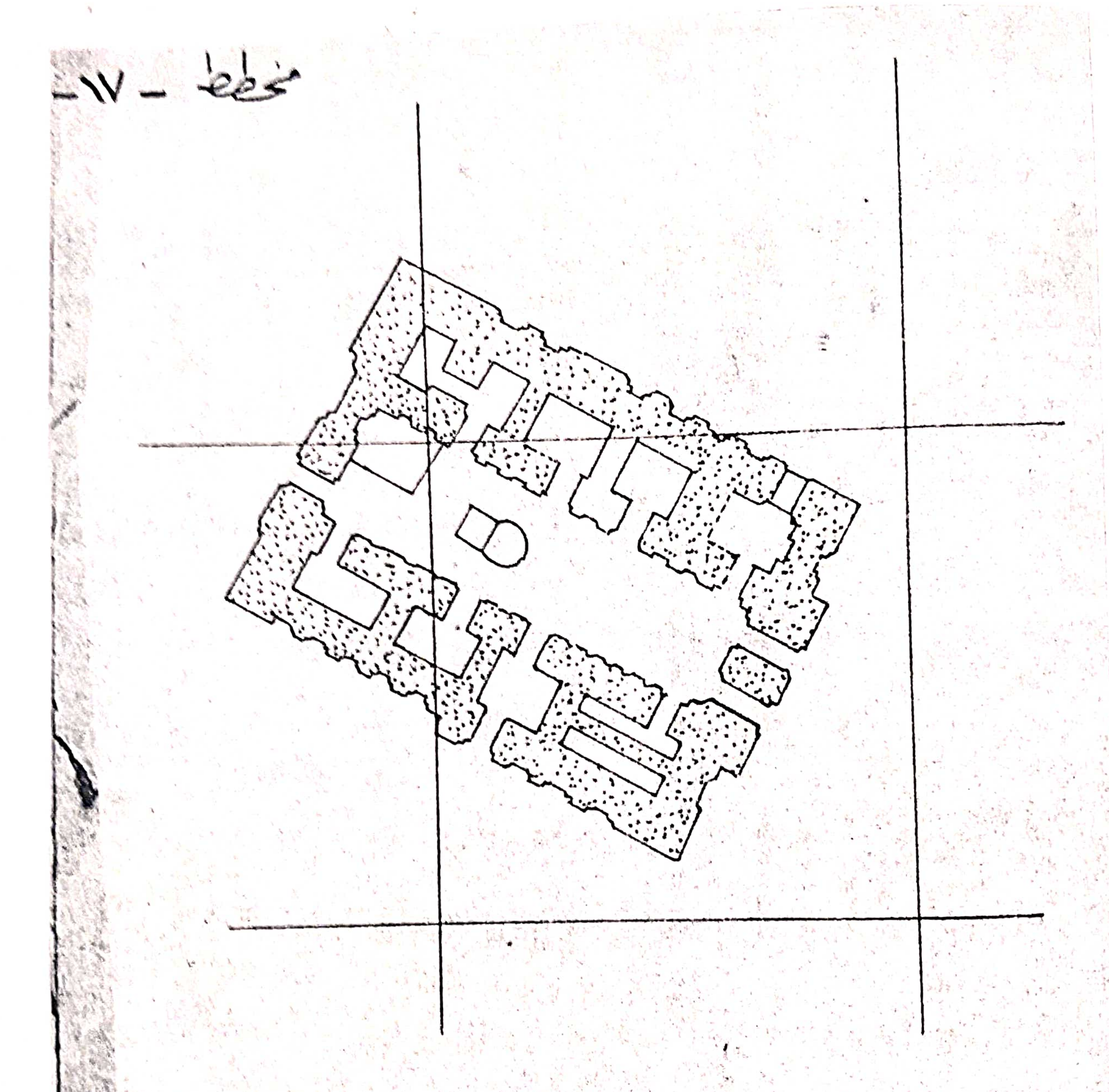


معبد العقير (المعبد المصبوغ)



مخطط ١٤
معبد المخاريط الحجرية
(معبد الفسيفساء)
0 5 10 20

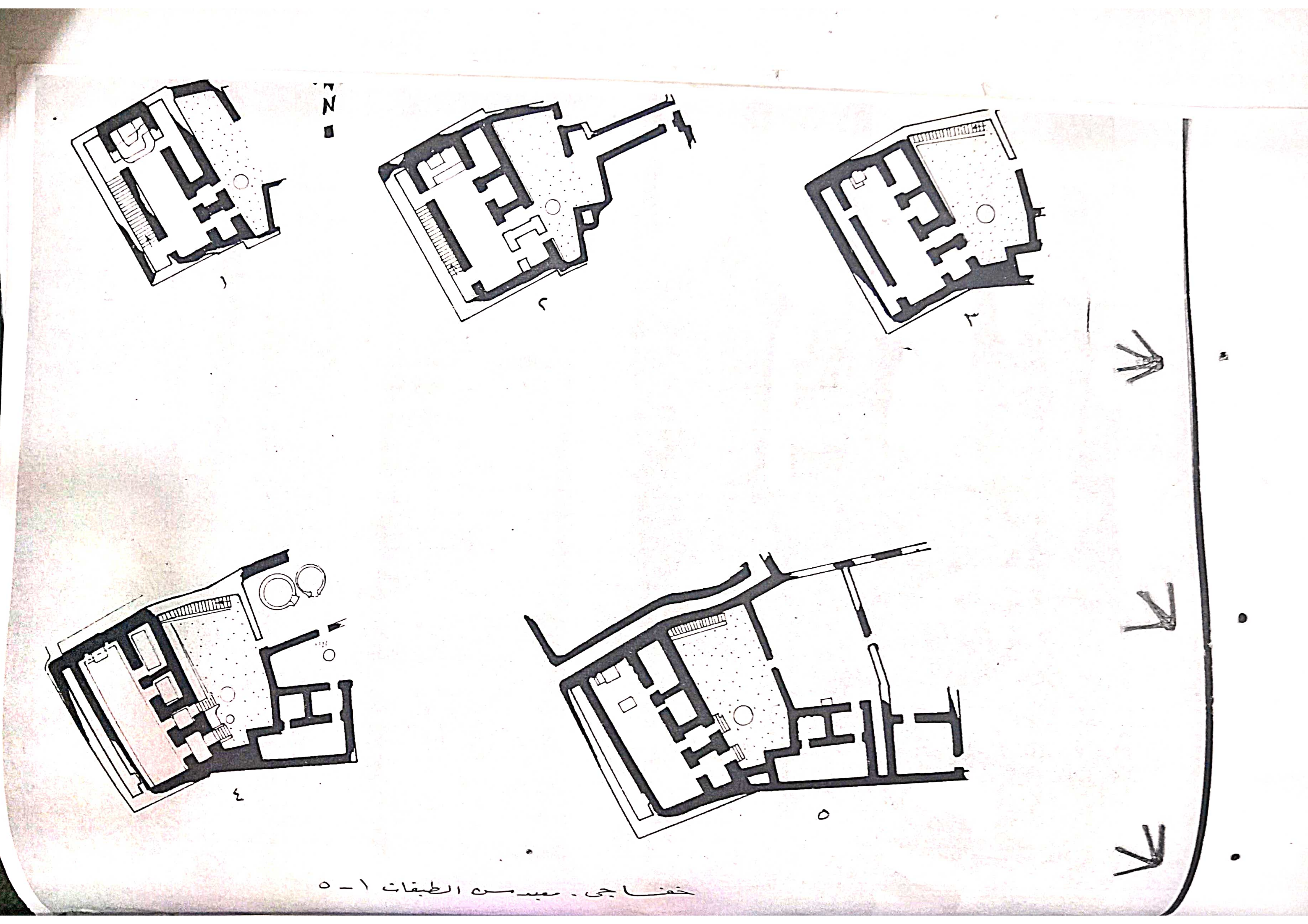

مخطط ١٦
N
0
50m
جمدة نصر



مخطط - ١٧ -

الوركاء (منطقة آنو)

مخطط الطبقة D و E



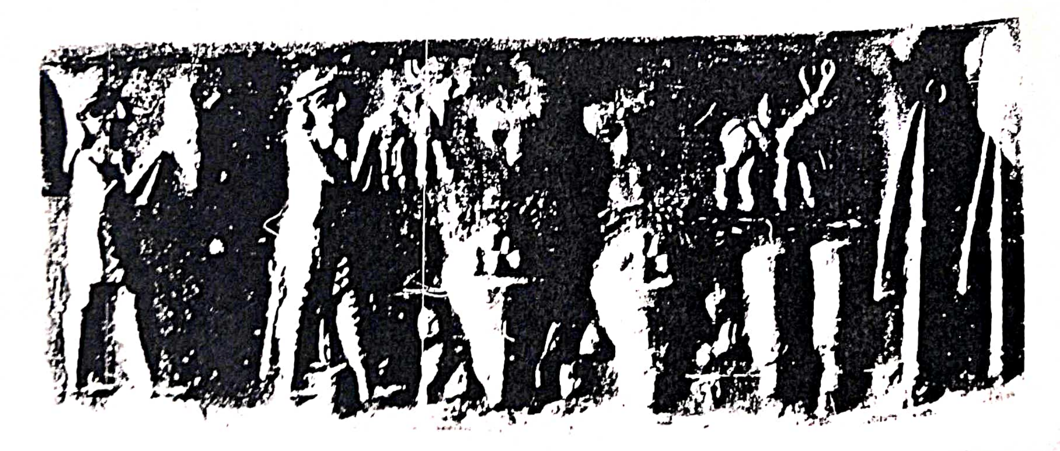
خفاجي. معبد سن الطبقات ١ – ٥



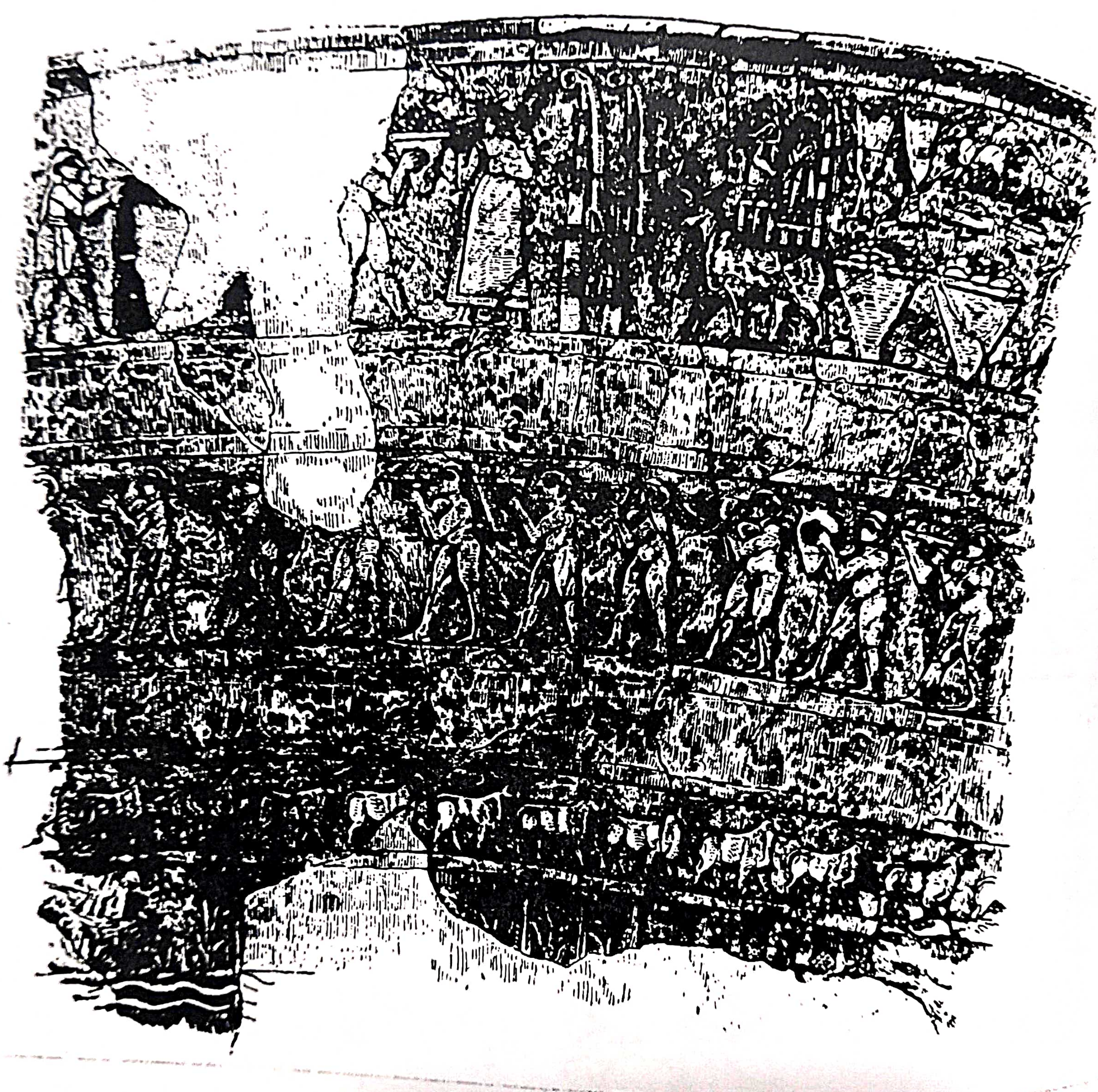
الشكل ١



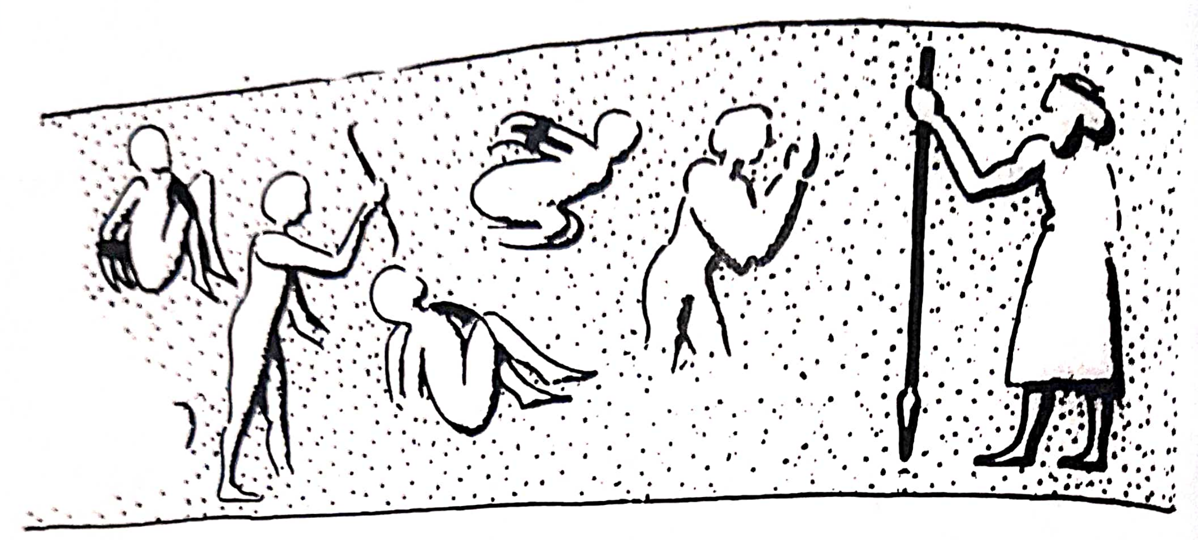
الشكل ٢



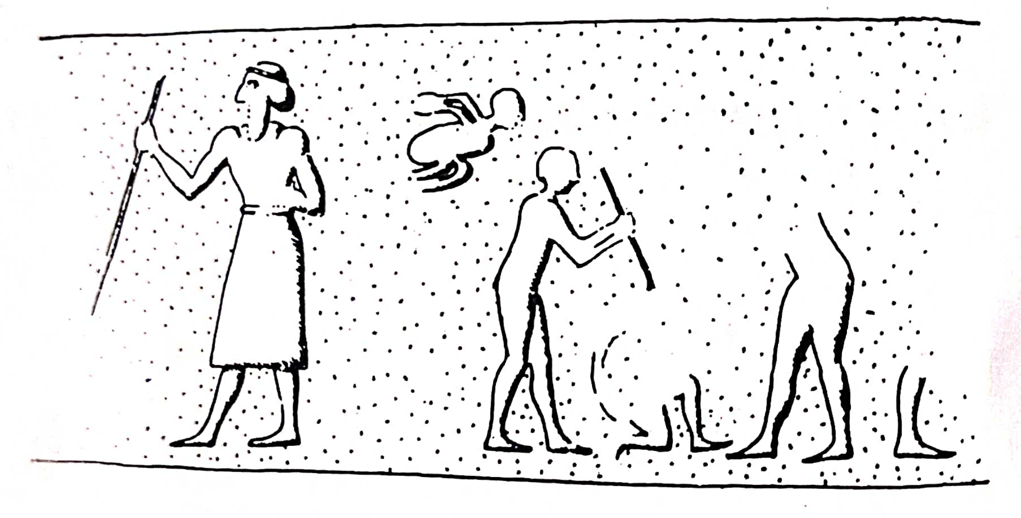
الشكل ٣



شكل - ٤



الشكل ٥



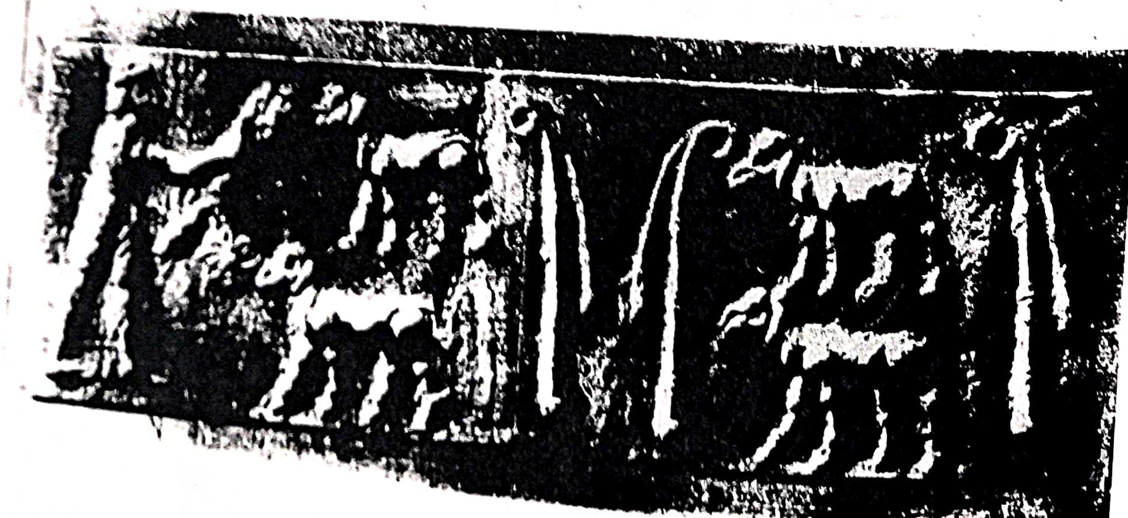
الشكل ٦



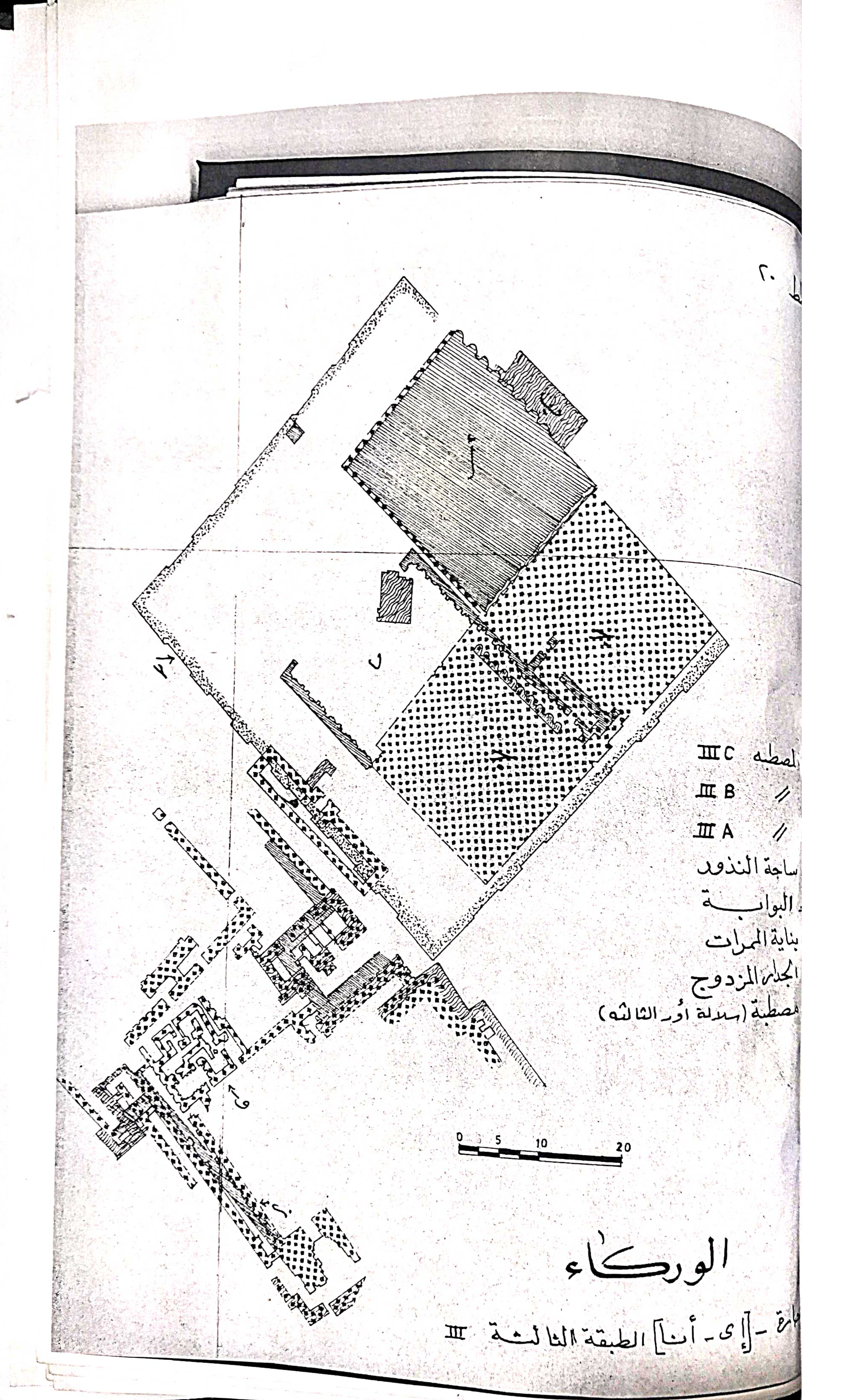
الشكل ٧


الشكل ٨


الشكل ٩


الشكل ١٠

شكل - ١١


ط ٢٠
لمصطه III C
// III B
// III A
ساحة النذور
البوابة
بناية الممرات
الجدار المزدوج
مصطبة (سلالة أور الثالثة)
0 5 10 20
أ
ب
الوركاء
ارة - [إى - أنا] الطبقة الثالثة III

The achievements of this stage were culminated the rise of the temple to power which subsequently introduced significant changes in the social order that it had imposed. The appearance of the prototype of writing came during this period to answer principal exigencies that were conditioned with the supremacy of the temple and its economic and social hegemony. The same may be to the arts of architecture, sculpture, decoration , the cylinder seals industry and other branches of civilized life reflecting the stage's mod of production.

he priests in fact served as the social instrument for he changes that occurred in the social structure and randing it with contradicted class and social interests, his was partecularly obvious among such classes as the obility, the laymen, the freemen and the slaves.

7. I have already said that the " Temple supre-acy period " represented a qualilative leap forward in egards to the cultural development. This conclusion is rroborrated by the giant cultural achievements that eatly influenced and accelerated man's cultural ogress in later periods. The society of the pre-aid period until the beginning of the Ubaid period s passing through what archaeologists and sociologists ll the ((food- producing stage)) to distinguish it cially and economically from the preceding stages. at occurred in the post-Ubaid period and specifically the plain valleys of ancient Iraq however drastically ried human life to higher cultural level or in a se to urbanisation in all its economic and social lications.

The temple and the assertion of its power must have played a basic role in guaranteeing the form of social unity that characterised the period of temple supremacy. But however, this social unity began to crumble down towards the end of the period with the gradual appearance and aggravation of class interests subsequent to further cultural development of the society.

6. Among anticipated developments that occurre through this period in the shade of this social order that a major section of the priesthood began to emerg as a new class. The priests had found at their dispos vast economic wealth and resources flowing onto the temple establishment as a result of the social surplu in the production and the total and stringent hegemon of the temple authority. This encouraged some of them to retain for themselves large portions of the source of wealth , thus distinguishing themselves as a class of nobility with its own distinctive social conduct,

Towards the end of the " Temple supremacy peri

a. The temple establishment class which exercised religious and secular authority.

b. The class of the general public composed of ntry and vocationals.

The archaeological evidence suggests that this ess society was characterzed by social harmony al at no serious class interests or discriminatory had crept into the society's structure.

From our study of the archaeological data we are ined to believe that was no multiple class structure ivergent or distinvtive social or economic interests aspirations. There existed the temple establishment e class was represented by the chief priest who was he top of the authority and an executive body of s and suboridinates steering the establishment in a ework of economic and social activity. This class or hery almost marked by absolute despotism operated conducted the multitude of the masses which in turn emented what orders given to them by the establish-

Again the increased production had the effect of promoting the scope of external trade and led to vocational specialisation which in turn served as contributing factors to this puplic welfare.

All these positive signs were abated by objective circumstances attending the evolution of the society of that stage and helped by the production and environmenta conditions of that society, hence contributing to a cultural awakening that was unattainable by preceding periods.

5. The period subject of our study witnessed a new social order marked by non-existence of the private agricultural holdings. This indicated that the land and the principal means of production were in this period belonging to the temple(i.e. of public ownership) and were supervised by the temple's absolute authority.

Therefore, the social class structure of that period was composed of two classes which had survived well until the temple supremacy period entered a sta of disintegration. They are :

According to religious ideas promoted by ancient a ..aqis, the gods decided peop..'s destinies, livelihood, ..l-being and misfortune. The 'En was the gods repr- ..tative on earth. The authority of the temple and ..t of its chief priest and thus wrought indisputable ..ver with a close link to the people, influencing ..eir life and the organisation of their economic and ..ocial activities. The assertion of the authority of ..he temple had the natural effect of asserting social ..oduction by having the production requisites(especi - ..: improvement and development of irrigation) su..er - sed and run by a management that further a common ..erst. This contributed to putting social surplus at service of the temple establishment and subsequently ..moted the public weltare. This was clearly manifes- .. in the rich and prosperous architectural buildings temples and in the development, the expanded sizes .. the increased numbers of dwelling houses. As a matt- of fact, the tempo of expanded residential construc- .. was quite evident in the temple periphers areas.

known by the Sumerian title "EN". It was inevitable for that personality (i.e t! ...ief - priest - EN -) in terms of the new standard of social consciousness developed by the stage to be assisted by aides and subordinates (priests) in carrying out his tasks and programmes and in implementing the divine orders of the gods, or more specificall the main deity of the town or se...ement.

4. The authority of the temple and the concept of its soci...l function were - as just mentioned- dictated by the stage's evolutionary conditions. The appearance of the temple in this period, for the first time in the history of Mesopotamea, provides firm indication that at this stage religious thinking reached what may be called a sophisticated level which was unparallele... in the preceding periods. This appearance also led to clearer visualisation as to the existence of th... e gods who were holding sway over the natural forces ...hat represent life. This had bee... more crystalised ...he in later cultural periods.

eriod, 3rd mill. B.C.).

2. Inasmuch as the cultural history of Mesopotamea i concerned, this is a period of remarkable cultural i urban upsurge and advanced social transformations mpared with preceding periods. This is well demonstr- ed in the context of developed economic practices of e society and its ripening thinking that had given se to the prototypes of writing - an innovation which been of great significance to human history . hermore it may be said that this period had indeed essed a qualilative leap forward, since its appear- ce and played an influential religious rôle in the ciety. The temple had been at the top of the social nsformations throughout this period of my study, ly the temple supremacy.

3. The authority of the temple and the concept of ocial function was a basic principle dictated by olutionary stage of the society of that period. warranted the emergence at the helm of the authority f olitically and religiously influential strongman

CONCLUSION

Our sojourn across the chapters of this Thesis has no doubt led us to some fundamental factos that lend themselves into shaping up the cultural picture of the period of our study - the period of the temple supremacy;and in order to fix the general framework and the dimensions of that picture it behoves us to review the period's characteristic features, or to more specific to demonstrate its suggestive function and what can be logically deduced from some of its elements so that the cultural aspect of that period may be illustrated.

The essential themes of my Thesis may be summarized in the following points:

1. My Thesis has dealt with the temple as the leading socio-economic institution that played a prominent role in the life of the society of the alluvial plaints of Iraq throughout the period of our study from Ubaid period - ca.5th mill.B.C. to the Uruk

THE ROLE OF THE TEMPLE IN ANCIENT MESOPOTAMIAN SOCIETY FROM UBAID PERIOD TO THE END OF URUK PERIOD

by

Ali M. Mahdi

A thesis submitted to the College
of Arts - Baghdad University
in partial fulfillment of the
Requirements for the degree of
Master of Artis in
Archeology

November , 1975

Chief Supermisor
Prof. Taha Baqir